تغريدات ..للوطن
في الإعلام والسياسة

د. رضا عبدالواجد أمين

2013



تغريدات ..للوطن
في الإعلام والسياسة

عنوان الكتاب: تغريدات للوطن في الإعلام والسياسة
د. رضا عبدالواجد أمين
اسم المؤلف:
الناشر: هيئة شؤون الإعلام
الطبعة الأولى 2013م
رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة:د.ع 2013/10918
رقم الناشر الدولي : ISBN 978-99958-0-131-1

Titel:
Author:
Publisher: Information Affairs Authority
First Edition 2013
.L.D 2013 /10918
ISBN 978-99958-0-131-1



هيئة شؤون الإعلام
إدارة المطبعة الحكومية، ص.ب: 26005 مملكة البحرين
هاتف: 17682926(973+) - فاكس: 17689066(973+)

Information Affairs Authority
Directorate of Government Printing Press
P.O.Box 26005 - Kingdom of Bahrain
Tel: (+973) 17682926 - Fax: (+973) 17689066
E-mail: gppartwork@iaa.gov.bh البريد الالكتروني:

الفصل الأول

تغريدات ..للوطن
في الإعلام والسياسة



مقدمة

للكتابة أجنحة يرفرف بها الكاتب فوق آمال وآلام وطنه ..

وللكاتب فضاؤه الذي يحلق فيه عاليا ليرى نقاط الضوء في مجتمعه ، فيطلق أشعته عليها لتضيء سماءنا ..

وليرى النقاط المظلمة التي لا يخلو مجتمع منها فيحاول النقر عليها بحروفه وكلماته، حتى ينجلي الصدأ ، وتتضح ملامح الصورة ، فينهض الساسة وصناع القرار باتخاذ المناسب من التدابير ..

إن الكتابة التي تمثل التحليق والتغريد في سماء المجتمع .. إنما هي شرف يتسربل به الكاتب ، انطلاقا من شرف الكلمة ، ففي البدء كانت الكلمة ، ونحن أمة أول ما قرعت أذناها من الوحي الإلهي كلمة (اقرأ) لتدل على أن أمة لا تقرأ لن يكون لها حضارة ، ولن يكون لأحفادها ماض يفاخرون به الأمم .

وللكلمة فضاء تسبح فيه ، وترفرف عبر حروفها وحركاتها وسكناتها .. لتشكل أحيانا شاهدا على الواقع .. ومشاركا في إحداث أحداثه في أحايين أخرى .

وهي إما أن تكون طيبة .. أو خبيثة

فالكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة (أصلها ثابت ، وفرعها في السماء) تثمر ثمارا ذا مذاق عذب ، وتؤتي أكلها في نفوس قارئيها .. دونما نفاق أو مواربة .. ودون مساومة على الحق الذي لا مراء فيه .

وأما الكلمة الخبيثة فهي منتنة الرائحة ، تزكم الأنوف ، وتذر الرماد الذي يحول دون صحيح الرؤية في العيون ، وهي أشبه بنعيق الغربان .. لا تراعي شرفا للكلمة ، ولا تفطن لقيمتها ، وهي (كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ، ما لها من قرار)

وحسبي وأنا أقدم كلمات هذا الكتاب للقراء الأعزاء أني آليت جهدي أن تنضوي حروفه ضمن النوع الأول ، ولا أزعم الكمال ، فهو لله وحده ، والعصمة ليست إلا لخيرة الخلق من أنبيائه ورسله ، وما عدا ذلك فالكل يخطئ .. ويصيب ، ويتذكر ، وينسى ..

وما سمي الإنسان إلا لنسيه   وما القلب إلا أنه يتقلب ..

وكلمة ثناء واجبة لمعالي الشيخ فواز بن محمد آل خليفة رئيس هيئة شئون الإعلام لتفضله بالموافقة على طباعة هذا الكتاب ولكل من كان له يد في مراحل إخراجه للنور ..

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

دكتور / رضا أمين

المنامة ...٢٠١٣ م



المجتمع البحريني بين التنوع والتسامح

لا يتصور استقرار مجتمع من المجتمعات الإنسانية دون أن تكون هناك منظومة من القيم تضمن بقاء هذا المجتمع ، من هذه القيم قيمة التسامح وقبول الآخر ، والإقرار بأن للآخرين نفس الحقوق التي يتمتع الفرد بها ، وهي الفكرة الجوهرية التي تقوم عليها الديمقراطية ، أن أقبل للآخرين أن يعبروا عن آرائهم ، وأن أقبل ما أجمع عليه غالبية المجتمع حتى وإن لم يتوافق مع ما أراه .

والتسامح قيمة إنسانية رفيعة ، تسمو بالأفراد عن الصغائر ، وتدخلهم في دائرة من الاستقرار النفسي والاجتماعي ، دون أن يعبر ذلك عن ضعف أو هوان ، أو أن يتنازل الفرد عن حقوقه التي كفلتها له منظومة القيم السائدة في المجتمع ، وما عرف التسامح في مجتمع إلا وقلت فيه الجريمة ، وعلت فيه الأخلاقيات الدافعة نحو العمل والتطوير والبناء .

ويرتبط مفهوم التسامح بكثير من مفاهيم حقوق الإنسان التي إذا ما انتشرت في مجتمع دلت على تحضره ورقيه ، مثل مفهوم حرية الرأي والتعبير ، واحترام وقبول الآراء المخالفة ، وضمان وجود التنوع الثقافي والفكري في المجتمع ، كما أن قيمة التسامح من أجل القيم التي نادت بها شريعتنا الغراء ، ويرتبط مفهومها بمفهوم العفو ، وخاصة عند المقدرة على إنزال العقوبة ، حيث يقول الله تعالى مرشدا الأفراد للتحلي بتلك القيم الرائعة (خذ العفو وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين) ويقول سبحانه (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وفي الآية السابقة إشارة إلى أن أخلاقا مثل عدم الحنق على الآخرين من شيم الكرام ، وأن مواجهة الحسنة بالحسنة من سمات الذين تتوفر لديهم الأصالة ، كما أن مواجهة السيئة بالحسنة من سمات أصحاب الهمم العالية والأخلاق الرفيعة .

وترتبط بعض الشعوب والمجتمعات بقيمة التسامح قربا وبعدا ، فالشعب البحريني على سبيل المثال يتسم بتمثله لتلك القيمة الإنسانية الرفيعة منذ زمن بعيد ، وعرف المجتمع البحريني قديما وحديثا بالتنوع والتعدد المذهبي دون أن تعتري هذا التعايش شائبة ، فالمجتمع نسيج واحد سنة وشيعة يحترم كل منهما مذهب الآخر ، بل وتتعدى في أحيان كثيرة مرحلة التعايش لتصل إلى مرحلة التلاحم ، وكثير من العوائل البحرينية أحد طرفيها سني ، والآخر شيعي ، دون أن ينظر لتلك الحالة بأي نوع من أنواع الاستغراب .

وفي الأحداث الأخيرة التي شهدتها مملكة البحرين بدأ بعض الذين لا يدركون حقيقة

التعايش والتسامح بإثارة هذه النعرات الطائفية ، لكنها تبقى محدودة ، وتحاصر بسيل من خطابات التعقل من أبناء هذا الوطن الحريصين على تماسك هذا المجتمع ، والحفاظ على أجمل ما في هذا الشعب ، كما جاءت كثير من الخطابات محذرة من الانزلاق في مأزق الطائفية التي لا يقبل حريص على أمن واستقرار ومستقبل البلد أن تثار ، ومهما حاول البعض إنكار البعد الطائفي في خطاب البعض إلا أنه يصعب على أي متابع للأحداث في البحرين تجاهل هذا البعد ، وبالرغم من كل ذلك فعقلاء هذا البلد ، ولله الحمد ، كثيرون وقادرون على إعادة منزلة تلك القيمة لسابق عهدها ، ليظل المجتمع البحريني المتماسك والمتحاب والمتآلف على هذا العهد ..يجمعه حب وطنه ، والحفاظ على مكتسباته .

مملكة الإخاء

أختلف مع الذين يزعمون أن هناك شرخا عميقا لحق بطوائف المجتمع البحريني في الأزمة الراهنة ، مع إقراري بأن هناك مشكلات بالطبع في العلاقة بين بعض طوائف المجتمع ، ولكن ليست هناك مشكلات عميقة أو مستعصية على الحل ..فالمجتمع البحريني بما عرف عنه من سمات تدور حول التعايش والتسامح والمودة والإخاء قادر على أن يتجاوز كل مأزق يواجهه ، وقادر على أن يحافظ على إرثه الحضاري والثقافي الذي ميزه حتى عن بقية شعوب الخليج العربي .

الأزمات السياسية تأتي لتحمل في طياتها صراعا بين فرق تعمل على تحقيق المكاسب وإثبات الوجود في الشارع السياسي ، وتنتهي بانتهاء الصراع لتهدأ الأمور تمهيدا لصراع آخر في قضية أخرى ..هذه هي بيئة العمل السياسي في أي نظام ..لكن الذي يبقى هو ما نتحدث عنه ..هذا الإرث القيمي ومنظومة الأخلاق الراسخة والمتجذرة في المجتمع .. رموز السياسة وزعماؤها يذهبون ..ويبقى المجتمع المحافظ على لحمته وكيانه ، ومن يظن أن الأزمات يمكن أن تهدم مكتسبات المجتمع الاجتماعية والأخلاقية فهو يمتلك نظرة قصيرة الأمد .

صحيح أن هناك عوامل تساعد على الفرقة ، وأبرزها تقنيات الإعلام الاجتماعي مثل الفيس بوك وتويتر والبلاكبيري التي شهدت في الفترة السابقة سجالا ساخنا حول الأزمة، خاصة وأن الذين يستخدمون هذا النوع من الإعلام – وهم كثر – يكتبون بعواطفهم لا بعقولهم ، أو يحاولون التنفيس عن مشاعر متناقضة لديهم ، وأدى هذا السجال إلى التراجع خطوة نحو الخلف فيما يتعلق بالتعايش والإخاء ، من خلال قيام البعض بحذف قائمة الأصدقاء في جماعتهم وحساباتهم الذين لا يتفقون معهم في الرؤية والهوى ، لكنني – ومن خلال تصفحي لعدد من الحسابات والتجمعات في الإعلام الجديد – وجدت فريقا آخر لديه الاستعداد للتعايش مع الآخر المختلف عنه في الرأي ، من خلال طرح الموضوعات والتعليقات التي تدعم الوحدة وتنبذ الفرقة ، والحديث عن الآخر بعبارات مثل (الطائفة الكريمة) أيا كانت .

فيا أيها المجتمع البحريني الواعي ، ويا أيها الشباب العاقل : لكم أرفع قبعة التحية والتقدير ، فقط المتحضرون هم الذين يستطيعون التحاور والتعايش مع الآخر المختلف ، فقط العقلاء الذين يدركون أنه مهما كان التباين إلا أن المصير المشترك والتعايش

المشترك هو القدر المفضل ، فقط الحكماء هم الذين يدركون أن أي خلاف يمكن تجاوزه ..لأنه يجب أن يتم تجاوزه .. وهل ما كان بين الأوس والخزرج من حروب طاحنة استمرت عقودا من الزمن يمكن أن ينبئ بوجود أخوة لم يشهد لها التاريخ مثيلا ، حتى صاروا نسيجا واحدا وجسدا واحدا سمي (الأنصار) وحتى هيئت لهم السبل لأن يكونوا طرفا في مؤاخاة مثالية فريدة مع المهاجرين ، حين كان الواحد من الأنصار يعرض على أخيه من المهاجرين نصف ماله ، ونصف داره ، بل ويعرض عليه أن يطلق له إحدى زوجاته ليتزوجها في نادرة لم يشهد لها الزمان مثيلا ، ثم ما كان من المهاجرين الذين لم يقابلوا هذا الحب والإيثار والإخاء بانتهازية بغيضة ليستولوا على اقتصاد المدينة ، بل كان ردهم : بارك الله لك أخي في مالك وأهلك ، ولكن دلنا على السوق لنعمل وننتج ، ونساهم في اقتصاد هذا البلد الذي ننتسب جميعا إليه .

فيا مسلمي هذه المملكة الصغيرة ..يا أحفاد الأوس والخزرج ..ويا سلالة المهاجرين والأنصار .. تتطلع إليكم القلوب لتعيدوا إلى مملكتكم الإخاء الذي يسري بين ربوعها ، والطيبة التي تتسمون بها بين سائر الأقطار .

المكون الإعلامي في مواجهة إيران
مع دول الخليج العربي

يشهد تاريخ وسائل الإعلام أنها استغلت في التسويق السياسي للدول والأنظمة ، ووظفت للدعاية الأيديولوجية منذ هتلر الذي كان يروج للنازية ، ولفكرة أن ألمانيا هي الجنس البشري الأسمى ، ومن قبل هتلر ، وإلى يومنا هذا ، وذلك معناه أن ميزان العمل الإعلامي ليست هي المعايير المهنية والموضوعية والحرفية ، ولكنها الخطط المسبقة التي تحكم على الأداء الإعلامي بالنجاح أو الفشل بمقدار تحقيق برامج هذه الخطط ، وتنفيذ أهدافها .

وتشهد الساحة الإعلامية الآن فصلا من فصول المواجهة بين إيران من ناحية وبين الأنظمة الخليجية العربية من جهة أخرى ، تحاول فيها الأولى أن تكسب عددا من الجولات بفضل التخطيط المسبق والدعم اللامحدود لعدد غير قليل من القنوات الفضائية وغيرها من وسائل الإعلام الأخرى ، في الوقت الذي يقف فيه الإعلام العربي الخليجي في موقف الدفاع ، بمعنى أنه كلما أثيرت قضية من قبل الإعلام الموالي لإيران انبرت أقلام ومنابر إعلامية عربية لتفنيد تلك المزاعم ، ومحاولة كشف عوارها أمام الرأي العام ، الأمر الذي جعل وسائل الإعلام العربية الخليجية في حالة استنفار دائم لصد الهجمات الإعلامية المخططة والمدروسة من الطرف الآخر ، وهو ما أثار انتقاد بعض المراقبين والمتابعين الإعلاميين ، حيث طالبوا أن يأخذ الإعلام العربي الخليجي زمام المبادرة ، وأن يتعامل مع الإعلام الآخر بمنطق المبادأة ، بمنطق أن الهجوم خير وسيلة للدفاع ، وأن ترتكز وسائل الإعلام العربية إلى خطة ذات منهجية واضحة لمواجهة الخطر الإيراني الإعلامي الذي لا شك تقف وراءه أجندة سياسية تعبر عنها ، وخطط استيراتيجية تعبر عن المطامع التي يشهد عليها التاريخ .

وقد بات واضحا أن المكون الإعلامي في مواجهة إيران مع دول مجلس التعاون العربي الست هو الأبرز في الفترة الحالية ، حيث لا يمكن فصل قناة العالم عن الحرس الثوري الإيراني الذي يقوم بعض أفراده بتمويلها وإدارتها والإشراف على خططها وأسلوب أدائها ، وتعتمد على أساليب مباشرة وغير مباشرة في إدارة هذا الصراع الذي تعد مملكة البحرين ساحته الأولى ، ويمثل فضاؤها جبهة التلاقي مع الإعلام الوافد منها ، حيث تصر على وسم دول الخليج العربي بدول الخليج الفارسي ، وهو الأمر الذي لا تستسيغه أي أذن عربية مهما كان انتماؤها ، ولا يقف الأمر عند مدلول الكلمة ، بل إن الرسالة التي يمكن توصيلها

للجماهير عبر ترديد هذه الكلمة أعمق بكثير من مجرد كلمة تقال في فضاء الأثير ، فهي ترجمة لرؤية سياسية ، تترجمها خطة إعلامية وتستلهم خطوطها العريضة منها .

وتحاول الآلة الإعلامية الإيرانية أن توظف الثورات العربية وفق مشروعها وأجندتها السياسية ، حيث تنظر إليها باعتبارها (صحوة إسلامية) هذه الكلمة البراقة التي لا شك تمثل أمنية كل مسلم أن يكون للمسلمين شأن كبير وراية شامخة ، وتتجاهل أن جزءا كبيرا ممن قاموا بالثورات في بعض الأقطار العربية ليسوا مسلمين ، كما أن مفردات العمل الإعلامي الإيراني تتجاهل إلصاق هذا الوصف بالاحتجاجات ضد الأنظمة التي تدعمها كالنظام السوري على سبيل المثال ، حيث يركز الخطاب الإعلامي في قناة العالم على مزيد من الإصلاحات التي يقوم بها النظام في سوريا الشقيقة في الوقت الذي تتجاهل فيه الحديث عن عدد شهداء الاحتجاجات هناك ..والسؤال الذي يطل برأسه في هذا السياق هل سيحسم الإعلام مصير هذه المواجهة ؟؟

سيظل الخليج عربيا

لم يفاجأ الرأي العام العربي بالتصريحات الغريبة التي أطلقها رئيس الأركان الإيراني الجنرال حسن الفيروزبادي زاعما فيها أن الخليج العربي ليس عربيا !، وأنه فارسي الهوية ، وأن الدول (العربية) التي تكوّن دوله ينبغي أن تكف عن وصفه بالعروبة ، زاعما أن هذه المنطقة كانت دائما ملكا لإيران ..وتفيد هذه التصريحات أننا الآن صرنا في عصر التناقضات من خلال التصريحات التي لا تحتكم للعقل ، وتفتقد لأبسط مقومات الإقناع .

كما تعبر عن منطق مهزوم يبحث عن تصريحات سياسية ينظر على أنها(قوية) لتملأ الفضاء الإعلامي الممنهج الذي يعيش على تلك التصريحات ، بعد انكشاف أمره ،لأن الخداع الإعلامي قصير العمر ، وقديما قال إبراهام لينكولن : «إنك تستطيع أن تخدع كل الناس بعض الوقت، كما أنك تستطيع أن تخدع بعض الناس كل الوقت، ولكنك لن تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت».

وسبب تسمية الخليج العربي بهذا الاسم لا يحتاج إلى مزيد جهد ، مهما كان اسمه في السابق ، فمصر الآن عربية وليست فرعونية ، كما أن الدول التي تسكن دول الخليج هي دول عربية أعضاء في جامعة الدول العربية والأمم المتحدة

ونلاحظ إصرارا إيران على استبدال تسميته بالخليج الفارسي ، بينما لا يمثل الاسم لدى العرب مشكلة كبيرة ، فمثلا إيران قامت بعدم السماح لمجلة الإيكونومست البريطانية في إيران لمجرد وجود خريطة كتب على خليجها العربي كلمة (الخليج) فقط دون ذكر وصفه بالعربي أو الفارسي ، كما قامت إيران بطرد أحد المضيفين بسبب استعماله كلمة (الخليج العربي) في ٢٠١٠ م .

وتعبر التسمية الإيرانية للخليج العربي والإصرار عليها ومحاولة تسويقها إعلاميا كما يرى المحللون عن أطماع إيران في منطقة الخليج العربي التي تنبهت لها الدول العربية الخليجية مؤخرا .

وتسمي الأمم المتحدة الخليج بالفارسي ، غير أنها تصفه بالعربي في الوثائق التي تصدر باللغة العربية وهي إحدى اللغات الرسمية للمنظمة الدولية ، كما تقوم بعض المؤسسات الإعلامية بذكر التسميتين ، حيث تذكر هيئة الإذاعة البريطانية أنه خليج عربي في قناتها الناطقة بالعربية ، بينما تذكر أنه فارسي في قناتها التي باللغة الإنجليزية ! وطالما أن هذا الأمر طرح بإلحاح في الأيام الماضية فلا شك أن هذا الأمر يحتاج إلى حملة دبلوماسية

عربية من دول الخليج والدول العربية الأخرى لتغيير مسماه في وثائق المنظمة العالمية التي تصدر بأي لغة .

ومن الأمور التي تزعم إيران أنها تستند إلى تسمية الخليج بهذا الاسم ، ما زعمت أنه وثيقة قامت بنشرها ، وهي برقية أرسلها الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر إلى مدير أحد الأندية في البحرين يطلق فيها على الخليج وصف (الفارسي) كما نشرته وكالة أنباء فارس الإيرانية شبه الرسمية ، وهو الأمر الذي نفاه سامي شرف سكرتير الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بشدة وشكك في مصداقية الوثيقة المزعومة حيث ذكر أن البرقية أرسلت في عام ١٩٣٨ ، وهو الوقت الذي كان عبد الناصر لا يزال طالبا ، كما أن محتواها يتعارض مع الفكر القومي الذي كان يؤمن به عبد الناصر ، الذي حاول من خلاله بعث الروح القومية العربية من المحيط إلى الخليج ، ويستلهم القوميون منه هذه المعاني والقيم .

سيظل الخليج عربيا ، وبدلا من أن تثير إيران هذه الترهات عليها أن تعيد بناء الثقة مع دول الخليج العربي من خلال حسن الجوار واحترام الآخر ، وهي القيم الإسلامية والعربية الأصيلة .

دلالات خطاب الملك
في اليوم العالمي لحرية الصحافة

ليس كل الزعماء والقادة يتذكرون اليوم العالمي لحرية الصحافة ، منذ أن حددت الأمم المتحدة في ديسمبر ١٩٩٣ م الثالث من مايو كل عام ليكون يوما للاحتفاء بالحريات الصحفية حول العالم ، لكن الخطاب الذي ألقاه جلالة الملك حمد عاهل مملكة البحرين بهذه المناسبة له أكثر من دلالة ، ويرسل أكثر من رسالة .

الدلالة الأولى : أنه لا تفريط ولا مساس بالحريات الإعلامية كإحدى المكتسبات التي جنت المملكة ثمارها منذ بداية العهد الإصلاحي ، وأنه بالرغم من أن بعض الصحفيين ارتكبوا أخطاء إعلامية ، إلا أن تقديمهم للعدالة لا يعني التضييق على الصحافة بشكل عام ، وليس بوسع مملكة البحرين أن تتنازل عن مكتسباتها الإعلامية ، حيث تتميز التجربة الصحفية البحرينية بالثراء والتعددية بين دول الخليج ، ولن تكون الأحداث الأخيرة سببا في تكميم الأفواه أو قصف الأقلام ، حيث أكد في كلمته على (الالتزام الدائم بتعزيز حرية الرأي والتعبير باعتبارها إحدى الركائز الراسخة في مسيرتنا الإصلاحية والتنموية المتواصلة)

الدلالة الثانية التي ظهرت جلية في خطاب جلالة الملك بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة : بيان الفارق بين الصحافة الحرة النزيهة والمستقلة التي تمثل دعامة التطور الديمقراطي وحقا أساسيا من حقوق الإنسان، وشريكا فاعلا في صيانة أمن الوطن واستقراره ، والحفاظ على منجزاته الحضارية ومكتسباته الإصلاحية ، ودفع عجلة البناء والتنمية الاقتصادية، وبين الصحافة القائمة على ترويج الشائعات ونشر الأخبار الكاذبة، وتضليل الرأي العام ، فهذه الأولى هي التي يتم الاحتفال بها ، أما النوع الثاني الذي لا يلتزم بمواثيق الشرف الإعلامية ، ولا يراعي التقاليد المهنية للصحافة فضرره على المجتمع وتماسكه يحول دون اعتباره إعلاما هادفا .

الدلالة الثالثة : هي بث روح الاطمئنان داخل الأوساط الصحفية على مستقبل المهنة التي ينتسبون إليها ، فالرسالة أننا حتى في هذه الظروف التي تمر بها البلاد ، وبالرغم من إعلان حالة السلامة الوطنية التي كانت مطلبا شعبيا قبل أن تكون قرارا رسميا ، فإن الصحفيين الشرفاء الذين يحرصون على مستقبل هذا البلد وواقعه في نفس الوقت الذي يحرصون فيه على الارتقاء بمهنتهم ومستوى الحريات فيها هم الذين يستحقون

الإشادة والتكريم ، فقد أشاد الخطاب بجمعية الصحفيين البحرينية و نادي مراسلي وسائل الإعلام الأجنبية واتحاد الصحافة الخليجية والعديد من وسائل الإعلام الخليجية والعربية، والاتحاد الدولي للصحفيين ومجلس العلاقات الدولية الخليجية (كوغر) ومنظماته الإعلامية التابعة له .

الدلالة الرابعة : الإشارة إلى مستقبل إعلامي جديد أعطى جلالة الملك فيه الإشارة للمؤسسات التشريعية لسن قوانين متطورة تكفل حرية الرأي والتعبير وتنظم عمل الإعلام الإلكتروني والإعلام الاجتماعي باعتباره ضرورة من ضرورات العصر ، حتى تحافظ على سلامة المجتمع واستقراره ، ونرجو أن يتحلى المشرعون بهذه الروح ، حتى لا يأخذوا من الأحداث الأخيرة ذريعة لتشديد القوانين المنظمة للعمل الإعلامي ، ويبقى أن مناخ الحريات الإعلامية يعود ثماره على كل المجتمع ، على السلطة تحضرا ورقيا وصورة ذهنية طيبة لدى الرأي العام العالمي ، وعلى الإعلاميين تميزا وتطورا حيث تتوفر البيئة الخصبة للإبداع والتميز الإعلامي دون خوف ، وعلى المجتمع تنويرا وتثقيفا حيث يساهم الإعلام الحر في زيادة الثقة من الجماهير وبالتالي يقبل على القراءة والمشاهدة التي تؤتي ثمارها في زيادة تثقيف المجتمع ووعيه وإدراكه لمجريات الأحداث

كلمة أخيرة ..كنا نتمنى أن لو اتخذ مجلس إدارة جريدة الوسط قرارا بعدم إغلاقها ، فإغلاق أي جريدة لا شك خسارة للبيئة الإعلامية في مملكة البحرين ، وأن تجتذب إليها عناصر محترفة تنهض بها ، لأن إغلاقها قد يعطي رسالة خاطئة مفادها أنها حين تخلت عما كانت تقوم به حققت خسائر !!

حول تقرير الجزيرة : نسبة الانتماء للوطن

لم يثر جدل في الإعلام الإلكتروني كما ثار في الأيام الماضية عن التقرير الذي نشره موقع الجزيرة نت فيما أسماه وثيقة سرية حصل الموقع على نسخة منها عن نسبة السنة والشيعة في مملكة البحرين ، والذي أشار إلى ما يمكن تسميته بالتوازن بين أتباع المذهبين مع تفوق طفيف لأتباع المذهب السني (٥١٪) في مقابل ٤٩ ٪ لأتباع المذهب الشيعي ، وأثار حفيظة القــراء في إبـداء التعليقات على موقـع الجـزيرة ذاتـه ، وفي شكل تغريـدات مكثفـة على (تويتر) أو غيرها من آليات التواصل الاجتماعي الإلكتروني .

ويمكن رصد ثلاثة اتجاهات رئيسة من نشر التقرير :

الاتجاه الأول : رفض التقرير جملة وتفصيلا ، وهاجمه باعتباره كذبا رسميا ، وشكك في توقيت نشره خاصة وأنه أعد في العام الماضي ٢٠١٠ ، كما ذكروا أنه متناقض مع تصريحات لبعض المسئولين الرسميين الذين نفوا في السابق أن يكون هناك إحصاء يشير إلى نسبة معتنقي المذهبين الإسلاميين ، خاصة في ظل التحولات بين المذاهب وغيرها من صعوبات إجراء الإحصاء ، بل ووصل بالبعض - في إطار هجومه على التقرير ورفضه المطلق له - إلى إطلاق شائعات بأن الجزيرة اعتذرت عن نشر التقرير ، وأنها (قامت بسحبه) ، وهو ما لم يحدث من قبل موقع الجزيرة .

كما قام أتباع هذا الاتجاه بمهاجمة (الجزيرة نت) ، إلى حد تذكيرها بأنها نصيرة الشعوب ، وأنها لابد أن تعود لدورها الذي كانت تمارسه من قبل .

والاتجاه الثاني : رحب بالتقرير ترحيبا واسعا ، حيث أنه يفند وجهة نظر المعارضة الشيعية التي طالما روجت لأكذوبة أنهم أغلبية كما يقولون ، وقامت بنشره على نطاق واسع عبر قوائم البريد الإلكتروني والمنتديات والمدونات وفيس بوك وغيرها من تطبيقات التواصل الإلكتروني ، ولم تركز هذه الفئة على مجرد نسبة التوازن السني الشيعي ، بل وأكدت على تفنيد بعض مزاعم المعارضة الأخرى في قضايا هامة ويثار حولها الكثير من الجدل مثل قضية التجنيس ، حيث أشار التقرير إلى أن أكثر المستفيدين من التجنيس القانوني من المبعدين ومعظمهم من الشيعة ، حيث تجاوز عددهم العشرة آلاف مجنس شيعي .

والاتجاه الثالث : وقف في منزلة وسطى بين أصحاب الاتجاهين السابقين ، حيث قرر أن المعلومات الواردة فيه صحيحة ، ولكن البيانات والأرقام قد لا تكون بهذه القيم العددية ، أو

أنه كذب مبرر ، لأنه – من وجهة نظرهم – لا يمكن مواجهة كذب المعارضة ، والمبالغات التي يذكرون بها نسبة تمثيلهم في المجتمع إلا بنفس الأسلوب ونفس الطريقة ، أي الكذب في مواجهة الكذب !

والأمر الذي لا مراء فيه أن هناك جهات بالدولة قد تكلف بجمع المعلومات والإحصاءات في أي موضوع ، لتقدم إلى صانع القرار ، لكن إحصاء رسميا علنيا تقوم به الدولة لحصر أتباع المذاهب داخل الديانة الواحدة قد يكون صعبا ومستهجنا في بعض الحالات ، لذلك كان التقرير المنشور (سريا) كما كتب عليه ، فنحن لا نريد أن تقوم الدولة بالسؤال : أسني أنت أم شيعي ؟ لكن السؤال المطروح على كل بحريني : أوطني أنت أم غير وطني ؟ وهل انتماؤك لتراب هذا البلد ، ومهموم بنهضته ورقيه ، وتساهم في تحقيق أمنه وأمانه؟وآماله ؟ هل يعيش هذا الوطن بين جوانحك ؟ أم إلى أي وطن تنتمي ؟

ماذا بعد انسحاب الوفاق
من حوار التوافق الوطني ؟

أعلنت جمعية الوفاق الانسحاب من جلسات الحوار الوطني الذي دخلته بعد تردد وعلى مضض ، بعدما رفع وفدها المشارك في جلسات الحوار توصية إلى الأمانة العامة لجمعية الوفاق بضرورة الانسحاب منه ، حيث جاء في البيان الذي أصدرته الجمعية في ديباجته : أنها انسحبت مما أطلق عليه حوار التوافق الوطني ، بما في العبارة السابقة من إشارات لعدم موافقتها على التسمية ، أو التقليل من شأنه ، وذكرت أن من حيثيات الانسحاب ، أنه لن ينتج حلا جذريا للأزمة البحرينية !

فإذا كان حوار يناقش أكثر القضايا حساسية كالتجنيس وصلاحيات مجلس النواب ومجلس الشورى ، ومستقبل الجمعيات السياسية وإمكانية تحويلها لأحزاب ، وغيرها من القضايا التي ربما لا تناقش في وسائل الإعلام بنفس القدر من الصراحة التي تناقش بها في جلسات الحوار ، فأي حوار يمكن أن ينتج حلا (جذريا) لهموم الوطن ، إلا إذا كانت الجمعية تريد فرض حل تراه جذريا ، ولم تنجح في إقناع سائر أطراف الحوار بشأنه ، أو أنها تريد حوارا تكون هي مركزه والعنصر الحاكم فيه على حساب كافة الأطراف الأخرى.

ومن مبررات الانسحاب للوفاق التي أوردتها أنها لا تمثل سوى ١,٦٪ من إجمالي أطراف حوار التوافق الوطني ، في حين أبدوا رغبتهم أن يكون تمثيلهم لا يقل عن ٦٤٪ من المشاركين في الحوار ، بمعنى أن الوفاق كانت تريد أن تكون هي غالبية أطراف الحوار ، تتحكم في جدول أعماله ، وتتحكم في مخرجاته ، في حين أن صيغة التوافق بعيدة عن أن يستأثر طرف بهذه المخرجات ، وإذا كانوا يتحدثون عن تمثيل مذهبي فإنهم يتناسون أنهم لم يدعوا إلى الحوار باعتبارهم ممثلين لطائفة مذهبية ، بل باعتبارهم ممثلين لجمعية تمارس العمل السياسي في مملكة البحرين .

إن جمعية الوفاق ارتكبت خطأ استيراتيجيا بانسحابها من حوار التوافق الوطني في هذه المرحلة الهامة من تاريخ الوطن ، حيث تتطلب تضافر كل الجهود ، وإخلاص النوايا للخروج من عنق الزجاجة ، هذا إذا كانت هناك النية الصادقة لإنهاء الأزمة السياسية التي تشهدها البلاد من جراء أحداث فبراير الماضي ، إن قواعد اللعبة السياسية في أي مجتمع أن تتعامل مع كل القوى والأطراف الفاعلة لا أن تقوم بإقصائها ، ولا يمكن لجمعية الوفاق ولا غيرها من الكيانات السياسية أن تنفرد بالعمل السياسي ، لأن طبيعة المجتمع

البحريني تعددي يضم أطيافا وألوانا سياسية متعددة .

إن هذا الانسحاب من الحوار الوطني قد يثير عدة تساؤلات لدى الرأي العام ، من قبيل ما الذي يجري من وراء الستار ؟ ومن الذي يتخذ القرار بالمشاركة في الحوار بعد تردد كبير ؟ ثم حينما ظهرت بوادر الانسحاب من الحوار ، وظهرت تصريحات علنية من وفد الوفاق المشارك في الحوار تذكر بأنها رفعت توصية بالانسحاب من الحوار ، فما الذي جعلهم في البداية يقبلون ؟ وما الذي جعلهم في منتصف الطريق يرحلون ؟ وأية مستجدات جعلتهم يتخذون هذا القرار ؟

وربما من الخطأ أن تظن الوفاق أو غيرها من الكيانات السياسية أن بانسحابها تفشل جهودا حثيثة قام بها مكونات المجتمع البحريني السياسية والأهلية والاقتصادية في سبيل تجاوز الأزمة الراهنة ، لأن هذا الانسحاب ربما يضر الفريق المنسحب أكثر من ضرره للمشهد الحواري الذي يدار بحرفية واقتدار ، والذي نأمل أن يثمر صيغة تعيد البحرين إلى بر الأمان .

الحرب الإعلامية الإلكترونية

المتتبع لآليات التواصل الاجتماعي مثل(التويتر)و(الفيس بوك) و(البلاك بيري) بشكل منتظم يدرك أن الجهود التي تقوم بها المعارضة البحرينية بأسمائها المتعددة (شباب ١٤ فبراير) و (شباب اللؤلؤة) وغيرها من المسميات هي جهود منظمة بإتقان، ومخطط لها بعناية ، وهناك كتيبة إعلامية تم تدريبها للتواجد الإعلامي الفعال في كل المنتديات والمواقع الإلكترونية ، ولا يمكن أن تكون هذه الجهود جهودا فردية أو عشوائية، أما من يقف وراء تلك الجهود الإعلامية فإن الإجابة على هذا السؤال متروك لفطنة القارئ .

وقد قمت في إحدى محاضرات تطبيقات في بحوث الإعلام مع الطلاب بعمل تحليل مبدئي لمحتوى أحد مواقع التواصل التي تبرع فيها المعارضة وهو تويتر ، وقمنا بعمل بحث عن كلمة البحرين ، ثم صنفنا التغريدات الواردة في نتائج البحث ، وكانت النتيجة أنه مقابل كل تغريدتين مؤيدة للنظام وللاستقرار في مملكة البحرين وتكتب عنها بشكل إيجابي ثمان تغريدات تقوم بالحديث بشكل سلبي من المنتمين للمعارضة ، وهو ما يعني كثافة أعلى للمعارضة في الوجود الإلكتروني ، وتدريبا أكبر على (التتويت) من خلال إضافة (الهاش تاج) لكلمات البحرين ، و(ثورة ١٤ فبراير) ، وعمل (ريتويت) لكل ما ينسجم مع منطق المعارضة في تفسير الأحداث في مملكة البحرين .

كما يوجد في بعض الأيام حملات منظمة للحديث عن قضية واحدة يتشارك فيها الجميع بالكتابة وإرفاق الصور أيا كان مصدرها ، وإرفاق ملفات الفيديو ، بما يرجح الاستنتاج الذي أوردناه من وجود تنظيم ما لكتيبة إعلامية تعمل في مجال الإنترنت بشراسة ، كما أنهم يطالبون في مواقعهم علنا بانضمام أفراد جدد إلى هذه الكتيبة ، من خلال نشر الإعلانات التي تطلب من لديه خبرة في برامج تركيب الصور ومعالجتها (الفوتوشوب) أو (الهاكرز) الذين يهاجمون المواقع الإلكترونية المختلفة .

هم يقسمون أنفسهم ، قسم خاص بتجميع القوائم البريدية لإرسال آلاف الرسائل الإلكترونية التي تحتوي على سب النظام الخليفي والسعودي ، وسب كل من عداهم ، وتبشر بالتمكين للصالحين من عباد الله (يقصدون أنفسهم بطبيعة الحال) ، وقسم خاص بالفيس بوك ، وآخر بالتويتر ، وآخر بالبلاك بيري ، وآخر خاص بالمواقع الإلكترونية المختلفة لكتابة الردود والتعليقات على المقالات والأخبار ، أو المشاركة في الاستفتاءات واستطلاعات الرأي الإلكترونية لترجح الكفة التي تحمل وجهة نظرهم ، وغيرها من الأقسام .

وهذا يتطلب حقيقة من هيئة شئون الإعلام ومن التجمعات والكيانات السياسية الأخرى أن تدرك أن لديها مسئولية كبيرة في مواجهة الشائعات وتفنيدها ، وشغر الساحة الإعلامية الإلكترونية بما يضمن وصول الصورة الصحيحة عما يحدث في البحرين .

فالإعلام ليس فقط تليفزيون وراديو وبعض الصحف الورقية ، الفضاء الإعلامي الآن أرحب مما كان بعشرات المرات ، وإذا كان دور هيئة شئون الإعلام الدفاع عن البحرين ومؤسساتها الرسمية ودستورها وميثاقها الوطني وقيم المجتمع وثقافته وأخلاقه فإن مجال تحقيق الأهداف لابد أن يتسع ليشمل كل آليات التواصل الإلكتروني الحديث حتى لا تترك الساحة لمن يشغلونها بالغث والسمين .

وأخيرا أقول إنه مهما كان حجم الوجود والكثافة الإعلامية قويا ، فإنه لن يثمر شيئا ما لم تكن هناك قضية عادلة ، وهذا ما يراهن عليه المجتمع البحريني بكل أطيافه .

المفهوم الحقيقي للمواطنة

يزعم كل طرف من أطراف القوى السياسية أنه يتخذ قراراته ويحدد مواقفه انطلاقا من مفهوم المواطنة ، والغيرة على الوطن الذي ينتمي إليه ، ولكن البعض يخطئ مفهوم المواطنة ، فهي ليست فقط أن يتمتع المواطن بكافة الحقوق التي كفلها له الدستور والقوانين كالحق في الحياة الكريمة ، والحق في التعبير عن الآراء بحرية ، والحق في اعتقاد ما يشاء من الأفكار والمعتقدات سواء كانت دينية أو سياسية ، والحق في السكن والتعليم والعلاج ، وغيرها من الحقوق ، بالرغم من أهمية هذا الشق في مفهوم المواطنة .

لكن هناك شقا آخر لا يقل أهمية في مفهوم المواطنة ، وهو ذلك الذي يتعلق بالواجبات التي يؤديها الفرد إلى مجتمعه الذي ينتسب إليه ، والتي يأتي على رأسها الانتماء الكامل للوطن الذي يعيش فيه ، وليس لسواه ، ثم الانضباط للقانون ،لا الخروج عنه ، ودفع الضريبة للدولة ، والدفاع عن الوطن مما يحدق به من أخطار .

وأصل كلمة (المواطنة) في لغتنا العربية كما جاء في لسان العرب مشتقة من (الوطن) ، وهو المنزل ، ومكان الإقامة ، و(المواطن) هو الذي نشأ معك في وطن واحد ، أو الذي يقيم معك ، وفيه دلالة على أن الوطن وفقا لمفهوم المواطنة يمثل البيت الذي يسكنه الفرد ، فهو مهما غاب عنه إلا أن له حنين إليه ،و إليه العودة في نهاية المطاف .

ولمفهوم المواطنة أركان ثلاثة لابد أن تتحقق ، الأول : العلاقة بالمكان ، حيث لا يتصور مواطنة بلا موطن ، ويجب أن تكون العلاقة بين الفرد ووطنه علاقة انتماء ، بل والغيرة عليه مما يمسه أو يسيء إليه ، وقد ضرب لنا النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أروع المثل حينما ذرفت عيناه الدمع وهو يودع وطنه الذي ولد وعاش فيه (مكة) حين هاجر إلى يثرب ، وخاطبها بقلبه قبل لسانه قائلا : (والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله ، وأحب بلاد الله إلي ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت)

أما الركن الثاني من أركان المواطنة فهو العلاقة بالأشخاص الذين يتشاركون العيش معا داخل الوطن الواحد ، وهم المواطنون الذين لهم حقوق المواطنة الكاملة ، وأهم تلك الحقوق أن لا يتم التعدي على أمنهم وحرماتهم وممتلكاتهم ، وأن تتوفر للجميع المساواة في الحقوق دون تمييز بسبب الجنس أو اللون أو العرق أو الدين أو المذهب ، فالتعايش السلمي المشترك هو أهم ملمح من ملامح المواطن الوفي تجاه من يتشارك معه في العيش على ثرى الوطن .

والركن الثالث يتعلق بالعلاقة بين المواطن والسلطة التي تسير الأمر العام وتدير شئون الوطن ، وتتحدد العلاقة بين المواطن والسلطة من خلال حزمة القوانين والتشريعات والدساتير والمواثيق العامة التي ارتضاها المجتمع وفق آليات التشريع لديه ،وتحفظ له حقوقه وواجباته ، ويرجع بعض الباحثين ظهور وتعميق مفهوم المواطنة إلى ظهور الدولة الحديثة التي أطرت لهذا المفهوم ، وصبته في قوالب قانونية ، لكن آخرين يعودون بظهور فكرة المواطنة إلى عصر الإغريق والعصور القديمة .

إن المواطنة الصادقة تستوجب أن يبادل المواطن وطنه الحب ، ويبادل مواطنيه الاحترام ، ويبادل نظامه التناصح من أجل الوصول إلى غاية واحدة : رفعة الوطن ونمائه وازدهاره .

وألف بين قلوبهم

يجب أن لا ينسى كل بحريني مهما كان انتماؤه وميوله السياسي أن أهم ما يميز هذا الشعب هو التعايش الذي صاحب أهله على مدار السنين ، وأن السلام الذي رفرف على طوائف المجتمع وفئاته هو قدر كل بحريني يعيش على هذه الأرض ، لا تستطيع الدولة أن ترفرف نحو المستقبل بجناح واحد ، وليس بإمكان أحد أن يفرض رأيه على الآخر فرضا ، متى كان التعامل بين أهل البحرين بلغة الإقصاء والنبذ والتقليل من الرأي الآخر أو عدم المبالاة به ؟ متى تم هذا الفصل السافر بين طوائف الشعب ؟ مئات وآلاف الأسر الذين يعيشون تحت سقف واحد وينتمون إلى مذاهب متعددة ، كل يحترم الآخر ، وكل يعطي للآخر حقه في اعتناق ما يشاء من الآراء دون أن تشعر أن أيا منهما ينتمي إلى هذه الطائفة أو تلك .

ومتى كان الخروج على القانون ، و فرض الرأي الواحد على الآخر المختلف معي كان سمة أهل هذا الوطن ؟ متى كان في تاريخ البحرين - هذه الجزيرة المعروفة بحميمية العلاقة بين منتسبيها - يسأل الواحد أخاه أسني أنت أم شيعي ؟ أو يعطي هذا التصنيف اعتبارا هاما كما يحدث من البعض في تلك الأيام ؟؟

يا أيها الشعب البحريني المسالم ..عودوا إلى طبيعتكم ..عودوا إلى خصالكم ..حافظوا على وطنكم وأمنكم ، حافظوا على مكتسبات وطنكم ..أعطوا العالم دروسا في التعايش كما كنتم دائما ..على كل بحريني سنيا كان أم شيعيا ، مسلما أم غير مسلم أن يحرص على حرمات أخيه في الدين وأخيه في الوطن وأخيه في الإنسانية ، وتذكروا حديث نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم (كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه) ليس من حق السني أن يخوض في عرض الشيعي بالسب أو الشتم أو التحقير ، وليس من حق الشيعي أن يفعل ذلك مع إخوانه من السنة ، بل إن من واجب كل مواطن أيا كان انتماؤه أن يحرص على حياة أخيه ، وأن يدافع عنه كما يدافع عن نفسه .

وإذا كان من حقي أن أرى رأيا أو أتخذ موقفا فإنه ليس من حقي أن أقوم بفرضه على غيري ، كما أن تعبيري عن رأيي لا يأخذ شكلا من أشكال النيل من الآخر ، هذه هي الديمقراطية ..أن أعبر وأن أدع الآخرين يعبروا عن آرائهم .. رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب كما كان الشافعي رحمه الله يقول ، وأن أعبر عن رأيي وأدافع عن الآخر ليعبر عن رأيه كما كان يقول فولتير ..هذا هو السلوك المتحضر في التفكير

.. وهذه أسس الديمقراطية ، وهذا ما كان عليه المجتمع البحريني الرائع طيلة السنوات الماضية .

فيا عقلاء الأمة من كل طائفة .. يا أيها الحكماء هذا وقتكم فاعملوا عملكم .. بينوا للناس الحقائق ..أزيلوا الغبار الذي انتشر في سماء المحبة التي هي ديدنكم ..قوموا بجهودكم المخلصة لوجه الله تعالى للتأليف بين قلوب أتباعكم ومن يثقون فيكم ..فهذا وطنكم ووطن أبنائكم وأحفادكم الذين ينتظرون عهدا تتآلف فيه القلوب ، فالشحن لا يصنع سلاما ، التحريض لا يصنع ودا ..حب الآخر والتعايش معه أهم مفردات السلوك المتحضر حتى تجتاز الدولة هذه المرحلة وهي أقوى مما كانت ، وأحب مما كانت عليه.

عروبة البحرين في لجنة (جيوشياردي) لتقصي الحقائق

«لم تكن هناك تباينات طائفية حول النقطة موضوع البحث. فحتى رجال الدين من الطائفتين السنية والشيعية اتفقوا على رأي موحد. وممثلو إدارات الوقف الدينية التي تنظم على أساس الطائفة، رفعوا صوتا يعبر عن عدم وجود خلافات في الرأي، حتى في التفاصيل ، ولم يكن هناك أي تمايز مهم بين وجهات نظر السكان المنحدرين من المناطق الحضرية وأولئك المنحدرين من المناطق الريفية، على الرغم من وجود اختلاف بسيط في ما شددوا عليه، حيث بدا سكان الحواضر أكثر اهتماما ومعرفة بالمطالب الإيرانية وبالتالي أكثر صراحة في تطلعهم إلى حل، فيما كان تركيز ممثلي الجماعات الريفية على هويتهم العربية وعلى عروبة البحرين. ورغم أن هذا الأمر الأخير لم يكن موضوعا لأسئلتي، فانه بدا أن القرويين أكثر تعبيرا كافيا عن رغبتهم في استقلال البحرين كجزء من الأمة العربية «

الفقرة السابقة وردت في تقرير الإيطالي فيتوريو وينسبير جيوشياردي الذي كلفته الأمم المتحدة بإعداد تقرير(تقصي الحقائق) عن سكان جزر البحرين في عام ١٩٧٠م، والذي كان مقدمة لتأكيد هوية البحرين وعروبتها ، وإنهاء للأطماع الإيرانية في هذه الدولة الصغيرة ، والذي أشار إلى أن عروبة البحرين لم تكن موضعا للنقاش لدى الكثير من المجالس والأندية والتجمعات والكيانات التي قام بمقابلتها وتسجيل محتوى مقابلاته لأعضائها .

كما أورد التقرير أن الأغلبية الساحقة من شعب البحرين ترغب في أن تنال الاعتراف بذاتيتها ضمن دولة مستقلة حرة ذات سيادة، تقرر بنفسها شكل علاقاتها مع الدول الأخرى ، وقد تحقق لها ذلك بعد انضمامها عضوا في جامعة الدول العربية في ١١ سبتمبر ١٩٧١م ، ليؤكد شعبها أنه عربي الهوى والهوية ، وجزء أصيل لا يتجزأ من التاريخ العربي ، والواقع العربي ، والمستقبل العربي .

كما يحتوي التقرير على ٥٧ فقرة منفصلة ، بالإضافة إلى قائمة طويلة بأسماء المجالس والمنظمات والدوائر والأندية التي قابلها واستقى معلوماته وبياناته من منتسبيها ، وقد قدم هذا التقرير في مجلس الأمن ، وأقره بالإجماع في الحادي عشر من شهر مايو ١٩٧٠م ، في جلسة حضرها مندوبو الدول الكبرى الخمس والدول غير دائمة العضوية وممثلون عن

كل من البحرين وإيران والدول العربية، مما اضطر إيران للقبول بما جاء في لجنة تقصي الحقائق ، وصادقت عليها في نهاية شهر مايو ١٩٧٠م .

وحسنا فعل مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة للثقافة والبحوث حين أصدر كتابا وثائقيا عن هذا التقرير بعنوان (فيتوريو وينسبير جيوشياردي ودوره في تأكيد سيادة وهوية البحرين) وأعد الكتاب الدكتور عبد الله المدني الذي يعود له الفضل في إعادة التعريف بالتقرير وصاحبه ، كما نشرت عدد من التقارير الإعلامية المحدودة عن التقرير ، منها ما قامت جريدة الشرق الأوسط بنشره عن مؤلف الكتاب ، وعن محتواه في أغسطس ٢٠٠٨م ، وتحدثت عن نسيان غير متعمد للشخصية العظيمة التي قامت بإعداد هذا التقرير .

غير أن الأمر لا يعدو كونه إحدى الدلائل التي لا نحتاجها لإثبات عروبة البحرين ، كما لسنا بحاجة إلى إثبات أن الشمس تشرق من جهة المشرق ، وتأفل من الجهة المقابلة ، وستبقى البحرين جزءا هاما من العرب بحكم التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والثقافة والتراث ..وسيمثل شعبها حائط صد أمام كل من يحاول المساس بعروبتها .

المعارضة ومنطق (تصفير) الانتخابات التكميلية

من حق بعض فصائل المعارضة أن تمتنع عن المشاركة في الانتخابات التكميلية القادمة إذا رأت في تلك الخطوة ما يحقق أهدافها ، أيا كان حجم الاتفاق والاختلاف مع مشروعية هذه الأهداف ، ففي النهاية لا يمكن إجبار أحد على الذهاب إلى صندوق الاقتراع ليدلي بصوته في الانتخابات النيابية التكميلية أو أي انتخابات أخرى ما لم يُنص على عكس ذلك في القانون .

لكن الغريب في الأمر ما دعا إليه بعض رموز المعارضة من إفشال عملية الانتخابات برمتها ، من خلال الدعوة إلى ما أسموه « تصفير « اللجان الانتخابية ، وهو ما يخرج الموضوع كله من ممارسة الحق في التصويت أو عدمه إلى تأليب الرأي العام ضد الانتخابات ومحاولة التأثير سلبا عليه ،والسير في طريق معاكس لما نصت عليه بنود الدستور والميثاق الوطني الذي توافقت عليه كافة القوى السياسية الوطنية المخلصة .

وبغض النظر عن المصطلح الذي صكته المعارضة التي تبرع في استخدام مصطلحات لها بريقها وهو مصطلح التصفير ، فإننا يمكن قراءة خلفية الدعوة إلى تصفير الانتخابات، ومنها :

أولا : شعور المعارضة بالحرج الشديد من أدائها السياسي الضعيف والمتذبذب أثناء عملية الحوار الوطني الذي سيطر على اهتمام الرأي العام المحلي والإقليمي ، وأشادت به العديد من الدوائر الدولية من خلال حملة تسويق ناجحة لفعاليات الحوار ، حيث شهدت ساحة الحوار ترددا وتأخرا في الانضمام لفعالياته من المعارضة ، حتى أن قرار المشاركة لم يتخذ إلا قبيل انعقاد جلساته ، ثم قرار الخروج والانسحاب من جلساته قبيل انتهائه بعد فشلها في الاستئثار بمنهج وآلية إدار الحوار .

ثانيا : نجاح الحكومة في امتصاص الأزمة ، وإفشال مخطط المعارضة في تشويه صورة مملكة البحرين لدى الرأي العام العالمي ، وذلك من خلال عدد من الآليات التي اتبعتها لدحض ادعاءات بعض فصائل المعارضة ، حيث قام جلالة الملك بالدعوة إلى تشكيل لجنة أممية لتقصي الحقائق بمبادرة ذاتية ، وقد مثل تشكيلها في حد ذاته ضربة قاصمة للمعارضة ، إذ أعطت رسالة مفادها أن ليس لدينا ما نخاف من الكشف عنه ، وحتى مع الاعتداء على اللجنة والبصق على بعض أعضائها ، فإن اللجنة واصلت عملها دون أن يؤثر

ذلك على سير عملية التقصي .

ثالثا : الخطاب الهام الذي ألقاه جلالة الملك في العشر الأواخر من رمضان ، والذي أعلى فيه نبرة التسامح والعفو عمن طاله شخصيا بالإيذاء ، وهو ما أربك حسابات المعارضة التي تشيع بأن النظام ظالم لا يعترف بالحقوق ، وبالرغم من أن البعض من الطرف الآخر لم يرتح لنبرة الخطاب إلا أن القيادة الحكيمة فيما يبدو أنها تتمثل مقولة أبي بكر رضي الله عنه في التعامل مع المعارضة (لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف) وهو ما لايروق للمعارضة التي تحاول تأجيج الأوضاع بأي ذريعة ، وتستغل أي حدث مهما كان بعده أو قربه من الأحداث لإلباسه ثوب الأزمة السياسية .

وبطبيعة الحال هناك أسباب وتدخلات أخرى إقليمية ودولية لمحاولة تأجيج الأوضاع قبيل واثناء انعقاد الانتخابات النيابية التكميلية في مملكة البحرين ، وهو ما لا تتسع مساحة هذا المقال للحديث تفصيليا عنها .

التعايش أمر محتوم

يروق لي أن أتابع حسابات قليلة على مواقع التواصل الاجتماعي لفئة عاقلة ، تنتمي للطائفتين الكريمتين سنة وشيعة ، لا تزال تؤمن – بالرغم من كل الملاسنات الكلامية – بالحوار المتحضر ، والحرص على انتقاء العبارات المهذبة حين تتحدث عن الطرف الآخر المختلف ، وبغض النظر عن الحسابات التي تأخذ السباب مسلكها وطريقها في التدوين ، فإن أصالة هذا الشعب الكريم تسمو فوق كل الخلافات المذهبية ، أو النزاعات السياسية .

فلا يمكن أن يتصور أن يتم إقصاء طرف دون الآخر ، كما يصور الخيال المريض للبعض، فالأزمة مهما بلغت ذروتها لابد في نهاية المطاف من التعايش المشترك ، ولابد من مداواة الجراح التي تسببت فيها أحداث فبراير ..حتى يتعافى الوطن بسواعد أبنائه الفتية، وهذا دور النخبة في كل طائفة في هذه الفترة الفارقة من تاريخ البلاد .

إن النخبة العاقلة من الطائفتين هي التي لاتنساق للأفكار الحماسية الهدامة التي تجري على لسان العامة ، لأن هذا هو الدور الذي يجب أن يضطلع به العقلاء من كل جانب ، وهو تبيان حقيقة حتمية التعايش ، وردم الهوة التي سببها المغالون في المواقف ، والمتشددون في أحكامهم على الآخرين ، إن الحملات المنظمة التي تحمل عبارات السباب التي يقوم بها البعض يجب أن تتوقف ، وإن حسن النوايا لابد أن يغلّب ، ولغة الحوار لابد أن ترتقي لتتناسب مع قيم التحضر والرقي في الحوار .

وإذا ناقشت هؤلاء المغالين المتشددين في المواقف نقاشا منطقيا عقليا تجده لا يثبت طويلا ، لأنه لا يجيد سوى لغة واحدة ، تعتمد على العواطف الثائرة ، والعبارات الغاضبة الحانقة على الآخر ، وعلى المجتمع بشكل عام ، إن كل طرف من طرفي الخلاف يعلن أنه مسلم لله ، لكن كل من يعمق الخلاف في المجتمع يخالف أمرا إلهيا صريحا ، يقول الله تعالى في القرآن الكريم (واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا) لابد من العودة في هذه المرحلة – وفي كل مرحلة – إلى كتاب الله تعالى لنبحث فيه عن طريقة معالجتنا للأمور، وتكوين اتجاهاتنا صوب الأحداث ، إن التفرق والانكفاء على الذات ، وتعميق الهوة مع الآخر لن يفيد أحد الأطراف ، ولن يتسبب في انتصاره على الآخر ، فالتفرق لغة انهزامية لا تتفق مع ما نادت به شريعتنا التي ننضوي جميعا تحتها .

وليحمد الجميع الله تعالى أن لم تلق هذه البلاد مصائر مظلمة كما هو الحال في سوريا أو اليمن ، أو ليبيا ، ولنتدارك ما يمكن نتداركه من سبل التعايش والوحدة ، لأنها قدر محتوم

في هذا البلد المتنوع المذاهب والأديان ، ولا فكاك عنه ، وإذا كان ديننا يحثنا على التعايش مع غير المسلمين أنفسهم ، فما بالك بمن يتشاطر معك في الدين والهوية واللغة والعادات والتقاليد وكثير من القيم ، والله لم يأمرنا بأن نتخاطب مع بعضنا البعض فقط بالحسنى، بل أمرنا أن نتحاور مع الناس جميعا ، ولا نقول لهم إلا ما حسن من القول ، حيث قال سبحانه (وقولوا للناس حسنا) ، ولم يقل وقولوا للمسلمين حسنا ، لأن القول الحسن لابد أن يمتد بظلاله إلى الجميع ، فإذا حققنا ذلك تحقق السلام الاجتماعي والنفسي لمجتمعنا الذي نحرص جميعا على حاضره ومستقبله .

الفتنة نائمة ..لعن الله من أيقظها

أخطر ملف يمكن التلاعب به في أي دولة ..الفتنة الطائفية ..حيث يقوم العابثون باستغلال العاطفة الدينية التي هي أقوى العواطف وأكثرها حماسا لدى الشعوب المتدينة مثل شعوبنا ،في محاولة تحقيق أهدافهم ، وذلك لكسب المواقف وحشد الجماهير لأفكارهم الفئوية والطائفية ..وذلك ما يمكن تسميته بـ (المتاجرة بالأديان السماوية من أجل تحقيق مكاسب سياسية) وهو ما كانت تقوم به الحكومات الثيوقراطية من قبل ، حيث كانت توهم الأفراد بأن ما تتخذه من قرارات إنما يباركها الله تعالى ، حتى تسقط القداسة التي لله على قراراتها ومواقفها القابلة للصواب والخطأ .

حدث ويحدث ذلك في إيران حين يربط ساستها قداسة القرارات السياسية بقداسة الإسلام ذاته ، وهي الخطيئة الفكرية التي تجعل فهم الدين هو الدين ذاته ، حتى وإن كان هذا الفهم هو أبعد ما يكون عن الدين ، فالدين واحد ، ولكن فهم البشر له متفاوت ، لذا ورد في الحديث الذي رواه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » .

وفي مملكة البحرين قبل أحداث فبراير لم تكن هناك مشكلات بين السنة والشيعة ، كان الود والحوار والاحترام المتبادل سيد المواقف كلها ، لم يكن يسأل أحد آخر أسني أنت أم شيعي ، لدرجة أن هناك كثير من طلابي لم أكن أعرف مذهبهم ، ولم أكترث بمعرفته، كان الحديث عن المذهب أو الطائفة ضميرا مستترا يعود على غائب لا يود أحد معرفته، ولكن المشهد الآن لا يستطيع إنكار ملامحه أحد ، وقد وصل الأمر لحد مقاطعة بعض المحلات والمتاجر لأن أصحابها ينتمون لطائفة أخرى ، والمسئول عن كل ذلك هو الانتهازية السياسية لمن يستغلون الدين والمذهب لمحاولة تحقيق المكاسب السياسية .

ثم من المسئول عن إشعال الفتنة الطائفية في شرق المملكة العربية السعودية بعد أن كانت خامدة ، من الذي خرب وأرهب ، وحمل المولوتوف في وجه نظام سخر نفسه لخدمة دين الله ، وللحرمين الشريفين ، إذ تمثل إثارة الفتنة هناك باسم الدين أكذوبة واضحة، لذا كانت المملكة العربية السعودية واضحة حينما وسمتهم بالإرهابيين ، الذين ينفذون أجندات خارجية ، في محاولة يائسة لصرف الأنظار عما يحدث في سوريا ، ولتخفيف الضغط الإعلامي عليها .

وفي مشهد آخر للفتنة الطائفية ما شهدته القاهرة من مأساة دامية أمام مبنى

التليفزيون (ماسبيرو) حينما تظاهر الأقباط في كل من القاهرة والإسكندرية وأسوان وعدد آخر من المحافظات في توقيت واحد ، رافعين شعارات طائفية في لحظة تاريخية لا تحتمل المطالب الطائفية ، فكانت مأساة التضحية بنيف وعشرين قتيلا من الأقباط والجيش ، بالرغم من قيام الجيش المصري ببناء كنائس تهدمت وأدا لفتنة نائمة ، يحاول البعض أن يوقظها في ظل تلك الظروف الحالكة .

إن ما يجمع بين المحرضين على الفتنة الطائفية جميعا الاستقواء بالخارج ، واستجداء المنظمات الدولية لانتزاع بيانات وتقارير تمثل أسلحة إعلامية في أيديهم ، وعدم إدراكهم لخطورة ما يقومون به من تأجيج للصراعات المذهبية والطائفية ، متناسين أن نار الفتنة إذا شبت فستحرق الجميع ، وهم في مقدمة هؤلاء ، لذا كان الدعاء باللعنة على من أيقظ الفتنة في بلادنا .

المعارضة بين الاستقواء والاستجداء

سيظل للعمل الوطني السياسي ثوابته ومبادؤه وأصوله ، إذ لا يمكن القبول بفكرة الوصاية الخارجية في العمل السياسي ، مهما بلغ الفكر الإنساني من تطور ، ومهما زحفت العولمة بأفكارها على العالم ، لأن المواطنة في النهاية قيمة لا يدركها إلا من كان الوطن أحب إليه مما سواه من الأوطان ، والوطنية لا يدرك معناها إلا من كان لديه راية بلاده أعز من كل الرايات .

قد يتحجج البعض بأننا الآن نحيا في عصر (الهوية العالمية) أو على حد وصف إدوارد سعيد في كتابه (الاستشراق) «مجتمع المواطنة العالمية» الذي تتآكل فيه الحدود السياسية والثقافية بين الأمم والشعوب ، إلا أن المبادئ الوطنية غير قابلة للتآكل ، ولا تقبل القسمة على اثنين ، فالتنوع الإنساني في الفكر وأنماط الثقافة وأساليب الإدارة والسياسة مبدأ إنساني مهما وصل من تطور في الفكر ، و تنظيم في الأيديولوجيا .

وفي مجتمعاتنا العربية لا يمكن أن نحيا بلا هوية ، و لا يمكن أن تتوافق المواطنة مع الاستقواء بالخارج على حساب الداخل ، فبعض الكيانات السياسية التي تقع في خندق المعارضة حينما تخفق في تحقيق انتصارات ومكاسب سياسية داخلية تتوجه بأبصارها نحو الخارج ، وحين تخفق في إقناع الرأي العام الداخلي بمنطقها ، وأولوياتها ، تتوجه إلى الرأي العام الدولي ، علها تجد فيه معينا ونصيرا ، لكن كل رهانات الخارج ليس لها أدنى قيمة ما لم تتناغم مع تجاوب الداخل ، وربما يصدق على تلك الحالة مقولة نبي الله عيسى عليه السلام « ماذا لو كسب الإنسان العالم ، وخسر نفسه ؟!»

وبالقطع فإن الرأي العام العالمي يمثل مصدرا من مصادر التأثير ، ولا يمكن لنظام أن يتغاضى عنه أو يهمله ، بيد أن أي نظام لا يمكن أن يكون أسيرا له ، خاصة إذا ما تعارض مع المصالح العليا للوطن ، أو كان قائما في ظل غياب معلومات صائبة ودقيقة عن الموقف الداخلي ، ومن هنا يمكن التعامل معه من خلال تبيان الحقائق بالأدلة والبراهين ، وتزويده – عن طريق الإعلام لا الدعاية – بما يبصره بمجريات الأحداث .

في حالات صارخة يكون الرأي العام العالمي هو الفاعل الرئيسي في الأحداث ، يحدث ذلك في الأحداث الاستثنائية ، حيث لم يستطع الضمير العالمي أن يغض طرفه عن المجازر الجماعية في البوسنة والهرسك في تسعينيات القرن الماضي ، كما لن يكون بمقدور الرأي العام العالمي السكوت طويلا أمام ما يتعرض له الشعب السوري من تنكيل وسفك لدمائه

وانتهاك لحرماته .

وقد يتحول الاستقواء بالخارج ، لينحو منحى متطرفا ، كأن يكون الاستقواء علانية دون خجل أو مواربة ، و أن تكون خططه مكشوفة للجميع ، أو يختلط بالعمالة وخيانة الوطن ، أو يطلب من الخارج ما لايستطيع عمله بالداخل ، هنا يكون استجداء تلفظه أدبيات السياسة والوطنية ، ويتحول هذا المستقوي المستجدي إلى ألعوبة في يد الأطراف الخارجية ، لتحقق أجندتها الخاصة ، دون أن تأخذ في اعتبارها مصالح المستقوين ، لعلمهم أنهم نفعيون ، لا يقيمون للمبادئ وزنا ، ولا للأوطان حرمة ، وماذا عسى من باع وطنه بثمن بخس إلا أن يبيع كل مبادئه في أقرب فرصة ، وقديما قالوا : إذا لم تستح فاصنع ما شئت !!

موقف الشعب المصري تجاه عروبة البحرين

لا تحتاج مسألة (عروبة البحرين) إلى إثبات من أحد ، ولا تحتاج هوية البحرين العربية والإسلامية إلى مراجعة كتب التاريخ أو الجغرافيا ، ولكنها تحتاج لدى البعض إلى مراجعة كتاب المواطنة ، كما أننا لسنا بحاجة لإثبات هوية الخليج العربية ، فاللغة والتاريخ والدين والأخلاق والعادات والقيم العربية تتحدث بها كل قطرة من قطرات مياهه ، وكل بقعة نفط خارجة من بين ثناياه .

وبغض النظر على مزايدة البعض على تسمية الخليج ، أو تحرجهم من وصفه بالعربي ، فالخليج كان وما زال وسيظل عربيا ، يعلم ذلك القاصي والداني ، ويدركه القريب والبعيد ، من يعمل في مجال السياسة ومن ليست له بها أدنى صلة .

وقد حدث في الفترة الأخيرة أن قرعت المعارضة الأبواب المصرية ، للتمسح بثورتها ، والتعمية على التسمية الصحيحة لما حدث في مملكة البحرين منذ فبراير الماضي وإلى الآن ، وللإيحاء بأن ما حدث ويحدث في البحرين مشابه لما حدث في مصر وتونس وليبيا ، أو ما يحدث في سوريا واليمن ، ولما لم يجدوا آذانا صاغية لادعاءاتهم ، ووجدوا هذا الوعي والإدراك من النخبة المصرية الثورية بحقيقة تجاذبات السياسة وأطرافها وخططها في هذه المملكة الصغيرة التي تقع في قلب الخليج العربي ، وجدوا ضالتهم في بضعة أشخاص ربما لم تكن لديهم الحنكة السياسية ، الذين بدورهم أصدروا تصريحات تحتمل أكثر من وجه ، وربما يكون سياقها قد بتر لتشير إلى معان قصدتها المعارضة التي لم تجد ضالتها في مصر ولا بين أهلها .

إن مصر شعبا وقيادة.. التي قادت الأمة العربية نحو أفكار الوحدة والعروبة والقومية، لا يمكن لها إلا أن تتخذ هذا الموقف الرافض للمحاولات اليائسة لطمس هوية البحرين العربية ، وإن أي فرد مصري يؤمن بأن الخليج عربي حتى النخاع ، وإن الحالة المصرية الراهنة التي تنشغل بترتيب أوراقها من الداخل لا تثنيها عن قضاياها القومية الوطنية ، ولا تنسيها قضايا أمتها الملحة ، والدليل على ذلك ما قام به الدور المصري في إنجاز صفقة تبادل الأسرى الفلسطينيين مع شاليط ، الذي اعترفت كل أطرافها أن الدور المصري كان الفاعل الأكبر في إنجازها .

إن شعب مصر ينظر إلى مملكة البحرين ، وإلى كل دولة عربية ، على أنها امتداد لها ، وأن كل القضايا التي تواجهها هي قضاياهم ، ولإن تأخرت الوحدة العربية سياسيا ، أو

أخفقت اقتصاديا ، فإن جذورها متحققة على المستوى الشعبي ، قد تحدث بعض الخلافات نعم ، لكن في وقت الأزمات تسمو الشعوب فوق كل تلك الخلافات لتثور في وجه كل معتد أثيم ، لايراعي للعروبة حرمتها .

ينظر الشعب المصري إلى المجتمع البحريني بكل طوائفه على أنه عربي الهوى والهوية، ويأمل أن يتجاوز الفرقاء السياسيون محنتهم ، أن يتوافقوا على كلمة سواء ، وأن يدخروا جهدهم وطاقاتهم لتنمية بلدانهم وتطويرها والارتقاء بها ، وأن يسود الأمن والأمان والعدل بين ربوعه ، وأن يعم الاحترام المتبادل بين مكوناته على اختلاف أطيافها ومآربها ، فالتنوع بين المجتمع الواحد مصدر من مصادر الثراء فيه ، أما الشقاق ..فلا طائل وراءه ، ودعاء من قلب كل مصري : فلتحيا البحرين عربية أبية ، وعاش الخليج العربي عربيا إلى الأبد .

أليس منكم رجل رشيد ؟؟

حينما انتشر الفساد في ربوع المجتمع ، وبلغ الفساد الأخلاقي ذروته ، وقف نبي الله لوط عليه السلام محاولا إصلاح ما فسد في مجتمعه بكل السبل ، وقدم العديد من البدائل لحل المعضلة الأخلاقية آنذاك ، وحينما لم يصغ إليه أحد ، استخفافا بدعوته الإصلاحية، وإغفالا لمواطن الحسن فيها ، قال لهم مخاطبا أي فرد عاقل فيهم ، أو مخاطبا النخبة المؤثرة لديهم ممن له بعض حكمة : يا قوم (أليس منكم رجل رشيد ؟؟) ، لكن للأسف، لم تلق دعوته ولا استغاثته بالنخبة العاقلة الراشدة صدى ، فكانت العقوبة العادلة من السماء .

ولا يختلف الفساد الأخلاقي عن مظاهر الفساد الأخرى في أي مجتمع ، من حيث كونه يمثل معول هدم لا بناء ، ويحتاج إلى جهود المخلصين الراشدين ، الذين يوجهون المجتمع وغالبية الشعب ، ويحذرونه من مكامن الخطورة ، ويأخذون بأيديهم إلى سبل الخروج من المآزق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية ، لأن لكل ذي عقل رشيد دور مهم في المجتمع ، فهم أداة تجنب المخاطر ، وأداة تصحيح المسار .

والمجتمع البحريني لا شك يمر بأزمة سياسية بلغت ذروتها في الأيام المنصرمة ، حينما ضُيِق على الأفراد في تنقلاتهم بإغلاق بعض الطرقات ، وسكب الزيت في الطرقات ، ضمن إطار تحركات يفترض أنها سلمية التوجه كما يدعي رموزها ، بل ووصل الأمر مداه حينما لاحت في الأفق بذور فتنة طائفية بين الطائفتين الكريمتين في المملكة ، سنة وشيعة ، حينما شهدت مدينة المحرق بعض مناوشات بين أفراد منهما ، وهو ما استدعى تدخلا أمنيا ، وإطلاق مسيلات الدموع .

والأهم من استخدام مسيلات الدموع استخدام مدرات الحكمة لدى أفراد المجتمع ، فليس من الحكمة أن تشهد البلاد تناحرا طائفيا قد لا يعرف نهايته ، وقد يعصف بكل مكتسبات عشرات السنين لا قدر الله ، ومن هنا نوجه نداءنا إلى كل ذي لب ناضج ، إلى النخبة من كل طائفة من عقلاء وحكماء ..هذا وقت عملكم في مجتمعكم ، لا تتركوا شبابكم فريسة للضغائن والأحقاد الطائفية ، ادعوهم لينفضوا يدهم عن كل ما يثير حفيظة الطرف الآخر ، لا تجعلوهم يضيقوا على الناس في حياتهم وانتقالاتهم ، ولا تجعلوهم يضيقون على الناس في ممارسة شعائرهم الدينية .

إن المعالجات الأمنية وحدها غير كافية في تلك الحالات ، فالمعالجة الفكرية لما أصاب

المجتمع لابد أن يتصدر لها (النخبة الراشدة) قبل أن ينزلق بعض شبابنا إلى الهاوية ، ودعونا من منطق الفعل ورد الفعل ، ومن بدأ المضايقات أولا أو آخرا ، فالشر لا يبرر الشر ، ولابد لمسيرة الإصلاح أن تستمر ، نعم قد يقول القائل : متى ضيقنا عليهم أداء شعائرهم الدينية في السابق ؟ إننا لم نضيق عليهم إلا حينما ضيقوا علينا ، وقام نفر منهم بإغلاق الشوارع والطرقات ، لكن للحكمة منطق آخر ، وأسلوب آخر في احتواء المواقف ، والوصول بالمجتمع إلى بر الأمان ، وهذا هو الدور الاستباقي الذي ينبغي أن يقوم به النخبة من كل طائفة ، أن يئدوا الفتنة قبل ظهورها واستفحالها ، أن يتحملوا مسئولياتهم بشجاعة في هذا الظرف التاريخي ، وأن يترفعوا عن تحقيق المكاسب الشخصية والذاتية ، مقابل تحقيق المكاسب لكل الوطن .

إنهم يسكبون الزيت!

لا شك أن المعارضة فقدت كثيرا من النقاط في الفترة الماضية ، على المستوى الداخلي، وعلى المستوى العربي والدولي ، وذلك للأسباب التالية :

أولا : الإخفاق في التأثير على الرأي العام العربي ، وإقناعه بصدقية و(مظلومية) ما يسمونه (ثورة) بحرينية ، حيث أدركت جهات عديدة أن الدفاع عن حقوق المظلومين ومناصرة إرادة الشعب كلمات حق يراد بها باطل ، يراد بها مد ذراع النفوذ الإيراني في المنطقة العربية ، والتهام مملكة تمثل بوابة مهمة لبلد رئيس كالمملكة العربية السعودية، سعيا وراء زيادة منطقة النفوذ الإيراني بعد أن تمكن بتحالفه مع الولايات المتحدة الأمريكية في التهام العراق ، وبعد الدفاع المستميت عن نظام يترنح في سوريا الشقيقة .

ففي مصر تم رفض مقابلة وفد المعارضة من قبل أرفع المسئولين ، مثل مشيخة الأزهر ، ودار الإفتاء المصرية ، والكنيسة ، وجماعة الإخوان المسلمين ، وغيرها من الأحزاب التي فطنت إلى اللعبة التي يحاولون تمريرها خداعا للرأي العام المصري والعربي ، وحتى وسائل الإعلام المصرية التي أعطت لهم نافذة يطلون منها على المصريين وعلى الرأي العام المصري فطنت إلى أن وراء الرغبة في الظهور إعلاميا أهداف يمكن للمبتدئ في عالم السياسة قراءتها ، فوقفت موقف المحايد الذي لا يعرض سوى الحقائق ، ويستمع لوجهتي النظر في الموضوع الواحد ، وكفى بالحقيقة سلاحا في مثل تلك المواقف .

ثانيا : إخفاق رموز المعارضة الوفاقية إعلاميا في إقناع الجماهير والرأي العام بأنهم لا صلة لهم بالمشروع الإيراني ، ولا بالأطماع الإيرانية في المنطقة العربية ، وساعد في ذلك تلعثم ضيوفهم أو تعثرهم حين طلب منهم أن يجيبوا على تساؤلات من شأنها إبانة الحقائق أمام الجماهير ، حدث ذلك حينما سئل الأمين العام للوفاق في قناة (أو تي في المصرية) عن سبب حذف كلمة (العربي) من وصف الخليج ، حينها تذرع بأن المصريين لا يصفون البحر المتوسط بالبحر العربي ، فكان إقرارا ضمنيا على اعتراضه على تسمية الخليج بـ (العربي) وهو المنطق الإيراني ، والرؤية الإيرانية في المنطقة .

كما حدث مرة ثانية حين التقى أحد ممثلي المعارضة في قناة الجزيرة مع الأستاذة سميرة رجب في برنامج (الاتجاه المعاكس) حين طلب منه إدانة لإيران عن احتلالها لجزر طنب الصغرى والكبرى وأبوموسى الإماراتية ، وتهرب من الإجابة عن السؤال بحجة أنه ليس من موضوع المقابلة ، بما يشير –على الأقل – إلى تفهم وجهة النظر الإيرانية

بهذه القضية .

ثالثا : استخدام بعض أعضاء المعارضة إسقاطات طائفية ، وعبارات من شأنها إذكاء الخلاف الطائفي ، وليس احتوائه ، مثل تقسيم المجتمع البحريني إلى معسكر الحسين ، ومعسكر يزيد ، وقولهم إن الحسين خط أحمر ، بالرغم من أن أحدا من كل أطراف النزاع لم ، ولن ، يتناول سيرة سبط رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، تقديرا له ولجده الشريف ، كل ذلك أدى إلى كشف المعارضة على أنها تتلاعب بوتر المذهب والطائفة رجاء كسب بعض المواقف ، أو إلهاب حماس الشباب المغرر بهم الذي خرج ليسكب الزيت في الطرقات ، بعد أن سكب رموز المعارضة الزيت على قضية الطائفية والمذهبية ، متناسين أن النار – لا قدر اللّه – حينما تشتعل ، فسيكونون أول من يحترق بها .

كيف نستثمر اختيار البحرين عاصمة للثقافة العربية ؟

لابد من استثمار اختيار البحرين كعاصمة للثقافة العربية في العام ٢٠١٢ م بشكل جيد ، فبالإضافة إلى الفعاليات الثقافية المتعددة التي أعلنت عنها وزيرة الثقافة الشيخة مي بنت محمد آل خليفة في مؤتمر صحفي قبل أيام ، إلا أن للثقافة مفهوم أوسع ، وربما نحتاج إلى أن لا تكون الفعاليات الثقافية حكرا على مجموعة من النخبة تحرص على ارتياد المهرجانات الشعرية ، ومعارض الفن التشكيلي ، ومعارض ثقافية أخرى ، نحتاج إلى أن تكون الثقافة شأنا عاما يهتم به الجميع .

والثقافة تعني صقل النفس والمنطق والفطانة، وفي القاموس المحيط : ثقف ثقافة أي صار حاذقًا خفيفًا فطنًا، وهي تعني تثقيف الرمح، أي تسويته وتقويمه ، واستعملت الثقافة في العصر الحديث للدلالة على الرقيّ الفكري والأدبي والاجتماعي للأفراد والجماعات، والثقافة هي الكلُّ المركّب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات ، فمفهوم الثقافة واسع يشمل منظومة القيم والمعارف الإنسانية التي بها يطور الإنسان حياته .

وكثير من مجتمعاتنا العربية تحتاج إلى تفعيل ثقافات متعددة طالما ربطنا هذه الثقافة بالسلوك الإنساني فنحن نحتاج إلى ثقافة الانضباط في الوقت على سبيل المثال ، حيث شاع أن (المواعيد العربي) غالبا ما يأتي فيها الفرد بعد الوقت المحدد ببضع دقائق ، وربما بساعة أو ساعات ، ونحتاج في مجتمعاتنا إلى ثقافة الحوار ، وهي مسألة في غاية الأهمية، إذ تغيب كثير من مفردات الحوار وأخلاقياته في كثير من الحوارات التي تتم في الواقع أو التي تتم في مواقع التوصل الاجتماعي ، حيث يريد البعض فرض الرأي ووجهة النظر حول موضوع ما ، فإن وافقتَه في الرأي ، فأنت موضوعي ومحايد ، وإن خالفته فأنت منحاز مضلل تكيل بمكيالين ، بغض النظر عن أسلوب الحوار الذي قد ينزلق إلى حد السباب في مواقف أخرى .

ونحن نحتاج في مجتمعاتنا إلى نشر ثقافة الإتقان في العمل والجودة فيه ، حيث به ترقى الأمم والشعوب وتنهض ، ولن تنتشر هذه الثقافة إلا إذا كان الإقبال على العمل بحب وإخلاص ، لا أن يذهب الموظف إلى جهة عمله ، وكل همه أن يضرب كارت البصمة في موعده ، فقد شاهدنا دولا يتظاهر شعوبها ويعتصمون ليس للحصول على مزايا مادية ، بل

من أجل زيادة عدد ساعات العمل ، يحدث ذلك في اليابان ، حيث تسود ثقافة عجيبة لحب العمل والإنتاج والإتقان فيه .

نحتاج أيضا في مجتمعاتنا إلى ثقافة التعايش ، حيث لا توجد أية موانع لأن أتعاون وأتواصل مع الآخر المختلف عني في دينه ومعتقده ومذهبه وعاداته وتقاليده ، لأن مظلة الوطن تسع الجميع ، ولأن الله اقتضت حكمته أن يتنوع الناس في اهتماماتهم وآرائهم ، فلا يحقرن أحد رأي آخر ، أو اتجاهه ، أو مذهبه ، فنحن نختلف في هذه التفاصيل لنلتقي في العموميات الإنسانية ، نحتاج فعلا إلى الاختلاف الذي يمثل لوحة التنوع الإنساني ، كما نحتاج إلى الاتفاق حول العموميات التي لا يمكن الخلاف بشأنها .

حبذا لو تضمنت فعاليات وزارة الثقافة الاهتمام بتلك القضايا ، ومعالجتها – ثقافيا – للوصول إلى صيغة شعبوية للثقافة يمكنها أن تترك أثرا جيدا لدى غالبية المجتمع ، لتكون إضافة للفعاليات المثمرة التي أعلنت عنها وزارة الثقافة ضمن الاحتفال باختيار البحرين عاصمة للثقافة العربية .

كيف نعبر عن حبنا للوطن ؟؟

سألت مجموعة من طلابي في الجامعة هذا السؤال : كيف تعبرون عن حبكم للوطن الذي تنتمون إليه ؟ وطلبت منهم أن يعبروا عن ذلك كتابة حتى يتسنى لهم التفكير الجيد، وصياغة الأفكار بطريقة أفضل ، فكانت إجاباتهم عفوية في معظمها ، حيث قال أحدهم: أعلن عن حبي لوطني بالعمل لا بالشعارات كما يفعل البعض ، بمعني أن يجدني الوطن حين يكون في موقف أزمة ، وأن أدافع عن ترابه حين يتعرض للخطر لاقدر الله ، وقالت إحدى طالبات الإعلام والعلاقات العامة إن حبي لوطني يجعلني أبذل مزيدا من الجهد في الدراسة والتحصيل المعرفي لأشارك في صنع مستقبل بلادي ، وتفوقي في الدراسة الجامعية شكل من اشكال التعبير عن حبي لوطني .

وذكرت طالبة أخرى أن (حب الوطن من وجهة نظري أن أحترم الرموز الوطنية ، قادة البلد المخلصون الذين يمثلوننا ويديرون دفة البلد حتى لو كانت لنا بعض المطالب ، فليس معنى ذلك أن أكون ناقمة أو أتناول أحد رموز بلادي بالإساءة ، فهذا بعيد كل البعد عن حب الوطن) ، ووجدت أحد الطلاب كتب عبارة واحدة في ورقته ، قال فيها (لأنني متدين أحب وطني لأن حب الوطن من الإيمان) ، في حين ذكر آخر أنه لا يستطيع أن يعبر بالكلمات عن حبه للوطن ، لكنه يشعر بمشاعر وطنية طاغية حين تكون هناك بعض الأحداث الهامة، سواء في مبارة كرة قدم لمنتخب البحرين ، أو حين يكون هناك حدث سياسي هام ، ومن أكثر الإجابات التي لفتت انتباهي ما ذكرته إحدى الطالبات ، حيث قالت : (لم أكن قبل ذلك أدرك معنى حب الوطن بشكل صحيح ، حتى شاركت ولي الشرف – هكذا قالت – في أول لقاء جماهيري لتجمع الوحدة الوطنية بمسجد الفاتح ، قالت إن مشهد أعلام البحرين يومها بلونيها الأبيض والأحمر كان رائعا ، وكانت التكبيرات بملء الحناجر يومها تلامس قلبي ، كأنها جميعا تخرج من قلبي) .

حاولت أن أذكر بعض النماذج من إجابات شباب البحرين دونما تدخل ، سوى بضبط بعض العبارات لغويا ، حتى يتعرف القارئ على رأي شريحة كبيرة من شباب هذا البلد الأمين ، في قضية حب الوطن التي تبدو أنها أبدا لا تقبل المساومة ، كما بدا أن الأحداث التي مرت بها مملكة البحرين في العام الماضي قد عملت على تعميق معنى الانتماء للوطن وحبه ، والغيرة عليه ، والخوف على مستقبله .

وأعتقد أن هذا هو السلوك الصحيح في التعامل مع قضية حب الوطن ، واحتفالنا

به ، ليس فقط في اليوم الوطني لمملكة البحرين ، وإنما في كل صباح ومساء ، فالتيارات السياسية تأخذنا يمنة ويسرة ، تشرق بنا وتغرب ، تقيم الفعاليات ، ويدبج قادتها الخطب، ويبقى الوطن هو الوطن ..الساحة التي يلتقي فيها الجميع .. المأوى الذي يلوذ به الإنسان حين يستشعر الغربة ، الوطن الذي هو أكبر من الأحداث ، وأكبر من الأشخاص ، الوطن الذي هو ذرات رمل ، نخيل ، مياه ، شواطئ ، الوطن الحاضر .. والمستقبل الذي يحتاج لسواعد كل أبنائه لتتعاون في مخططات البناء والنماء ، فهنيئا لشباب ورجال ونساء لهم وطن كهذا الوطن الذي يعشقون ، وهنيئا لوطن له عشاق كهؤلاء المحبين .

اليوم الوطني .. يوم من ذاكرة الوطن

لكل دولة أيام مجيدة في تاريخها تعتز بها ، يجدد فيها المواطنون ولاءات البيعة والحب الصادق لأوطانهم التي يعيشون فيها ، وتعيش بأفئدتهم ، وإن كان الحب الذي يسكن قلوبهم لايفتر في أي من أيام العام ، وتحتفل مملكة البحرين في السادس عشر والسابع عشر من ديسمبر كل عام بعيدها الوطني ، والذي يصادف عيد جلوس جلالة الملك وقيادته لمملكة البحرين في هذه الألفية الجديدة بخطى ثابتة وراسخة ، قوامها الإصلاح والانفتاح ، وعمودها الفقري التنمية البشرية لبلد يتعدى تعداد سكانه المليون نسمة بقليل .

وبهذه المناسبة نقدم جل التهاني لقيادة هذا البلد المحفوظ بإذن الله تعالى من كل الأخطار التي تحيط به ، ملكا ، ورئيس حكومة ، وولي عهد ، ونقدم التهنئة أيضا لهذا الشعب الوفي بكافة أطيافه وطوائفه الذين يعلنون عن حبهم وولائهم لهذا الوطن الأبي ، العصي على كل محاولات التشويه ، والرافض لكل المحاولات الإعلامية التي تصوره مجتمعا منقسما يرفض التعايش ، ويرفض الآخر ، فتهنئة من القلب لشعب البحرين الذي شهد - وما زال - سنوات من التلاحم بين كل طوائفه وأطيافه ، وذابت فيه الفوارق الانسانية ، لتعكس مشهدا متنوعا خلاقا يتزواج فيه المختلفون فكرا ومذهبا ، ويتحدون حبا لتراب وطنهم الغالي ، ويضوعون أروع مثل في الطيبة المائزة بين منطقة الخليج .

الأعياد الوطنية في تاريخ الأمم والشعوب تذكرهم بأيام المجد والفخار ، تذكرهم بالأحداث العظيمة التي لا تمحى أبدا من تاريخ الوطن تذكرهم وهم في زحمة الأحداث أن هناك من يحنو عليهم ، وأن مناسبات سارة كثيرة مرت على هذا الوطن ينبغي تذكرها .

الأيام الوطنية تعني أن يستلهم الشعب روح هذه الأحداث الجميلة في ذاكرة الوطن ، ليس فقط التي حدثت في مثل هذا اليوم ، بل تقلب لهم شريط الأحداث العظام ، منذ وقف جميع الشعب صفا واحدا في وجه المحتل الإنجليزي حتى رحل آخر جندي عن تراب الوطن، منذ اجتمع الناس على اختيارهم للبحرين أن تكون – كما كانت – عربية للأبد ، تحت إمرة أسرة آل خليفة الكرام ، في حديثهم للجنة الأمم المتحدة في القرن الماضي ، قاطعين كل أمل لأي طامع ، سواء كان انجليزيا أم فارسيا ، ليعلنوا أن هذه الجزر الصغيرة التي تقبع وسط الخليج العربي هي امتداد للعروبة والإسلام ، وبقعة نابضة بهما ، وأن لؤلؤة الخليج جزء لا يتجزأ من منظومة الدول الخليجية ، وجزء لا ينفصل عن الأمة العربية التي شرفها الله تعالى بنزول الوحي الخاتم على رجل منها وعلى أرضها .

فليحتفل كل بحريني بهذا اليوم بما يريد ، برفع العلم ، أو بسماع الأغنيات الوطنية، أو بالمشاركة في احتفال تقيمه إحدى الوزارات أو المؤسسات ، أو بالاستماع إلى الخطب السياسية أو قراءة المقالات الوطنية ، أو تقليب صفحات من تاريخ الوطن والتمعن فيها ، أما من يقضون أجازتهم في هذه المناسبة خارج الوطن ، أو من نغصت عليهم الأحداث الأخيرة أجواء الاحتفال ، فلا عليهم ، طالما أن حب الوطن مستقر في سويداء قلوبهم ، حتى الذين يظنون أنهم لن يشاركوا في الاحتفال ، فالبحرين الوطن يحتفل بهم ، ويدعو الجميع للعودة إلى ذات الصورة المشرقة ، وما أجمل التفاؤل في الشعار الذي يرفعه الإعلام البحريني (وطن واحد ، ومستقبل واعد) .

الحكومة والمعارضة
بين (الليونة) و(الصلابة)

يلاحظ الكثير من المتابعين للشأن البحريني أمرا عجيبا ، وهو أنه كلما تقدمت الحكومة خطوة إلى الأمام في طريق احتواء آثار الصدع السياسي ، وتهدئة الأوضاع ، قامت (المعارضة) باستغلال هذه التهدئة لتقوم بالتصعيد ، بشتى صوره ، تكثيف التجمعات والمسيرات ، استغلال حالات الوفيات الطبيعية أحيانا لتنظيم مسيرات ذات أعداد ضخمة، وتنظيم فعاليات تصاعدية يصل بعضها إلى بعض الأعمال العدائية مثل إغلاق الطرق ووضع الحواجز في مداخلها ، وانتهاء بتفجير السلندرات في مواقع متفرقة من المملكة .

ظهر ذلك حينما أعلنت الحكومة في الفترة الماضية عن عدة مبادرات ، منها البدء في إعادة المفصولين عن العمل في بداية العام القادم ، ومنها البدء في إنشاء وتشييد بعض دور العبادة التي تم هدمها ، ومنها تحويل مائة من العناصر الشرطية للتحقيق في ادعاءات بارتكاب مخالفات حقوقية أثناء وبعد القبض على المتهمين ، وكل هذه الأمور السابقة لا شك أنها إيجابية لجميع الأطراف ، وأنها تمثل حالة من (السيولة) التي يتبعها النظام في مملكة البحرين مع المعارضة ، وتعكس رغبة حقيقية في إنهاء الوضع المتأزم منذ شهور، ويدل على ذلك التصريحات الرسمية المتعاقبة المرحبة بمشاركة كافة الفعاليات والقوى السياسية في مسيرة التنمية ، ولعل آخرها ما ذكره جلالة الملك خلال ترؤسه جلسة مجلس الوزراء من أن « الأبواب مفتوحة لمشاركة الجميع في المسيرة الوطنية « فماذا تريد المعارضة من تصعيد لهجة الاحتجاج ، هل تريد من الدولة أن تعود لمرحلة (الصلابة) كما يأمل الطرف الآخر من الشارع البحريني الذي ضاق ذرعا بتصرفات الوفاق ومحاولاتها التعمية على ما يحدث من تطورات سياسية على أرض الواقع ؟

لا يمكن أن تستمر اللعبة السياسية بين كافة الأطراف دون أفق يحقق المكاسب للأطراف الفاعلة في المجتمع السياسي البحريني ، لابد أن تتوفر الإرادة السياسية القادرة على لا مجرد حلحلة الأزمة ، بل على اتخاذ قرارات شجاعة تحفظ لكل مواطن في هذا البلد حقه في العيش الآمن ، أيا كان انتماؤه ، وأيا كان طيفه ، وإذا كانت المعارضة تراهن على أن الخاسر من هذه الأحداث هو النظام فهي لا تجيد قراءة الأحداث محليا وإقليميا وعالميا ، الخاسر من كل تلك الأحداث هو الرصيد المتآكل مما بقي من الوحدة الوطنيية والتعايش

السلمي ، والخاسر هو هذا المواطن الذي يعيش في القرى والمدن ، ويؤرق مضجعه هذا الشد والجذب بين رموز الدين والسياسة .

لا يمكن لحملات الشحن والتأجيج ضد (الآخر) أن تستمر ، فالكثيرون يدركون أن هؤلاء الذين ينزلون إلى أرض الميدان ما كان لهم أن يفعلوا ذلك إلا بتأثير حملات التعبئة والتحشيد المستمر ، الذي قد تنبع من دور العبادة ، وقد تنبع من غيرها ، وتكمن خطورة حملات التحشيد أن أثرها سيظل ممتدا لفترة طويلة من الزمن ، وأن خطرها سيجاوز السياسي إلى الاجتماعي والثقافي ، وهو الأكثر ضراوة وخطرا على تماسك المجتمع ، ويخلق بيئة من الكراهية المضادة قد يمتد تأثيرها ليتحول من مجرد اعتقاد و اتجاه ، ليصير سلوكا يحاول تحقيق التوازن ، وفق معادلة (الفعل ورد الفعل) وتلك دائرة مفرغة ، بإمكان الجميع أن يتجاوزوها إذا ما صلحت النوايا ، وصدقت العزائم .

كتلة البحرين في مجلس النواب
وحملة عروبة البحرين

جمعني لقاء طيب بأعضاء كتلة البحرين في مجلس النواب البحرين التي يترأسها النائب أحمد الساعاتي ، في إطار تدشين انضمام أعضائها إلى حملة (عروبة البحرين) الي تقيم فعالياتها منظمة (كوغر) التي تتخصص في الدفاع عن الوحدة الخليجية ، وتهتم بكل ما له صلة بالشأن السياسي والثقافي والإعلامي لدول مجلس التعاون العربي الآن ، والاتحاد الخليجي في المستقبل القريب بمشيئة الله تعالى ، وأتشرف برئاسة فعاليات هذه الحملة التي تحظى بدعم الأمين العام لمنظمة كوغر البحرين الأستاذ مؤنس المردي، والأستاذ طارق آل شيخان الأمين العام لمنظمات كوغر في دول الخليج العربي ، وتتحدد الحملة في التأكيد على عروبة البحرين ، وبأن الدفاع عن تاريخها العربي المشرق هو واجب كل إنسان عربي يحب أرضه العربية ويدافع عنها .

وبالقطع فإن عروبة البحرين أمر واضح كالشمس في رابعة النهار ، وبالتالي فنحن في الحملة نؤكد على ما هو مؤكد ، ونحاول إبراز الهوية العربية الأصيلة لمملكة البحرين كجزء هام من أجزاء دول مجلس التعاون التي تطل على (الخليج العربي) الذي سيظل عربيا إلى الأبد ، لذا فإن مسئوليتنا في هذه الحملة لا تحتاج إلى مجهود كبير ، كوننا نبرز واحدة من الثوابت والمسلمات المتعلقة بمملكة البحرين .

وكان الدافع وراء هذه الحملة ليس فقط الحملات الإعلامية التي تشن بضراوة على مملكة البحرين ، وإنما رغبة من منظمات المجتمع المدني المشاركة في الحراك السياسي الشعبي والنخبوي في المشاركة في القضايا الوطنية ، لأننا نعتقد أن دور تلك المنظمات هو دور فاعل ومؤثر ، وأنها تمثل في مجملها فاعلا رئيسيا في المسيرة السياسية والثقافية ، وردا على حملات التشكيك في التاريخ العربي الموغل في القدم لمملكة البحرين .

وقد لاحظت دفاع بعض أعضاء الكتلة عن القضية بحماسة شديدة ، فقد ذكر النائب على الدرازي أن مسألة عروبة البحرين ليست محل جدال أو خلاف ، ولسنا في موقف الدفاع عن قضية من ثوابت الوطن ، بل التأكيد على أن بلادنا كانت وستظل عربية إلى الأبد ، وكان هذا ما رآه أيضا الدكتور جمال صالح المتحدث الإعلامي باسم الكتلة ، والدكتورة سمية الجودر والنائبة سوسن تقوي ، والنائب حسن بو خماس نائب رئيس كتلة

البحرين النيابية ، والنواب عباس الماضي ، و جواد عبد الله حسين ، و أحمد عبد الواحد قراطة الذين أكدوا جميعا أن الوقوف صفا واحدا أمام الأخطار التي قد تحدق بالوطن واجب قومي ، وأن من يتقاعس عن هذا الدور فهو مقصر في حق وطنه .

والمسألة برأيي ليست فقط تتعلق بقضية العروبة بقدر ما تمثله من رمزية الرغبة في تقديم المبادرات الإيجابية ، والمحاولات المتكررة لإعادة نسيج هذا الوطن إلى ما كانت عليه قبل الأحداث الأخيرة ، والتأكيد على الثوابت التي يجمع عليها كل مخلص لوطنه ، وأحسب أن الانطلاق مما يجتمع عليه المواطنون (كالهوية العربية) هي وسيلة ناجعة في تماهي الاختلافات الفرعية التي لا تضر بالمواطنة ولا تتعارض معها ، سواء كانت مذهبا دينيا ، أو اتجاها سياسيا ، وأمر آخر : هو أن الله شرف هذه البلاد بالعروبة والإسلام ، فلا أقل من نفخر بما أنعم الله به علينا وعلى بلادنا ، وأن نؤكد عليه بين الفينة والأخرى .

ما بعد خطاب جلالة الملك

الإصلاحات السياسية والدستورية مطلب شعبي في مملكة البحرين ، والإصلاح الذي تأتي ملامحه من رغبات الشعوب يمثل ضمانة للتوافق السياسي ، ويشكل ركيزة هامة من ركائز تماسك بنيان المجتمع ، وهذا ما أكد عليه خطاب جلالة الملك الأخير ، الذي أعلن فيه عن حزمة من الإصلاحات المتعلقة بطبيعة العلاقة بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية ، والنابعة من جلسات حوار التوافق الوطني الذي مثل كافة عناصر المجتمع البحريني من جمعيات سياسية ومنظمات مجتمع مدني وشخصيات عامة وكافة فئات المجتمع .

والغريب أن رد فعل (المعارضة) كان رافضا لتلك الإصلاحات التي طالبوا هم بها سابقا ، أو ربما طالبوا بأقل منها ، وعلى كل ، فقد كان هذا الرد متوقعا ، مهما كان سقف الإصلاح ، وربما قام رموز المعارضة بكتابة تعليقاتهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي قبل أن يعلموا مضمون الخطاب ، بل واستبقت بعض تلك التعليقات هذا الخطاب لتقلل من أهميته ، وأهمية الطروحات التي تحتوى عليه ، بل وقامت بتصعيد إجراءاتها الاحتجاجية في نفس الوقت الذي قامت فيه (المعارضة) في شرق المملكة العربية السعودية بتصعيد لغة ونوعية احتجاجها هناك ، لدرجة أن بعض من يسمون أنفسهم بالنشطاء استخدموا عبارات تصف النظام السعودي ب (العدو السعودي) ، ويلاحظ أي متابع لتطورات الأحداث زيادة وتيرة الانتقاد الممتزج بالسباب ، في لغة تكاد تكون مفرداتها متشابهة بين المعارضة البحرينية والسعودية – إن صحت التسمية – وتنسيق إعلامي موحد في كيانات افتراضية تجمع الأخبار والصور وملفات الفيديو ، وتقوم بمعالجتها بالفوتوشوب وكافة البرامج الإلكترونية الأخرى ، وفي نفس الوقت الذي تزيد فيه لغة إيران بتهديد الجيران العرب وتحذرهم من تغطية السوق بكميات النفط في حالة فرض عقوبات على إيران !

إن الإصلاحات السياسية مسألة في غاية الأهمية ، وتحتاج لعدة مراحل حتى تلبي رغبات الشعب البحريني ، ومن المؤكد أن المجال يحتمل مزيدا من الإصلاحات التي تدعم الديمقراطية ، وتحقق التوازن المنشود بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، ولكن الأمر المؤكد أن أسلوب (القفز) قد يعود بنتائج سلبية ، فلا يمكن في مجال الإصلاحات أن يتم القفز على المكتسبات التي حققها المجتمع خلال العشر سنوات الماضية ، وأسلوب التدرج هو الأسلوب الأمثل مع زيادة وتيرة حركة الإصلاح ، ومع ضرورة أن يتوفر لعملية

الإصلاح إرادة مجتمعية وإجماع وطني ، فلا يستطيع فرد بمفرده أن يحقق إصلاحا ، ولن تعود ثمرة الإصلاح على المجموع إذا ما سادت لغة التخوين والتشكيك في النوايا ، كما لا يستقيم الإصلاح الذي يحاول البعض فرضه على كافة شرائح المجتمع .

إن الإصلاح طريق يجب أن يسلكه الجميع ، ولابد أن تتوفر له بيئة حاضنة ، وإرادة من كل قوى وأطياف المجتمع ، فإذا ما تحققت خطوة شرع المجتمع في إضافة مزيد من الخطوات المنطقية ، التي تتلاءم وطبيعة المرحلة التي تمر بها مملكة البحرين ، وتتلاءم وطبيعة الأحداث والظروف الإقليمية والعالمية .

فعلى كل طرف من الأطراف المعنية في مملكة البحرين أن يتحمل مسئوليته بشجاعة ، وأن يضطلع بدوره في تحقيق مناحي الإصلاح ، وأن يستجيب لنداء الوطن ، الذي يجب أن تكون مصلحته ومستقبله فوق كل اعتبار ، بعيدا عن المصالح الفئوية الضيقة ، وبعيدا عن لغة التشكيك في النوايا ، واستنزاف طاقات الوطن فيما لايجدي .

الفساد مهلكة

الأخبار التي تتناقلها وسائل الإعلام عن فساد وإهدار للمال العام يبلغ عشرات ملايين الدنانير تصيب شريحة كبيرة من المجتمع بالإحباط ، وتشعر القراء والمتابعين بأن هناك خطرا جسيما يجب استئصاله ، ومحاسبة المسئولين عنه ، والكشف عنهم ، حتى لا يتضخم هذا الفساد الذي يلتهم ثروات الوطن والمواطنين .

وسواء تعلق الأمر بقضية مستشفى الملك حمد ، أو قضية (ناقلة الطيران الوطنية) فإن ضرورة الكشف عن الإجراءات التي تمت في معالجة قضية إهدار المال العام لها العديد من الإيجابيات ، ومنها :

أولا : تشعر المواطن أن الحكومة حريصة على اجتثاث الفساد ، والأخذ على يد المفسدين، وأنها لا تفرق في هذا السياق بين صغير وكبير ، لأن الفساد مهلكة للأمم ، ومعوق رئيسي من معوقات نهضتها وتنميتها .

ثانيا : عدم محاسبة المفسدين تعطي انطباعا عاما بأن الفساد هي اللغة الرائجة ، والبضاعة الرابحة ، وأن من أراد أن يكون ثريا ، أو صاحب مكانة مرموقة لا بد أن يكون فاسدا مفسدا ، ولصا إذا اقتضت الأحوال ، وتلك إشارة سلبية وخطيرة تعمل على تقويض القيم في المجتمعات .

ثالثا : عدم الأخذ على يد المفسدين ، وعدم تطهير المؤسسات الحكومية منهم يعطي الذريعة لصغار اللصوص أن يعيثوا فسادا ، دونما وخز لضمائهم ، ودون شعور بانتهاك أخلاقيات المجتمع ، بحيث يقول الواحد منهم : فليحاسبوا اللصوص الكبار أولا ، ليتفرغوا للصغلر بعد ذلك !

رابعا : أن بمحاسبة المسئولين عن الفساد الكبير تقيم الدولة المعادلة الكبرى لاستقرار المجتمع ، واستقرار النظام ، فالعدل دائما أساس الملك ، ولعلنا نتذكر في هذا السياق مقولة الرجل الذي رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه نائما يتوسد نعليه تحت شجرة في الهواء الطلق دون حراسة مفزعة ، أو حصون منيعة ، فلم يصدق أن هذا الرجل أمير المؤمنين في بداية الأمر ، ولما تيقن من المعلومة قال مقولته الخالدة « حكمت فعدلت ، فأمنت ، فنمت يا عمر » .

خامسا : أن محاصرة المفسدين ، واستبدالهم بالشرفاء هو استكمال لمسيرة جلالة الملك الإصلاحية التي أطلق شرارتها منذ عقد من الزمان ، ولا يمكن أن يترافق الإصلاح

والفساد ، فهما متضادان ، يعمل أحدهما على إعاقة طريق الآخر ، وصحيح أنه لا يخلو مجتمع من المفسدين ، لأننا في النهاية نتحدث عن مجتمع إنساني لا ملائكي مثالي ، إلا أن إجراءات معاقبة هؤلاء المفسدين تستأصل الفساد من جذوره ، وتعمل على محاصرته في أضيق نطاق .

سادسا : أن إصلاح المؤسسات الحكومية من الفساد يعطي إشارات سياسية هامة لكل طوائف المجتمع البحريني ، ويحد من جذوة الغضب ، خاصة في تلك الفترة التي تمر بها مملكة البحرين ، التي تحتاج إلى مبادرات وعمليات إعادة بناء الثقة بين مكونات المجتمع أكثر من أي وقت مضى .

اقتراح :

ما المانع أن تقوم الحكومة بعد أحداث الفساد التي تم الكشف عنها مؤخرا باستحداث هيئة مكافحة الفساد ، كما هو الحال في كل من المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية، ويكون لها صلاحيات المراقبة ، وكشف المفسدين للرأي العام بعد التثبت من إدانتهم ، أعتقد إذا أنشئت هذه الهيئة سيكون لها دور كبير في القضاء على كثير من مظاهر الفساد .

انضمام البحرين للاتحاد الخليجي
ليس (ذوباناً) ولا (إلحاقاً)

استبق خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز كل التطلعات الشعبية ليطرح فكرة انتقال دول مجلس التعاون الخليجي من مرحلة التعاون إلى مرحلة الاتحاد ، لتلبي تلك المبادرة الكثير من آمال الشعوب الخليجية وتطلعهم إلى الانتماء إلى كيان قوي موحد ، قادر على مواجهة التحديات التي تحيط بدوله من كل جانب ، فدول الخليج العربي بمواقعها الاستيراتيجية وثروتها النفطية مطمع لكل القوى الإقليمية والدولية ، وليس أقل من أن يوظف الخليجيون إمكانياتهم التي حباهم الله بها لتحقيق مصالح شعوبهم ، وتأمين مستقبل جيد لأبنائهم ، من خلال وجود كيان سياسي قادر على تحقيق تلك الغايات .

إن العصر الذي نحياه لا يعترف إلا بلغة المصالح ، ولا يعترف أيضا سوى بالأقوياء، ولا شك أن الاتحاد قوة قاهرة في وجه الطامعين ، كما أن العالم الآن يموج بالتكتلات السياسية التي تحاول تحقيق مصالح الدول المنضمة لتلك التحالفات ، ولنا في الاتحاد الأوربي أنموذجا ، لتستفيد الدول الخليجية منه في السير قدما لتحقيق الاتحاد الخليجي ، فبالرغم من الاختلافات الثقافية والاجتماعية واللغوية بين الدول الأوربية إلا أن الإرادة السياسة لزعمائها كانت وراء ظهور الاتحاد ، كما أن وجود كيانات اقتصادية قوية تدار بشكل علمي مدروس، ووجود مؤسسات سياسية وقانونية أوربية دعمت فكرة وجود الاتحاد ، وأدت به إلى الوصول إلى خطوة العملة النقدية الموحدة (اليورو) رغم ما واجهها ويواجهها من مشكلات وعقبات .

إن الدول العربية بشكل عام ، ودول مجلس التعاون الخليجي بشكل خاص لديها الكثير من دواعي الاتحاد وعوامله ، مثل وحدة اللغة ، ووحدة الدين ، ووحدة أو تشابه العادات والتقاليد الاجتماعية ، والعلاقات الاجتماعية المتشابكة ، كما أن المستوى الاقتصادي وإن شهد بعض التفاوتات إلا أن المكون الاقتصادي القائم على الصناعات النفطية والنهضة المعمارية يكاد يتشابه في دول الخليج ، كما أن التاريخ المشترك عامل مهم في مسيرة الاتحاد، ومن المفارقات أن القارة الأوربية التي شهدت حروبا طاحنة بين بعض دولها قادتها لغة المصالح إلى أن تسمو فوق كل تلك الخلافات ، وتمحو فصلا من فصولها الدامية لتتطلع إلى المستقبل الذي لا يعترف إلا بالأقوياء .

وفكرة الاتحاد الخليجي تحظى بدعم شعبي من سائر دول الخليج العربي فيما عدا

بعض الفئات التي ترى في انضمام بعض الدول تذويبا للهوية ، وذلك ما قالته بعض رموز المعارضة البحرينية من أن الانضمام إلى الاتحاد الخليجي خطة لتذويب الهوية البحرينية !! ، وبعضهم يسمي قبول مملكة البحرين فكرة الانضمام للاتحاد الخليجي والترحيب بها أنها (إلحاق للبحرين بالمملكة العربية السعودية) إلى غير ذلك من تسمية الأشياء بغير مسمياتها ، حيث إن البحرين بالفعل هي جزء من دول الخليج العربي ، ولا ينكر ذلك إلا من له غايته وهدفه من تجريد البحرين من عروبتها و(إلحاقها) بكيانات إقليمية أخرى .

والمهم في تلك المرحلة الهامة أن تتوحد الرؤى ، وأن يغلب العرب مصالحهم الجمعية على المصالح الفردية الضيقة ، وأن تتنازل الدول عن بعض مظاهر السيادة القطرية ، في سبيل تحقيق السيادة الحقيقية النابعة من القوة التي تفرضها القوة والوحدة والتكامل ، على أن تترك مجالات الاتحاد للمتخصصين ليقوموا بدراستها ، وتحديد أولويات مجالاتها.

العنف والعنف المضاد .

يقولون إن لكل فعل رد فعل مساو له في القوة ، ومضاد له في الاتجاه ، ذلك قانون نيوتن الذي ينطبق بشكل كبير على العلاقات الإنسانية ، وبالتالي يبرر البعض ما قام به بعض المتجمهرين في دوار(ألبا) من اعتداء على بعض الممتلكات ، ردا على عملية تفجير قنبلة على رجال الأمن المدانة بكل عبارات الإدانة في العكر ، ويعتقد نفر من الذين تجمهروا بدوار (ألبا) أن القانون إذ لم يردع هؤلاء الخارجين عليه ، فإنهم سيقومون بردعهم بالطريقة التي يرونها .

ولست بصدد مناقشة الدوافع والمنطلقات التي حركت المتجمهرين في الرفاع ، كما أن القارئ العزيز ليس بحاجة إلى إثبات أن عمليات استهداف رجال الأمن المنهجة عمليات خارجة على القانون ، وأنها لا تمثل إلا من يقومون بها ، ولا تمثل الطائفة الشيعية الكريمة بأكملها .

وإنما وددت أن أركز في هذا المقال على خطورة العنف بشكل عام أيا كان مصدره ، فلا يلجأ إلى العنف للتعبير عن رأيه ومواقفه إلا الضعفاء والعجزة ، الذين لا يستطيعون التعبير بشكل متحضر واع عن المبادئ والأفكار التي يعتنقونها ، فالعنف والتخريب هما لغة العاجزين ، ولغة المهزومين ، وما كسب فريق أو طرف بإذكاء العنف ، إذا أراد كل طرف أن يجني الأرباح والمكاسب في المواقف السياسية ، فلا عليه إلا أن يتحلى بشجاعة نبذ العنف، وإدانته بأغلظ أدوات الإدانة ، ففي بعض المواقف ليس كافيا أن تصمت ، وهي الخطيئة التي وقعت بعض قوى المعارضة التي صمتت عن أحداث العكر .

لكن المنطق أيضا يقول بأن العنف لا يمكن مواجهته بالعنف ، واختراق القانون لا يمكن أن يعالج باختراق مماثل ، بل الحل يكمن في هكذا مواقف في احترام القانون ، وأن تشمل مظلته الجميع ، فلا يعلو على سلطانه سلطان ، فهو ضمانة أمن وأمان المجتمع ، واحترامه واجب على كل فرد ، وتطبيقه واجب على الدولة والنظام السياسي الذي يألو جهده لتحقيق العدالة الناجزة بالقانون .

ومن هنا فإن مهمة الحكماء في المجتمع ، وعقلائه ، أن يبرزوا للناس ، وأن يظهروا أصواتهم العاقلة الحكيمة ، حتى لا تستأثر الأصوات النشاز بالحديث ، لابد أن يقطع عقلاء الأمة على من يكيدون لهذا المجتمع كل سبيل ، وما أكثر هؤلاء الذين يؤمنون بحتمية التعايش المشترك في أمان ، ما أكثر الذين يرفضون حملات السب والشتم التي تعج بها

شبكات التواصل الاجتماعي ، ما أكثر الذين تمتلئ قلوبهم بحب هذا الوطن ، والرغبة في استقراره ، فلن تعدم طائفة من هداة يحملون لأتباعها مشاعل الخير ، ويقودونهم لتجاوز الأزمات ، بالإصغاء لصوت العقل والحكمة ، (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) ، لذا فإن هؤلاء الحكماء والوجهاء مذنبون إذا ما صمتوا ، فإذا قاموا بدورهم على الوجه المراد ، فسرعان ما تنحسر أدوار مضمري السوء بالمجتمع ، ومثيري الفتنة والفرقة ، الذين يستقوون بالشيطان إن أمكن لتحقيق مآربهم الهدامة ، ومخططاتهم المارقة .

من حق كل مواطن في هذا البلد أن يتنفس هواء نقيا ، بعيدا عن الطائفية البغيضة ، وأن يحلم بغد أفضل لأبنائه ، ولن يتحقق ذلك إلا بتكاتف كل قوى المجتمع ، وإصرارهم على تطبيق العدل ، وإعلاء هيبة القانون .

تجمع الفاتح .. والدعوة إلى الاتحاد

ارتبط اسم (جامع الفاتح) بهذا التجمع الذي هب للذود عن الوطن ضد الأخطار التي تحدق بمستقبله ، دون أن يرتبط هذا التجمع بموالاة للنظام أو الحكومة بشكل مباشر ، فلم يكن هدف المجتمعين في ساحة الفاتح إلا الوقوف صفا واحدا ضد اختطاف الوطن ، وضد المشاريع التآمرية التي تأتي من الشرق أو الغرب ، وهو ما يعتبره الكثيرون من النافعات التي حملتها المضار ، وفقا للمقولة الشهيرة (رب ضارة نافعة)

المنتسبون إلى تجمع الفاتح كما خرجوا أول مرة ليوصلوا رسالة إلى كل الأطراف أنه يوجد هنا شركاء في الوطن ، لا يمكن تجاهلهم ، أو الإضرار بمصالحهم ومستقبلهم، جاهزون في أي وقت يشعرون فيه بالخطر على واقع ومستقبل هذا الوطن ، ومنذ ٢١ فبراير من العام ٢٠١١ م ، دخل تجمع الفاتح عالم التوازنات السياسية ليعبر عن رأي قطاعات عريضة من الشارع البحريني ترفض مسار عنف الشوارع أسلوبا لتحقيق المكاسب السياسية متاجرةً بدماء القتلى والجرحى .

وفي لقاء التاسع عشر من مايو لم تكن جماهير الفاتح مكونة فقط من هذه الجمعيات السياسية التي توحدت على أهدافه ، وهي (تجمع الوحدة الوطنية، جمعية المنبر الوطني الإسلامي، جمعية الأصالة الإسلامية، جمعية الشورى الإسلامية، جمعية العدالة الوطنية، جمعية الوسط العربي، جمعية الصف الإسلامي، جمعية الحوار الوطني، جمعية ميثاق العمل الوطني، جمعية التجمع الدستوري) بل وكان هناك تمثيل رمزي لعدد من مواطني دول مجلس التعاون الخليجي ، وكان الهدف مؤازرة فكرة (الاتحاد الخليجي) وحث القادة لاتخاذ مزيد من التدابير والإجراءات المسرعة لخطواته ، لأن الاتحاد قوة ، والتفرق ضعف.

إن أهمية تجمع الفاتح ليس فقط في أنه مكان للتعبير عن الآراء في الأحداث العظام ، ولكنه مولد تكتل سياسي يمكنه أن يتخذ المزيد من الخطوات والإجراءات التي تهدف إلى الحرص على تماسك الوطن ، وتسطير مستقبل مشرق له ، وهو ما أكد عليه الشيخ عبد اللطيف محمود رئيس تجمع الوحدة الوطنية الذي أعلن خلال التجمع الأخير أنه أرسل رسالة باسم التجمع إلى قادة وملوك وأمراء الدول الخليجية دعاهم للعمل على تحقيق الاتحاد بين دولنا بشكل أكبر وفي وقت أقصر بعد الدراسات الكافية .

وبالرغم من كل الخلافات في الرؤى التي حدثت بين مكونات تجمع الفاتح إلا أن الإجماع الوطني على بعض القضايا ، مثل قضية الاتحاد الخليجي كفيل بإعطاء فعالياته زخما

سياسيا وإعلاميا يجعل منه طوق نجاة للوطن ، ويضيف التنوع الفكري في جمعياته من إسلاميين وقوميين وغيرهم ثراء لهذا التجمع في حالة تشبه الإجماع الوطني على ثوابت الوطن .

وبتحليل الرسائل التي وجهها التجمع إلى كل القوى الفاعلة في المجتمع البحريني ، مثل الحكومة أو النظام ، وإلى الشعب البحريني ، وإلى النظام الحاكم في إيران يمكن استنتاج لغة تجميعية ، يغلب عليها الحس الوطني ، وتشير إلى أن التجمع بأطيافه المتعددة ليست لديه أية مشكلة مع الآخر ، سواء كان هذا الآخر دينا أم مذهبا ، مشكلته الرئيسية مع الذين حاولوا ويحاولون بشكل مستمر إقصاء غالبية الشعب ، والتحدث زورا باسم الشعب البحريني ، فتحية لكل من شارك أو دعم هذا التجمع بأي وسيلة كانت .

الخطاب الديني يجمع ولا يفرق

هناك خلط بين أن يكون الإسلام دينا شاملا يشمل بتعاليمه كل مناحي الحياة ، وأن تتطرق خطبة الجمعة لكافة شئون المصلين ، وبين استغلال المنابر لتحقيق بعض المكاسب الضيقة التي لا تخدم مجموع المسلمين ، وإنما تعمل على تحقيق بعض المصالح الجزئية الضيقة على حساب وحدة المجتمع بأكمله ، والحفاظ على أمنه واستقراره ، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن الإسلام كدين وشريعة ومنهج حياة شملت بتعاليمها وأوامرها كل صغيرة وكبيرة ، وأن المسجد له رسالة حضارية وإعلامية خطيرة ، بها يدفع المجتمع للنهوض والرقي والتقدم ويبين موقف الدين الحنيف من كافة القضايا المعاصرة برؤية وسطية متعقلة لا تجنح إلى الشطط العقلي ، ولا تضع الأمور في غير نصابها .

وقد كانت لكلمة جلالة الملك حمد بن عيسى عاهل مملكة البحرين إشارات قوية وهامة عن تطوير الخطاب الديني ، باعتباره مؤشرا على انضباط المؤسسة الدينية بما يخدم أهداف المجتمع ، فلا يمكن أن يستغل الخطاب الديني من أي طائفة لتحقيق المكاسب الانتخابية ، فبيوت الله تعالى أرفع قدرا وشأنا من أن تدخلها المساجلات السياسية بألاعيبها ، أو أن تكون مرتعا للحملات الدعائية الانتخابية التي يمارس فيها من ألوان الخداع ما يمارس ، ولا يمكن تفسير هذا الأمر على أنه عزل للمساجد عن معترك الحياة، وإنما تنزيه لهذه الأماكن المقدسة عن بعض ممارسات من يدعون أنهم يمثلون الدين، وإنما جعلت المساجد والجوامع لتكون أداة من أدوات تجميع المسلمين على كلمة سواء ، إنه المكان الذي يجمع ، ولا يفرق ، إنه المكان الذي يبني ولا يهدم ، يبني معتقدات الناس وقيمهم الدينية والأخلاقية ، يغرس فيهم روح الوحدة والحب والتآلف والتآخي ، وليس التنافر والتلاسن وإثارة الفتن والبغضاء بين نسيج الوطن الواحد .

وحين نتحدث عن الخطاب الديني في بيوت الله ، فإنه لا يمكن أن نرضى فقط بأن يكون خطابنا الديني بمنأى عن عوامل الفرقة ، بل عليه أن يأخذ بزمام المبادرة ، والمبادأة ببث الروح الإسلامية الصحيحة بين جماهيره ، فإن الأبحاث والدراسات التي تناولت تأثير المسجد في الجماهير تشير إلى أنه يتمتع بنسبة تأثير عالية ، تفوق كثيرا من وسائل الاتصال الأخرى ، وذلك للثقة الكبيرة التي يكنها الجمهور لقادة الرأي الدينيين ، ومن يبث روح الشقاق بين أفراد المجتمع مستغلا مايكروفون الجامع فإنه يخون تلك الثقة التي

اكتسبها باسم الدين ، ولابد من استغلال تلك المنابر لتوطيد المعاني السامية التي أراد الله أن تكون سائدة في مجتمعات المسلمين ، وأقترح على القائمين على إدارة المساجد والجوامع في الأوقاف أن تعد حملات دعوية لإشاعة ثقافة الحب التي ميزت هذا الشعب الطيب لسنوات طوال ، وإشاعة ثقافة حسن الظن بالمسلمين ، وتقديمه على ما عداه من الظنون ، بعض الناس يفسرون كل الأحداث والقرارات والخطابات ، ويفسرون كل شئ بمنطق فئوى ضيق ، ومنطق إساءة الظن بالآخر ، بالرغم من اختلاف ذلك مع إحدى تعاليم الإسلام الرفيعة ، حيث يقول تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ » .

الأخوة في الدين أشمل وأعم من الأخوة في القبيلة أو الطائفة أو الأوطان الصغيرة ، والخطاب الديني في المرحلة المقبلة يحتاج إلى جهود حثيثة للتطوير ، حتى يحقق غايات الإسلام ، ورسالته السامية .

نحو ميثاق شرف إعلامي يلتزم به الجميع

المتابع للمشهد الإعلامي في مملكة البحرين قبيل فترة الانتخابات النيابية والبلدية يجد لغطا كثيرا ، ونقاشا حامي الوطيس بين الأطياف السياسية المتعددة ، لدرجة أن بعض الأطراف يجنح إلى التجني على الآخر ، وإلصاق التهم به ، كما أن البعض خرج عن قواعد وأصول اللعبة السياسية ليستقوي بالآخر ، ويقوم بترويج الأخبار الكاذبة والمغلوطة من خلال الحديث عن جبهة داخلية يسودها القمع ، وتضطهد فيها بعض الأطياف على حساب أخرى ، واتخذ من منافذ إعلامية دولية منبرا له ، فكان رد الفعل الإعلامي جانحا إلى زيادة جرعة النقد اللاذع ، وهكذا تدور رحا التصريحات الإعلامية ، والملاسنات السياسية لتشكل مشهدا إعلاميا متخبطا ، تزل فيه الأقدام نحو هاوية لا تفيد المجتمعات، ولا بها تنهض الأوطان .

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح : هل الانتخابات هي السبب فيما وصل إليه هذا المشهد الإعلامي ؟ أم أن فترة من الاحتقان الطائفي لدى البعض وجدت متنفسا لها في فترة الانتخابات ، فأُطلق العنان للمارد ليخرج من قمقم الفتنة ، وينشر سمومه في وريد الوطن ؟ وأيا كانت الدوافع خلف هذا المشهد إلا أننا الآن بحاجة ملحة لأن تكون تصرفاتنا – كإعلاميين – مسئولة ، لأن الكلمة أمانة ، والقلم أمانة في يد أصحابه ، لا سيفا يسلط به على رقاب العباد ، أو يسله في وجه الخصوم .

إن الكلمة الطيبة الصادقة هي التي تبني أشجارا مثمرة يستظل بها الجميع ، بينما الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة ، لاتلبث إلا أن يأتي من يجتثها من الجذور ، يقول تعالى (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) .

نريد من الإعلاميين وهم يسطرون بأقلامهم المقالات ، أو يظهرون في الفضائيات ليطلوا علينا عبر الشاشات ، أن يدركوا أنهم في موقع الأمين ، ومتى خان الأمانة هوى من سماء الإعلام الملتزم إلى حضيض الفتنة البغيضة .

نحن بحاجة الآن لنسطر جميعا – على اختلاف أطيافنا وأهوائنا السياسية – ميثاق شرف إعلامي يلتزم به الجميع ، يحفظ ثوابت الوطن ، ولا ينال من مكاسبه السياسية التي

تحققت في ظل فترة الإصلاح ، والتي تشارك الجميع فيها ، وجنى الجميع ثمارها العذبة، بنوده الصدق والأمانة ، والدقة والموضوعية ، والاحتكام لصوت المنطق الهادئ المتريث ، ولقواعد مهنة الإعلام المعمول بها في كل الدنيا ، بعيدا عن حديث الفتن ، وبعيد عن الكلام الخبيث على حد ما وصفته الآية الكريمة .

ميثاق الشرف الإعلامي هذا لن يكون موجها إلى جمعية سياسية دون أخرى ، إنما هم أكاديميون ومحترفون وخبراء يضعون نصوص بنوده القائمة على الحرفية والمهنية ، وتوقع عليه كل الأطراف ، وكل الأطياف ، ليكون بجانب قوانين الصحافة والإعلام سياجا بجوار سياج ، ليقي هذا المجتمع من الشائعات التي تروج ، والأخبار الكاذبة التي تبث ، ويجرم الانزلاق نحو الطائفية البغيضة ، لأن كل مواطن في هذا البلد الأمين لن يكون سعيدا إذا ما حاصرته الأكاذيب الإعلامية ، أو شوهت المشهد الإعلامي بمزيد من حديث الفرقة .

حظ المرأة في الانتخابات ليس صفرا !!

مع أن نتيجة الانتخابات النيابية والبلدية الثالثة في مملكة البحرين لم تسفر عن فوز أي من النساء عن طريق التصويت ، إلا أن هناك مؤشرات إيجابية في علاقة المرأة البحرينية بالانتخابات ، من هذه المؤشرات ما يلي :

١- أن هناك تمثيل محدود للمرأة في مجلس النواب ، وهو المقعد الوحيد الذي فازت به النائبة لطيفة القعود بالتزكية ، وبالرغم من أن طموح المرأة البحرينية أن يزيد هذا التمثيل ليمثل قوتها الفاعلة على أرض الواقع وحجم مشاركتها للرجل في كثير من الإنجازات ، إلا أن الوضع الحالي لا شك أفضل من أن يحرم مجلس النواب في دورته الثالثة من أي تمثيل نسوي .

٢- أن المشهد الإعلامي المتعلق بيوم الانتخابات كانت المرأة قاسما مشتركا فيه مع الرجل، بل إن نسبة الوجود والمشاركة في أعمال العملية الانتخابية وفرز الأصوات كانت تتفوق على الرجل في بعض الأحيان ، وهو الأمر الذي عكس الوجود الحقيقي للمرأة في العملية الانتخابية ، حيث كانت عنصرا فاعلا وهاما يوم التصويت ، وقد عكس الإعلام هذه الصورة المشرفة للمرأة البحرينية ، وأعطى انطباعا أن المرأة هنا تشاطر الرجل في عملية رسم سياسات المستقبل .

٣- أن عملية الدعاية الانتخابية قد شهدت حملة دعائية لمساندة المرأة في دخولها لمجلس النواب ، وهي حملة (حطي الكسرة وغيري) ، وقد أعطت مناخا مواتيا للتوعية بدور المرأة ، وأعطت رسالة لكل النساء أن هناك ثمة من يدعم النهضة النسائية ، سواء على مستوى القيادة ، أو على مستوى المؤسسات المعنية بالنهوض بالمرأة في مملكة البحرين .

غير أن كل شئ يقاس بنتيجته ، وإذا كان الأمر كذلك فإننا لابد أن نعترف أن هذه الحملة الدعائية – بالرغم من الحالة الإيجابية التي حققتها – إلا أنها فشلت فشلا ذريعا في تحقيق الهدف منها ، وهو إقناع الناخب أن يدلي بصوته للمرأة ، ومن الأمانة أن نراجع هذه الحملة لنرى مواطن الوهن فيها ، وهي :

- أن شعار الحملة بالجملة كان فاشلا ، غير متناسب مع ثقافة المجتمع وأعرافه اللغوية، فمن قال إن الكسرة رمز للنساء ، وإذا كان ذلك صحيحا فهل يمكن اعتبار الفتحة رمز للرجال ؟!!، وإذن إلى من تعود الضمة ؟ والسكون ؟ والشدة ؟ وسائر الحركات الأخرى ؟!!وحيث أن الشعار غير دال كان مثار انتقاد الكثيرين .

● وقعت الحملة في خطأ جسيم ، وهو أنها خاطبت المرأة فقط ، وكأنها كانت تريد توصيل رسالة إلى المجتمع : على المرأة أن تنتخب المرأة ، وعلى الرجل أن يصوت لأقرانه الرجال، حيث كان من الأجدر مخاطبة المجتمع أن يعكس الدور الذي تلعبه المرأة فيه ، ويترجمه بإعطاء جزء كبير من صوته للنساء المترشحات دون تفرقة بين الرجال والنساء .

● أن كلمة (وغيري) قد لا تكون في موضعها الصحيح ، حيث أن التغيير لابد أن يتشارك فيه كل فئات المجتمع رجالا ونساء وشبابا وشيوخا ، كما أن تخصيص الخطاب للمرأة قد يشير إشارات خاطئة إلى الرجال ، وهي أن التغيير سيكون بأيدي النساء ، وهو ما قد لا تقبله مجتمعاتنا الشرقية التي ترضي أن يتم التغيير بيد الجميع .

بقيت مقولة واحدة ، أنني سمعت من طالباتي أن المرأة لا تحب أن تصوت للمرأة، وإذا كان هذا الكلام صحيحا فكان الأولى أن توجه الحملة السابقة إلى الرجال ..ليصوتوا للنساء !!

التغطية التليفزيونية للانتخابات .. هل كانت (حيادية)؟؟

يحق لنا أن نتساءل بعد انتهاء كل مراحل الانتخابات النيابية والبلدية في مملكة البحرين عن كيفية تناول وسائل الإعلام البحرينية للانتخابات ، وإثارة بعض التساؤلات الهامة عن مدى حيادية وسائل الإعلام في موقفها من مرشحي الكتل والتوجهات السياسية المختلفة ، ثم ماذا عن الإعلام الرسمي المتمثل في التليفزيون المملوك للدولة ، وهل أدى دوره المطلوب منه كجهاز إعلامي مؤثر في العملية الانتخابية ؟

لابد أولا أن نقر بأن التليفزيون البحريني قدم تغطية إعلامية متميزة في أثناء عملية الانتخابات نفسها ، من عمليات تصويت ، وفرز ، وإعلان النتائج المبدئية والنهائية ، مستخدما الشاشة التفاعلية وتقنيات متطورة في عرض النتائج وإطلاع المشاهدين على تطورات الأحداث ، وإذا ما استثنينا أداء بعض المراسلين الذين كان ينقصهم التدريب فإن مجمل صورة نقل عملية التصويت والنتائج كانت جيدة ينبغي أن نقدم الشكر عليها لمعالي لشيخ فواز الذي أولى قطاع الأخبار أهمية خاصة في البدء بالتطوير ، لكن ما لا يمكن الإقرار به هو أن لا يدخل التليفزيون معترك الحملات الانتخابية ، ويقبل بدور مهمش في مرحلة ما قبل عملية التصويت ، لماذا لم تنتقل الدعايات الانتخابية إلى التليفزيون ؟ ولماذا لم تحصل كل جمعية سياسية على حصة وقتية للإعلان عن برامجها الانتخابية ، في إطار عدد من الضوابط التي يمكن وضعها في هذا السياق ؟ .

إن عملية عزل التليفزيون البحريني عن المنافسات الانتخابية من وجهة نظري كانت خطأ مهنيا ، إذ فيه تكريس لعزله عن الجماهير ، في الوقت الذي نتحدث فيه عن تطويره بما يجعل المشاهدين في البحرين يلتفون حول شاشته ، في حين أن المشاهد البحريني كان يبحث عن شاشات أخرى تتناول تلك الانتخابات بمزيد من الجرأة ، وعرض وجهات النظر المتباينة ، إن عرض وجهة النظر الواحدة دائما ما توحي بأن هناك وجهة نظر أخرى لا ترغب فيها السلطة ، وربما تعطي دعما لها بمنطق أن (كل ممنوع مرغوب) ، والموضوعية في أبسط معانيها عرض وجهات النظر المختلفة حول الموضوع الواحد ، والوقوف على مسافة واحدة من التيارات السياسية المتنافسة ، ولا يكتفى بمجرد العرض ، إذ يسمح بتفنيد الآراء الأخرى والرد عليها بما لا يخرج في نهاية المطاف عن استيرايجية التليفزيون وغاياته .

وما كان المانع من أن يظهر المترشحون بصورهم وشخوصهم وبرامجهم في التليفزيون أيا كانت انتماءاتهم طالما أنهم يلتزمون ببنود القوانين التي تنظم الدعاية الانتخابية ؟ أو لم تكن فرصة طيبة لتحقيق أرباح كثيرة من جراء بيع المساحات الإعلانية والدعائية لهؤلاء المترشحين ؟ وإنعاش موازنة التليفزيون الذي يحتاج أموالا كثيرة لتنفيذ خطط التطوير ، والأهم من ذلك كله أن تلك الخطوة لو تمت لارتفعت نسبة ثقة المشاهد البحريني بشاشته الوطنية ، وبإيمانهم بأهمية دوره في تحديد مسار العملية الانتخابية ، صحيح أنه كانت هناك برامج كثيرة تناقش عملية الترشح ومواصفات المرشحين ، وغيرها من الموضوعات، إلا أن حديثي ينصب مباشرة على إتاحة الفرصة لكل تيارسياسي في عرض برنامجه الانتخابي المحدد بالأطر القانونية والدستورية في شكل دعاية مدفوعة الأجر ، لتحقيق عدد من المكاسب : السياسية ؛ بإظهار صورة التنوع والثراء السياسي في المجتمع ، والإعلامية ؛ بإظهار قوة الإعلام البحريني ، وجدارته بأن يكون مصدرا هاما من مصادر المعرفة ، والاقتصادية ؛ بتحقيق المكاسب الاقتصادية للتليفزيون البحريني .

إلى جلالة الملك حمد آل خليفة عاهل البحرين

إلى حضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل مملكة البحرين حفظه الله

تحية طيبة وبعد

يطيب لي بمناسبة العيد الوطني للمملكة أن أبعث إليكم بعدة رسائل :

الأولى : رسالة تهنئة لجلالتكم ، وباقات من الورود تحمل كل معاني الود ، وأمنيات من الله العلي القدير أن يسدد خطاكم ، ويوفقكم لما فيه خير شعب البحرين الكريم ، وأن يرزقكم البطانة الناصحة الصالحة التي تدلكم على الخير فتسيرون في طريقه ، وتنهاكم عن الشر ، وأن يبعد عنكم بطانة السوء التي تبرع في النفاق ، ولا تقدم من النصائح إلا أسوأها .

الرسالة الثانية : رسالة تهنئة ثانية أبعثها لأهل البحرين الأوفياء ، وشعبها الكريم ، على اختلاف أطيافه ، الذي يغار على وطنه ، ويحرص على أمنه وسلامته واستقراره ، ويبذل في تحقيق ذلك كل غال ونفيس ، ويعمل في مؤسساته وقطاعات عمله لينهض بوطنه، ويزيد من رصيد نجاحاته ، أبعثها لكل رجل يلثم علم البحرين – بلونيه الأحمر والأبيض – قلبه ، ولكل امرأة تختلط كرات دمها البيضاء والحمراء بألوان علم المملكة الزاهي ، ولكل شاب وفتاة ممن يضيف إلى كتاب الحياة في المملكة سطرا من سطور العلم ، والتقدم .

الرسالة الثالثة : رسالة ملؤها الإعجاب بحكيم قراراتكم ، وصواب موقفكم إزاء مستجدات الداخل والخارج ، والحرص على أن تكون مملكة البحرين ذات شخصية خاصة، التسامح والتعايش المشترك شعارها ، حتى استحقت أن تنال صورة ذهنية طيبة بين دول الخليج العربي ، فمع تقديرينا لكل أبناء العروبة من حولنا ، إلا أن للبحريني قسمات خاصة ، وسمات خاصة ، الطيبة عنوانها ، والسماحة شعارها ، وصدق النوايا معلم هام من معالمها ، وكم لكم من قرارات اتسعت بحكمتها لتضم كل بقعة من بقاع الوطن ، وكل حبة رمل من حباته الصفراء ، لتضرب مثالا للقائد الذي يعمل للجميع ، ويضع مصالح الوطن بأكمله نصب عينيه ، لتواصل البحرين رسالتها لتعميق القيم الإسلامية والعربية الأصيلة ، منذ أتي الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي إليها حاملا مشعل الهداية ، وحاملا أثمن ما وصل إلى البحرين ، هذه الرسالة التي أملاها سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، لحاكم البحرين وشعبها ، فدخل الناس حينها في دين الله أفواجا عن

اقتناع وطواعية .

الرسالة الرابعة : هي رسالة أقدمها لجلالتكم أسوة بما كان يفعل أسلافنا مع حكامهم وأمرائهم وهي التواصي بالحق والخير والصبر ، ومواصلة العمل لرفعة الوطن والمواطنين، وتقوى الله عز وجل في صغائر الأمور وكبائرها ، فقد قال الفاروق عمر رضي الله عنه ذات يوم لرجل قال له اتق الله : لا خير فيكم إن لم تقولوها ، ولا خير فينا إن لم نسمعها ، فمراقبة الله هي سفينة النجاة التي إن ركبناها جميعا أوصلتنا إلى مرافئ العزة والازدهار.

ويبقى أن للعيد الوطني لمملكة البحرين مكانة خاصة في نفس كل من يعيش في هذه المملكة الصغيرة جغرافيا ، والكبيرة بمكانتها في قلوب محبيها ، وبمواقفها الرصينة تجاه كل الأحداث المحلية والإقليمية والعالمية ، ويظل الفرح به يطغى على كل فرح ، بل وعلى كل حزن أيضا .

فلتتقبلوا رسائلي بسعة صدركم المعهودة ، وحكمتكم التي لا حرمت البلاد منها وتقبلوا أسمى آيات التهاني وعظيم الامتنان .

ميثاق العمل الوطني والحريات الإعلامية

صوت البحرينيون على ميثاق العمل الوطني في الرابع عشر من فبراير لعام ألفين وواحد ، وقد احتفى الميثاق بقضية هامة وهي الحريات الإعلامية ، فقد نصت المادة الرابعة من الفصل الأول على أنه (لكل مواطن حق التعبير عن رأيه بالقول أو بالكتابة أو بأي طريقة أخرى من طرق التعبير عن الرأي أو الإبداع الشخصي ، وبمقتضى هذا المبدأ فإن حرية البحث العلمي وحرية النشر والصحافة والطباعة مكفولة في الحدود التي يبينها القانون) .

وبمقتضى ها النص فإن الميثاق الذي يعد وثيقة هامة بين المواطنين الذين صوتوا عليها وبين الحكومة البحرينية قد ضمن الحريات الصحفية والإذاعية والتليفزيونية والشبكية في فترة العهد الإصلاحي ، وقد أفرزت تعددية صحفية شهدتها الساحة البحرينية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ، وتلك كانت خطوة هامة على المستوى النظري على الأقل .

كما نص دستور البحرين في المادة الثالثة والعشرين من الباب الثالث الذي خصص للحديث عن الحقوق والواجبات العامة على أن (حرية الرأي والبحث العلمي مكفولة ، ولكل إنسان حق التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو الكتابة أو غيرهما ، وذلك وفقا للشروط والأوضاع التي يبينها القانون ، مع عدم المساس بأسس العقيدة الإسلامية ووحدة الشعب ، وبما لا يثير الفرقة أو الطائفية)

ونلاحظ في كل من النصين الذين وردا في الميثاق الوطني والدستور بأنهما لم يضعا قيدا على الحريات العامة والحريات الإعلامية إلا وفقا للقانون ، وهو أمر منطقي في كل بلد في العالم ، حيث تقف الحريات عندما تتعرض حريات الآخرين للخطر ، أو حينما يُعتدي على إحدى ثوابت المجتمع ، أو يُهدد أمنه واستقراره ، أو تُثار النعرات الطائفية التي تفرق المجتمع ولا تجمعه ، وقد فصل الدستور الحالات التي يوضحها كنقاط حمراء لا ينبغي أن تثار قضية الحريات عندها ، وهي :

١- المساس بالشريعة الإسلامية وثوابتها ، حيث لا يقبل المجتمع ولا أفراده أيا كانت ديانتهم أن يتعرض أحد للذات الإلهية على سبيل المثال ،أو التطاول على أحد الأنبياء ، ولا أن يتناول بالنقد معلوما من الدين بالضرورة ، لأن للأديان قدسيتها واحترامها ، وفي

احترام ثوابت الدين احترام للمجتمع ذاته .

٢- المساس بوحدة الشعب البحريني ، ومحاولة إثارة الفرقة بينهم ، لأن المجتمع بكافة أطيافه السياسية والثقافية تبرز قوته في تضامنه ووحدته ، وانسجام فئاته دليل على تماسكه .

٣- قضية الطائفية ، حيث تمثل هذه القضية - لخصوصية المجتمع البحريني- قضية شائكة ، وتعمل على تقسيم المجتمع تقسيما مذهبيا تُفتت فيه طاقة الوطن ، وتُهدر إمكانياته ، في الوقت الذي يحتاج الوطن فيه هذه الطاقات لبناء الوطن وصنع المستقبل المشرق له .

وبالرغم من النص صراحة على حرية الرأي والتعبير في المادة السابق الإشارة إليها في الدستور إلا أن المادة الرابعة والعشرين من الباب الثالث من الدستور نصت على (مع مراعاة حكم المادة السابقة تكون حرية الصحافة والطباعة والنشر مكفولة وفقا للشروط والأوضاع التي يبينها القانون) .

وبصفتي متخصصا في الإعلام والصحافة يمكنني القول بأن الدول العربية لا تنقصها الدساتير ولا القوانين المنظمة للحريات الإعلامية ، فكل دولة تقريبا لديها نفس النصوص التي تنادي بالحريات ، ويبقى أن تسود ثقافة الحريات في البيئة الإعلامية ، بمعنى أن تقوم الحكومات بالنظر إلى الإعلام على أنه معبر عن الجماهير ، وترفع يدها عن التدخل في الإعلام ، وأن يقوم الإعلاميون باستغلال مناخ الحرية القانوني المنصوص عليه في القوانين والدساتير .

الفصل الثاني

تغريدات في القضايا الإعلامية



أوبرا وينفري .... والخطيئة الإعلامية

لعل برنامج أوبرا وينفرى الأمريكية السمراء واحدا من أشهر وأنجح البرامج الحوارية (التوك شو) حول العالم ، لما يحظى من نسبة مشاهدة عالية في الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها ، وقد أتت أوبرا إلى عالمنا العربي ، وتحديدا إلى مصر لتقدم حلقة من برنامجها الشهير حول المرأة والحجاب في هذه اليقعة الهامة من العالم ، وقد ذكرت أوبرا أن الرئيس الأمريكي باراك أوباما نفسه نصحها أن تذهب إلى مصر ، فهي بلاد تستحق الزيارة، ليس فقط لثراء الطبيعة ، وكثرة المعالم السياحية والأثرية ، وإنما أيضا لثراء الشعب المصري ، وثقافته العريقة ، إلى هذا الحد والأمور تبدو طبيعية تماما ، لكن ما ليس طبيعيا أن أوبرا ذهبت إلى منزل إحدى الطبيبات المصريات وهي الدكتورة هبة قطب المتخصصة في الطب الجنسي ، وبصحبتها عدد من النساء الغربيات ، وتساءلت عن كيفية حياة المرأة المصرية بشكل خاص ، والعربية أو الشرقية بشكل عام ، وسخرت ضيفاتها حينما ذكرن أن المرأة الشرقية (المتحجبة) تقع في تناقض شديد حينما ترتدى الحجاب ، في ذات الوقت التي تضع مساحيق التجميل ، وترتدى الثياب الأنيقة ، وبالرغم من رد الضيفة المصرية ، وتوضيحها أن الحجاب ليس معناه أبدا الانغلاق ، أو الانكفاء ، أو(العقد) إلا أن كثيرا من ردود الطبيبة المصرية قد تم حذفها في المونتاج وفقا لما ذكرته الطبيبة المصرية نفسها على شاشات التليفزيون المصري في برنامج (البيت بيتك) الشهير .

وهذه هي الخطيئة التي وقعت فيها أبوبرا وينفرى ، وهي ما يعرف لدى علماء الإعلام والاتصال ب(تلوين) الموضوع الإعلامي ، أو (تأطيره) أي وضعه في إطار معين ليخدم أجندة معينة ، وهو ما يتنافى مع مواثيق الشرف الإعلامية التي تقوم على الحياد والموضوعية في تناول الموضوعات والقضايا في وسائل الإعلام ، وقد يقول البعض إن المونتاج ليس من اختصاص المذيع أو مقدم البرنامج حتى نوجه الاتهام إلى مقدمة البرنامج ، لكن الرد على ذلك يمكن أن يأخذ في الاعتبار أمرين :

أولا : أن مذيع البرنامج لابد أن يقوم بالإشراف على كل مراحل إنتاج البرنامج حتى يضمن وصول الرسالة الإعلامية التي يريد توصيلها للجماهير بشكل سليم ، وبالشكل الذي يريده.

ثانيا : أننا هنا لسنا معنيين بتوجيه الاتهام لشخص أوبرا بقدر ما نريد تسليط الأضواء على بعض الأخطاء الفادحة التي يقع فيها الإعلام الغربي ومؤسساته ، وتلك حالة واحدة

من عشرات ، بل مئات الحالات التي تبتعد فيها وسائل الإعلام الغربية عن الموضوعية ، وتكيف الأمور وفقا لمصالحها الخاصة ، فهي تسمي المقاومة المشروعة للمحتل الغاصب إرهابا كما هو الحال في قضية فلسطين ، والإعلام الغربي الذي كان يدعم المقاتلين في أفغانستان أيام الحرب الباردة لمواجهة الاتحاد السوفييتي السابق ، ويطلق عليهم صفة المجاهدين ، ويطالب الكثير من الهيئات إمدادهم بالمال ، ويمدونهم هم بالسلاح ، أصبح المسمى الأشهر لهم (الإرهابيون) حينما تغيرت الظروف والمواقع .

طبعا ليس كل الإعلام الغربي هكذا ، لكن بين الفينة والأخرى تدرك التناقض بين ما ينبغي ، وما يكون ، لكن إعلامنا لا يزال أمامه طريق طويل لكي يصل إلى مستوى يتحلى فيه بقدر كبير من المهنية ... والموضوعية .

الإعلام العربي بين الانفلات
ومحاولات الهيمنة الأمريكية

المشهد الإعلامي العربي الآن هو محل اهتمام الدوائر السياسية الأمريكية والعربية على حد سواء ، فقد صدر قرار من الكونجرس الأمريكي يقضي بفرض عقوبات على مشغلي الأقمار الصناعية العربية التي تبث في تردداتها قنوات فضائية تحث على (الإرهاب) ، ومن المتوقع أن يقوم الرئيس الأمريكي باراك أوباما بالتصديق على قرار الكونجرس الأمريكي خلال ثلاثين يوما من صدوره ، وهذا القرار يمثل سلسلة في منظومة الإجراءات الأمريكية التي تواجه بها (الإرهاب) في العالم بالتوازي مع المواجهة العسكرية المسلحة له في بقاع شتى من العالم ، لكنه يمثل أيضا تدخلا غير مقبول في الساحة الإعلامية العربية التي تحتوى على كثير من ملامح التخبط ، وهذا الرفض هو ما عبر عنه وزراء الإعلام العرب في الجلسة الطارئة التي عقدت في القاهرة يوم الأحد ٢٥ يناير ٢٠١٠ م ، واعتبر وزراء الإعلام العرب القرار الأمريكي بمثابة تدخل في الشئون الداخلية للدول العربية التي تنظم وسائل إعلامها وفقا للشرعية الدولية .

والحقيقة أن المشهد الإعلامي العربي يعج بكثير من مظاهر الفوضى ، وانتشار المضامين غير الهادفة ، وكذلك المضامين الهادفة إلى بث روح الفرقة والشقاق بين أبناء المجتمع الواحد ، وكثرة الوسائل الإعلامية التي تعتمد على بث المواد الترفيهية الهابطة على مدار الساعة ، فالراصد الإعلامي لا يستطيع أن ينكر تلك الحقيقة ، ولكنه لا يستطيع أيضا أن ينكر أن بعض مفردات النظام الإعلامي العربي تحاول أن تقدم الرسالة الإعلامية الجادة التي تبني ولا تهدم ، وتجمع ولا تفرق ، وتحرص على التزام الموضوعية والحياد ما استطاعت إلى ذلك سبيلا .

بيد أن حقيقة أن هناك الكثير من السلبيات التي تقع فيها كثير من وسائل الإعلام العربية لا يسوغ للكونجرس الأمريكي ولا غيره أن يقوم بدور حارس البوابة الإعلامية العربية ، فأهل البيت أولى بحراسته ، ولا أن يمارس الأمريكيون دور الشرطي الإعلامي في المنطقة العربية ، كما يمارسونه في مجال السياسة بعد انتهاء النظام ثنائي القطبية الذي كان يتسم بالتوازن إلى حد كبير ، وكما رأينا التصنيفات السياسية للدول والمنظمات ، سنجد تصنيفا أمريكيا لوسائل الإعلام يدخل بعضها في قائمة الوسائل الداعمة للإرهاب، ويبدو أن هذا هو الهدف الأول من وراء القرار الأمريكي ، حيث ينصب القرار على عدد

من القنوات التي تراها الولايات المتحدة وإسرائيل (قنوات إرهابية) مثل قناة المنار في لبنان، وقناة الأقصى في فلسطين ، وقناة الزوراء في العراق ، وبتطبيق القرار سيكون هناك عقوبات على شركات البث التي تمتلك أقمارا صناعية تبث تلك القنوات ، أومن يحذو حذوها في المستقبل .

وإذا كانت لهجة الرفض التي جاءت على لسان عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية شديدة، فإن الاجتماع أكد على مواصلة الجهود العربية لمكافحة الإرهاب والتطرف، وفرق بين الإرهاب وبين حق الدول في مقاومة الاحتلال ، وأكدوا تمسكهم بحرية الإعلام في المنطقة العربية ، وفي الحقيقة فإن هذا التمسك يحتاج إلى كثير من المراجعة، إذ لا يزال أمام الإعلام العربي أشواط من النضال لكسب معركة الحرية ، وأخشى أن أقول إن أمام الإعلام العربي أجيال ليأخذ زمام المبادرة في تطوير المجتمعات العربية حتى لا أقع في فخ التشاؤم ، لكن الأمر المؤكد أن ازدهار الإعلام وتطوره وقوته إنما تكون في إطار منظومة متكاملة تتشابك فيها السياسة مع الاقتصاد والثقافة ، فالإعلام هو مرآة عاكسة للمجتمعات والشعوب ، يجب أن نبدأ في توسيع قاعدة الحريات الإعلامية في الوطن العربي، يجب أن نناقش مشاكل الإعلام وأزماته المتلاحقة ، يجب أن تكون هناك مراجعة ذاتية لوسائل إعلامنا ، وأن تكون هناك آلية إعلامية عربية لوضع مواثيق الشرف الإعلامية وتفعيلها ، وآلية للمحاسبة الذاتية بعيدا عن كل أشكال الرقابة ، مثل المفوضية الإعلامية العربية التي تم اقتراحها في اجتماع وزراء الإعلام العرب الأخير ، يجب أن نفعل ذلك بنفس الحماس الذي نقف به في وجه من يحاولون القيام بدور الشرطي الإعلامي في وطننا العربي .

مردوخ (اليهودي) يمتلك أسهما في قناة إسلامية

صدق أو لا تصدق : امبراطور الإعلام العالمي اليهودي النزعة والهوى ، أكبر مناصر ومؤيد للسياسات الإسرائيلية على طول الخط ، قد يتحكم في نوعية ومضمون وإدارة قناة (الرسالة) الدينية الإسلامية التي تمتلكها مجموعة (روتانا) المملوكة للأمير السعودي الوليد بن طلال ، فقد تناقلت الأخبار أن مردوخ المقيم بالولايات المتحدة الاسترالي الأصل ، صاحب أكبر مجموعة إعلامية عملاقة في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم ، والمسيطر على وسائل إعلام تصل إلى قارات الدنيا قد اشترى من خلال شركته الأمريكية (نيوز كوربريشن) العملاقة ١٠٪ من أسهم قنوات روتانا مقابل ٧٠ مليون دولار أمريكي، في خطوة تدعم الوجود المردوخي داخل المنطقة العربية الإسلامية ، ليتمكن من الوصول إلى الرأي العام في تلك المنطقة والتأثير عليه ، وهو الأمر الذي يشكل خطوة خطيرة في توجه واحدة من أكبر الامبراطوريات الإعلامية العربية (روتانا) والتي تمتلك قناة الرسالة الإسلامية ، وهو مايثير عدة تساؤلات تتعلق بتحكم نيوز كوربريشن في المحتوى المقدم في قنوات روتانا ، ويثير أسئلة من نوع : هل لو قامت إحدى القنوات الروتانية ببث فيلم أو مسلسل يتحدث – ولو في سياق تاريخي – عن العدوان والاستبداد الإسرائيلي ، واغتصابها للأراضي العربية سيعترض الشريك الأمريكي ؟ ثم ما مصير قناة الرسالة الدينية في حالة ما إذا كان من حق الشركة الأمريكية التدخل الإداري بها ؟؟!!

وروبرت مردوخ يلقب ب(امبراطور الإعلام العالمي) ويتجاوز عمره ٧٩ عاما ، ويمتلك ٤٠ ٪ من الصحافة البريطانية ، كما يمتلك محطة تليفزيون في تركيا (تي جي أر تي) ويخطط لشراء صحيفة تركية ووكالة أنباء بها في مسعى يهدف من ورائه إلى التصدي للشعور المعادي لإسرائيل ، كما يمتلك قناة هامة في الصين ، كما أنه قد اشترى موقع ماي سبيس الشهير الذي يضاهي الفيس بوك بمبلغ نصف مليار دولار ، وتقوم وسائل إعلامه على الإثارة والجنس ، ولا توجد وسيلة إعلامية واحدة من وسائله تنتقد أو تهاجم إسرائيل.

ويعرف مردوخ بولائه الشديد لإسرائيل ، ودفاعه المستميت عن كل سياساتها ، ووسائل إعلامه في أمريكا هي أقوى وسيلة تأثير على الرأي العام هناك ، وتقوم جمعية الصداقة الأمريكية الإسرائيلية بتوجيه الشكر لها بشكل دوري ، ومن أهم مواقف وسائل إعلامه دعمه اللامحدود لحرب إسرائيل على لبنان ، وتأييده المطلق للرئيس الأمريكي السابق

جورج بوش لاحتلال العراق ، كما أنه يمتلك شركة (إن دي إس نيوز داتا كوم) التي تعمل في مجال التكنولوجيا الرقمية والاتصالات عبر الأقمار الصناعية في إسرائيل، وباتفاقه الأخير مع روتانا يكون قد وجد بابا ذهبيا مفتوحا على العقل والفكر العربي ، ووجد فرصة ذهبية للتأثير على الاتجاهات والمواقف العربية ، فضلا عن جنيه المزيد من الأرباح .

إن وجود مردوخ في الفضاء العربي أمر في غاية الخطورة ، الأمر لا يتعلق بحديث نظريات المؤامرة ، بل إنها الحقيقة الساطعة كالشمس ، هي إذن موجة من الغزو الفضائي الحقيقي ، الغزو الثقافي الذي يمتد في فراغنا الإعلامي والثقافي ، ونحن الذين بأيدينا نفتح له الأبواب ، ونقدم له عقولنا يشكلها كيف يشاء من أجل حفنة من ملايين الدولارات !!، نحن نريد توضيحا أو ردا أو تعقيبا من مجموعة روتانا على تلك الأخبار ، نرغب في إيقاف تلك الصفقات المشبوهة التي تجعل فضاءنا مستباحا ، كما ننادي بتدخل رسمي من الأنظمة العربية المسئولة عن احتضان روتانا إعلاميا واقتصاديا لإيقاف مثل تلك التحالفات والشراكات مع أعداء الأمة قبل أن تقع الكارثة .

قانون الصحافة ..
وملاحظات على الأداء البرلماني

حرصت أن أتابع مناقشات مجلس النواب أثناء مناقشتهم لقانون الصحافة وتنظيم المطبوعات الجديد الذي سيحل محل القانون رقم ٤٧ لسنة ٢٠٠٢ م ، وسأقسم مقالي إلى شقين :

الأول يتعلق ببعض الملاحظات على الأداء البرلماني أثناء مناقشة مواد القانون

والثاني يتعلق بملاحظات على القانون نفسه

فيما يتعلق بالشق الأول ، وجدتني أستمع إلى مناقشات النواب لمواد القانون مادة بعد أخرى، ومقترحاتهم بالتعديل على بعض صياغات القانون ، وبعد ذلك التصويت على المقترح ، لفت نظري أن أحد النواب الموقرين وهو يعلق على تعريف الصحيفة الذي نص القانون على أنها (كل جريدة أو مجلة أو أي مطبوع آخر يصدر باسم واحد وبصفة دورية في مواعيد منتظمة) قال تعليقا على طريقة كتابة (باسم) إننا نريد لصحافتنا أن تكون باسمة ، وأطالب بوضع همزة تحت الألف ! وهذا خطأ لغوي جسيم ، فكلمة اسم ، وابن ، وابنة ، واثنان ، واثنتان ، وامرؤ ، وامرأة لا يكتب معها همزة ، لأنها همزة وصل .

وفضلا عن هذه النقطة اللغوية تجد كثيرا من النواب يتناقشون كثيرا في تفاصيل دقيقة، حينما ناقشوا مفاهيم الصحافة والصحفي وملحق الصحيفة وغيرها ، بالرغم من أن تحديد مفاهيم هذه المصطلحات أمر مستقر تقريبا عند أهل التخصص ، وهو ما يثير إشكالية أن النواب لابد أن يستعينوا بأهل كل تخصص حينما يناقشون أمرا متخصصا كما يفعل المتميزون منهم ، فالبرلماني لابد أن يستعين بالمستشارين من المتخصصين في كل المجالات ، يلجئون إليهم حينما تطرح موضوعات متخصصة تحتاج إلى خبراتهم ومشورتهم .

وفيما يتعلق بالشق الثاني فإن هناك تطورا تشريعيا فيما يتعلق بقوانين الصحافة ، حيث ألغي حبس الصحفيين وفقا لقانون الصحافة ، و نص على أن جرائم النشر عن طريق الصحف وغيرها من المطبوعات تخضع لقانون العقوبات ، كما أن تعطيل الصحف لا يكون إلا بحكم قضائي ، وليس من سلطة أحد إيقاف الصحيفة إلا القضاء ، فللمحكمة أن تأمر – أثناء التحقيق في إحدى جرائم النشر – بإيقاف صدور الصحيفة مؤقتا ، بناء على طلب من النيابة إذا نشرت ما يعتبر نشره جريمة ، وللمحكمة من تلقاء نفسها أن تقرر

هذا الإيقاف إذا رأت في استمرار الصحيفة ما يهدد الأمن الوطني .

كما تطرق القانون لأمر في غاية الأهمية والخطورة ، وهو الخلط بين الإعلان والتحرير ، والذي يعني تضليل القارئ بتقديم المواد الإعلانية في شكل مواد تحريرية ، حيث نص القانون في مادة مستحدثة على أنه (يجب الفصل بصورة كاملة وبارزة بين المواد التحريرية والإعلانية) ، كما منع القانون الصحفيين من العمل بالإعلانات لضمان استقلال التحرير بشكل تام عن الضغوط الإعلانية ، حيث نص القانون الجديد على أنه (لا يجوز للصحفي أن يعمل في جلب الإعلانات ، وأن يحصل على أية مبالغ مباشرة أو غير مباشرة أو مزايا مقابل نشر الإعلانات ، ..ولا يجوز أن يوقع الصحفي باسمه مادة إعلانية)

وإذا كانت المواد المتعلقة بأخلاقيات وأسس الممارسة المهنية في العمل الصحفي تدخل ضمن الأخلاقيات ومواثيق الشرف الخاصة بالمهنة في معظم الدول إلا أن تضمين القانون الجديد لهذا الجانب يعني حرصا شديدا على حق القراء ، في الفصل بين الإعلان والتحرير ، وأن تسمو المهنة ومنتسبوها إلى المكانة اللائقة بها وبهم .

صدور القانون الأخير للصحافة في مملكة البحرين خطوة هامة على طريق الحريات الصحفية ، وصيانة التجربة الصحفية التعددية الرائعة الموجودة بها ، ويبقى على الصحفيين أن لا يتوقف نضالهم في معركة الحرية المسئولة ، وأن يقوموا بتفعيل الهيئة المهنية الخاصة بهم ليكون لها دور أكبر في تطوير العمل الصحفي وتنظيمه ، والدفاع عن مكتسبات الحرية الإعلامية التي شهدتها المملكة خلال العقد الماضي ، بعد أن أقر البرلمان القانون الأخير .

متى توقف الصحيفة ؟
ومتى يلغى ترخيصها وفقا للقانون البحريني؟

أكدت القوانين المنظمة للعمل الصحافي في مملكة البحرين ، وهو القانون رقم ٤٧ لسنة ٢٠٠٢ م على ضرورة الالتزام بتقاليد مهنة الصحافة ، وألزمت كل صحفي بالتحلي بالصدق والأمانة في نقل ونشر الأخبار وتقديمها إلى الجماهير ، حيث نصت المادة ٣٧ من قانون تنظيم الصحافة والطباعة والنشر على أنه (يلتزم الصحفي فيما ينشره بالمبادئ والقيم التي يتضمنها الدستور وأحكام القانون ، وأن يراعي في كل أعماله مقتضيات الشرف والأمانة والصدق وآداب المهنة وتقاليدها بما يحفظ للمجتمع مثله وقيمه ، وبما لا ينتهك حقا من حقوق المواطنين أو يمس حرياتهم) وبالرغم من أن هذه المادة تعد من مواد مواثيق الشرف الإعلامية التي لا تحتاج إلى قانون ملزم ، حيث الالتزام بالصدق والأمانة في نقل الأخبار والصور المصاحبة لها من أبجديات العمل الصحفي والإعلامي إلا أن القانون أكد على أهميتها ، وشدد على مخالفتها .

كما ألزم القانون سائر الصحفيين والكتاب أيا كان انتماؤهم بعدم تأجيج أو إثارة النزعات الطائفية التي تمس وحدة المجتمع البحريني ، حيث نصت المادة ٣٨ من القانون نفسه على أنه (يلتزم الصحفي بالامتناع عن الانحياز إلى الدعوات العنصرية ، أو التي تنطوي على ازدراء الأديان ،أو الدعوة إلى كراهيتها ، أو الطعن في إيمان الآخرين ، أو ترويج التمييز ، أو الاحتقار لرأي طائفة من طوائف المجتمع)

وحدد القانون العقوبات المقررة للمخالفات التي قد تقع فيها الصحيفة في الفصل السادس منه ، حيث قضى بالحبس ستة أشهر – مع عدم الإخلال بأية عقوبة ينص عليها قانون العقوبات أو أي قانون آخر – لكل من تعرض لدين الدولة الرسمي بالإساءة ، أو حرض على ارتكاب جناية القتل أو أية جرائم مخلة بأمن الدولة ، أو حرض على قلب نظام الحكم أو تغييره .

ويعاقب بغرامة لا تزيد عن ألفي دينار كل من نشر ما من شأنه التحريض على بغض طائفة من طوائف المجتمع ، أو ازدرائها ، أو التحريض الذي يؤدي إلى تكدير الأمن العام أو بث روح الشقاق في المجتمع والمساس بالوحدة الوطنية ، أو نشر أخبارا كاذبة ، أو مزورة متى كان من شأن هذا النشر تكدير الأمن العام أو إلحاق الضرر بمصلحة عامة .

وتقع المسئولية القانونية على رئيس التحرير عن كل ما ينشر في الصحيفة التي يترأسها

، حيث نصت المادة ٤٨ على أن رئيس التحرير يجب أن يشرف إشرافا فعليا على كل محتوياتها ، كما حدد القانون شروطا يجب أن تتوفر في رئيس التحرير أهمها أن يكون بحرينيا ، ذا مؤهل جامعي على الأقل ، وأن يكون محمود السيرة حسن السمعة ، ولم يسبق الحكم عليه في جناية أو جنحة مخلة بالشرف والأمانة ، ما لم يكن قد رد إليه اعتباره .

وقصر القانون البحريني المنظم للعمل الصحفي إلغاء ترخيص الصحيفة نهائيا في ثلاثة مواقف : إذا طلب صاحب الترخيص إلغاءه ، أو فقد شرطا من شروطه ، أو إذا لم تصدر الصحيفة أو توقفت عن الصدور لمدة ستة أشهر بدون عذر مقبول إذا كانت يومية ولمدة سنة فيما عدا ذلك ، أو إذا تمت تصفية الشركة المصدرة للصحيفة أو تم إشهار إفلاسها أو زالت صفتها القانونية لأي سبب من الأسباب .

أما ما يتعلق بوقف الصحيفة فقد خول القانون وفقا للمادة ١٩ لوزير الإعلام أن يمنع تداول المطبوعات التي تتضمن المساس بنظام الحكم في الدولة أو دينها الرسمي أو الإخلال بالآداب أو التعرض للأديان تعرضا من شأنه تكدير السلم العام ، وقد تم إيقاف جريدة الوسط التي لمدة يوم واحد (الأحد ٣أبريل الحالي) بعد نشر عدد من الأخبار الكاذبة والصور الملفقة ، وهو ما حدث مع جريدة أخبار الخليج التي تم إيقافها يوم ٢٢ يونيو ٢٠٠٩م بعد مقال للكاتبة سميرة رجب بعنوان (الجمهورية الإسلامية الغضب الشعبي العارم) بعد احتجاج كما قيل وقتها من السفارة الإيرانية بالبحرين .

الحرب الإعلامية السياسية
بين الصين والولايات المتحدة

يخطئ من يزعم أن الشركات العملاقة (المتعددة الجنسيات) العاملة في مجال الإعلام والاتصال والتكنولوجيا بمعزل عن السياسة ، مثل شركة جوجل ، ومايكروسوفت، وفيسبوك ، ويوتيوب ، وياهو ، وغيرها من المؤسسات الإعلامية والمواقع الإلكترونية والاتصالية الضخمة في الولايات المتحدة الأمريكية ،فالحكومة الأمريكية لا تتورع عن استخدام هذه المؤسسات في الضغط على الدول لخدمة أغراضها السياسية والاقتصادية .

وما حدث في الآونة الأخيرة بين الصين والولايات المتحدة دليل على ذلك ، فقد هددت شركة جوجل التي تمتلك أكثر محركات البحث على شبكة الإنترنت شهرة واستخداما بأن تنسحب من الصين بذريعة أن الأخيرة تقوم باختراق الخصوصيات والتجسس على حسابات على (الجي ميل) التابع لجوجل ، ومعنى ذلك أن الملايين من مستخدمي الإنترنت سيفقدون محركا بحثيا قادرا على الوصول لمليارات الصفحات في ثوان معدودة ، وهو ما يؤثر بالفعل على نوعية خدمات شبكة الإنترنت في أي دولة ، وبالرغم من أن معظم الصينيين يعتمدون على محرك بحث (بايدن) الصيني ، إلا أنهم لا يستطيعون الاستغناء تماما عن جوجل .

وقد نشرت الصحف الأمريكية تقارير إعلامية تفيد بأن عددا من الشركات الأمريكية العاملة في مجال التكنولوجيا والتجارة تعرضت للقرصنة ، مثل محاولات مسح شفرات المصدر ، وتصميمات وخطط تجارية تعرضت للاختراق ، على يد قراصنة صينيين .

وتزامن مع تهديد جوجل حملة سياسية أمريكية على الحكومة الصينية تتهمها بنقص الحريات الإعلامية ، وأنها (غير راضية) عن مستوى الحرية التي يتمتع بها الأفراد في الصين ، وكانت هذه الخطوة بمثابة شرارة الحرب التي أطلقت بين التنين الصيني ، وبين الولايات المتحدة ، حيث تداخلت السياسة مع الاقتصاد ، حيث فرضت الصين حظرا على استيراد الدجاج الأمريكي مبررة ذلك بأن أسعاره أقل من أسعار الدجاج الصيني ، وهو ما يضر بمصالح منتجي الدجاج في الصين ، في نفس الوقت صرح الرئيس الأمريكي أوباما أنه ينبغي على الصين أن تراجع قيمة عملتها أمام الدولار ، لأنها لا تعطي القيمة الحقيقية للعملة المحلية الصينية أمام العملات الأجنبية ، وردت الصين على ذلك بأنها راضية عن قيمة عملتها الوطنية أمام العملات الأخرى ، كما أن مقابلة الرئيس الأمريكي للدلاى لاما

الزعيم ىالروحي للتبت والتي تعتبره الصين انفصاليا حلقة من مسلسل هذا الصراع .

وتأتي القضية الإيرانية في مشهد الحرب غير المعلنة بين الصين والولايات المتحدة ، حيث ترى الصين وروسيا أنه لا يتوجب على المجتمع الدولي أن يتجنب الحل الدبلوماسي في قضية تخصيب اليورانيوم الإيراني ، وعارضت كل من الصين وروسيا فرض عقوبات أممية على إيران باعتبارهما عضوين دائمين في مجلس الأمن الدولي ، وهو الأمر الذي لا يروق للولايات المتحدة وحلفائها من الدول الأوربية ، مما دفع الرئيس الأمريكي لاستصدار عقوبات من الكونجرس الأمريكي بفرض عقوبات على بعض الشركات التي تتعامل مع النظام الإيراني من ناحية ، وتجميد أرصدة وحظر التعامل مع شخصيات بعينها في النظام الإيراني ممن ينتمون إلى الحرس الثوري الإيراني .

وهكذا تدور رحا حرب يتداخل فيها الإعلام مع السياسة والاقتصاد ، تكون الغلبة فيها لمن يمتلك الخيارات الأكثر ، ويجيد اختيار البدائل المتاحة ، في نفس الوقت الذي يجيد فيه قراءة المشهد الدولي ، والتعاطي مع مفرداته بشكل جيد .

(توم وجيري) يعلم الأطفال المكر والخداع !!

ربما تكون كثير من الحقائق المتعلقة بقنوات الأطفال وبعض أفلام الكارتون غائبة عن كثير من الآباء والأمهات الذين يتركون أبناءهم فريسة لبرامج وأفلام الكارتون التي تجذب انتباه الأطفال ، وذلك بسبب انشغالهم عنهم ، أو لعدم إدراكهم كيف يقومون بتنشئة أبنائهم وتربيتهم تربية صحيحة .

وقد قمت بدراسة علمية عنوانها (قنوات الأطفال وتأثيرها على القيم الاجتماعية في الوطن العربي) شاركت بها في المؤتمر الدولي الذي أقامته جامعة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة عن السياسات الاجتماعية للطفولة الواقع والتحديات ، في ١٧و ١٨ مارس من العام ٢٠١٠م ، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج الهامة لكل أسرة عربية ، فبعض برامج الأطفال تحتوى من الإثارة والحركة وعوامل الجذب ما يجعلهم يقبلون عليها بنهم ، على سبيل المثال برنامج (توم وجيري) الشهير يظهر فيه عدم التوافق ، يبدأ وينتهي بعمل خطط ومكائد مع الكوميديا ، ويتعلم منه الأطفال العداء والعنف والكيد والمكر والخديعة، وفوق هذا قد يصل الأمر إلى التجاوز العقائدي ، ففي إحدى حلقات البرنامج يصعد توم إلى السماء ، وتمثل عملية حساب وعقاب ، والذي يقوم بمحاسبته كلب على مكتب !! ، وطبعا ليس كل ما فيه سلبي ، فقد يتعلم منه الأطفال حسن التصرف ، ويقوم بتسليتهم، وصعب أن تمنع أطفالك من مشاهدته ،كما أن قضاء وقت ممتع من أهم حقوق الطفل التي نصت عليها المواثيق الدولية ، فالحل إذن أن يقوم الوالدان أو أحدهما بشرح الموضوع للطفل وبيان أن المكر والخداع شيئان سلبيان ، وتتم مساعدة الطفل على فهم الفكرة ، للحد من سلبيات البرنامج .

قنوات الأطفال أيضا تعرض لشخصية سوبر مان ، وهو رجل يطير في الهواء ، يتمتع بقوة عجيبة وخارقة ، هدفه المساعدة ، ويحقق انتصار الخير على الشر ، وتكمن خطورته في أن الأطفال قد يؤمنون بواقعية ما يشاهدونه ، وبالتالي يتأثرون به ، ويحاولون تقليده، كما قامت الدراسة بتحليل شخصيات هامة وشهيرة في عالم الأطفال مثل بات مان ، وكونان ، وفلة ، وبكار ، وسندباد ، والجاسوسات الثلاث ، ولكن مساحة المقال لا تسمح بسرد مزيد من النتائج .

ومن أهم نتائج الدراسة أن غالبية المضمون المقدم في قنوات الأطفال ليس عربيا

خالصا ، فالكثير منه مترجم ، أو منقول إلى اللغة العربية صوتا (مدبلج) وهو ما يعني أنه غير متناسب مع الثقافة والبيئة العربية ، وأنه يدعم كثيرا من القيم السلبية كالاغتراب الثقافي ، ومحاولة تنميط ثقافة الطفل العربي لتتناسب مع ثقافة العولمة التي ربما تصطدم بكثير من مسلمات الثقافة المحلية ، وغرس الكثير من المفاهيم الأسرية الخاصة بثقافات مغايرة .

والحل يكمن في أن تقوم مؤسسات الإنتاج الإعلامي العربي بابتكار شخصيات عربية قادرة على جذب انتباه الأطفال ، تحمل قيم وثقافة أمتنا العربية ، وبالرغم من أن تكلفة إنتاج برامج الأطفال باهظة إلا أن أطفالنا هم مستقبل هذا الوطن ، ألا يستحقون أن نقتطع من موازنات الدول لدعم هذه المؤسسات ؟ وأن تقوم قنوات الأطفال التي تستورد أفلامها من مؤسسات الإعلام الغربية بعملية انتقاء لها ؟ وعدم بث البرامج والأفلام التي لا تخدم أطفالنا الذين هم فلذات أكبادنا التي تمشي على الأرض ؟

الإعلام الطائفي ! (1-2)

لا يوجد في العالم بلد كله طائفة واحدة ، بل طوائف شتى ، تلك حقيقة أردت أن أصدر بها هذا المقال ، فالناس ليسوا نسخا كربونية ، ولا صورا مستنسخة طبق الأصل، وهي الحقيقة التي أرادها الله للبشر على هذه الأرض مذ خلق أبانا آدم عليه السلام ، التنوع والاختلاف في العقائد ، والاتجاهات ، والميول ، والطبائع ، وأمور أخرى كثيرة ، يقول تعالى في الآيتين رقم ١١٨ ، ١١٩ من سورة هود : « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ، إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ « ، غير أن هذا الاختلاف في نهاية المطاف لابد أن يؤدي إلى التكامل والتنوع والثراء ، لأن اختلافنا عن الآخرين يدعونا للتعرف على الآخرين ، والتحاور معهم ،والاستفادة من نقاط التميز لديهم ، يقول تعالى في الآية رقم ١٣ من سورة الحجرات : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ « .

في الدول الغربية كما في غيرها من الدول ، تجد الطوائف السياسية المتعددة ، ليبراليون ، ويمينيون ، ويساريون ، رأسماليون ، واشتراكيون ، وآخرون ينتمون إلى الطريق الثالث ، كلهم يعملون ليشكلوا لوحة من التنوع والثراء الفكري والسياسي ، كما أنه يندر أن تكون هناك ديانة واحدة في دولة واحدة(باستثناء جزر القمر ١٠٠٪ مسلمون ، والفاتيكان بطبيعة الحال) ، هناك المسلمون و المسيحيون واليهود والبوذيون والملحدون ، كما أن هناك المذاهب الدينية المختلفة داخل كل ديانة ، وهناك التيارات المختلفة داخل كل مذهب، كما أن هناك طوائف عرقية توجد في بعض الدول كالزنوج الأفارقة في الولايات المتحدة والأمازيج في بلاد المغرب العربي ، والأكراد في العراق على سبيل المثال .

ومن حق كل طائفة وفقا للمواثيق الدولية لحقوق الإنسان التعبير عن آرائهم بحرية ، كما هو حق كل إنسان ، وهو الأمر الذي استقرت عليه سائر الكيانات السياسية ، وتصدر الدول دساتيرها وقوانينها التشريعية بهذه الحقوق على سبيل المحاكاة أوحتى على سبيل المباهاة ، من حق كل طائفة أن يكون لهم تمثيلهم المناسب في وسائل الإعلام ، أن تكون لهم صحفهم ووسائل إعلامهم التي تعبر عنهم وتعكس واقعهم سواء كانت هذه الطائفة تمثل

الأغلبية، أم كانت أقلية ، بما يعكس في نهاية المطاف هذا التنوع والتكامل في الرؤى ، عبر قنوات احترام الآخر والحفاظ على ثوابت الأوطان .

وحينئذ لا نسمي الإعلام الذي يعبر عن طائفة إعلاما طائفيا ، طالما أنه يلتزم بالعقود التي أبرمت بين سائر الأمة ، أما (الإعلام الطائفي) فيطلق على وسائل الإعلام التي تعمل لحساب أجندة بعينها ، تروج لأفكار معينة وفق خطة مدروسة ، تحدث شقاقا بين أبناء الوطن ، وتنال من الطائفة أو الطوائف الأخرى ويكون هدفها في النهاية إحداث الفتنة بين المجتمع .

ولا يمكن أن يكون هذا النمط من الإعلام إعلاما إيجابيا ، بل إن أساتذة الاتصال لا تعتبرونه إعلاما ، بل هو دعاية لأفكار بعينها قد تكون سوداء ، أو رمادية اللون ، وينبغي على المجتمع بكل أطيافه أن يرفض هذا النوع من (الدعاية) التي تضر أكثر ما تنفع ، وتهدم أكثر ما تبني ، وذلك من خلال الآليات القانونية والتشريعية التي تضمن سلامة المجتمع واستقراره ، وسواء كانت هذه الدعايات الطائفية من هذه الطائفة أو تلك .

الإعلام الطائفي (2-2)

الخبر هو الخبر في مجال الإعلام لابد أن يكون موضوعيا ، نقل أمين للوقائع والأحداث كما حدثت بالفعل ، دونما حذف أو إضافة ، ودون تركيز وتضخيم لبعض جوانب الخبر وإغفال لجوانب أخرى ، هذا أول درس يدرس في علوم الصحافة ، ولكن واقع الممارسة الصحفية يقول غير ذلك ، صحيح أن كل صحيفة لها اهتماماتها وسياستها التحريرية، وأفكارها التي تريد توصيلها للناس ، لكن لا ينبغي أن تكون القصص الإخبارية وسيلة للتعبير عن هذه الأفكار ، إنما مكانها الصحيح صفحات الرأي ، لأن الخبر (مقدس) والرأي حر ، كما هو شعار صفحة الآراء في إحدى الصحف البريطانية .

ومن هنا تأتي خطورة توظيف الخبر في الإعلام الطائفي الذي لا يهدف إلى تقديم الخدمة الإخبارية المجردة للجماهير ، بقدر ما يهدف إلى تنفيذ حملته الدعائية والتسويقية لأفكاره من خلال انتقاء الأخبار المعينة ، وتضخيم بعض الأخبار أو بعض جوانبها ، وهو خطأ مهني تجرمه كل مواثيق الشرف الإعلامية ، فقد ترى خبرا عن احتجاج مجموعة صغيرة على قرار حكومي يحتل العنوان الرئيسي (المانشيت) في صحيفة معارضة ، في حين قد تتجاهله الصحف الرسمية أو شبه الرسمية ، وكلاهما على غير صواب ، فالصحيفة الأولى يجب أن لا تضخم في الخبر ، والثانية لا يجب أن تتجاهله ، لأننا نعيش في عصر النفاذ السريع إلى المعلومات من الفضائيات والإنترنت والجوال وغيرها من المصادر .

وتزداد خطورة توظيف الخبر إذا احتوى على النيل من طائفة بعينها من طوائف المجتمع ، لأن الإعلام الطائفي كما عرفناه في المقال السابق هو الذي ينطوي على نقد الآخر باعتباره من طائفة أخرى ، وليس باعتباره حتى خصما سياسيا نختلف معه في طرح بعض الرؤى والأفكار .

وحتى لا يقع إعلامنا في فخ الطائفية لابد من مراعاة الاعتبارات التالية :

١- أن ينسى الصحفي وهو يكتب موضوعاته سواء كانت أخبارا أم مقالات أنه ينتمي لطائفة بعينها ، ويتذكر فقط المعايير المهنية للعمل الصحفي ، ويتذكر دائما أنه ينتمي للوطن الذي تتسع أحضانه لكل مواطن .

٢- أن تقوم كل الصحف بنشر المقالات التي تعبر عن الآراء المتباينة ، ولا تقصر الكتابة على أصحاب وجهة النظر الواحدة ، بل تفتح صفحاتها لكل وجهات النظر في القضايا العامة .

٣- أن يكون هناك اتفاق بين كل الصحف أن لا تتناول بالإيحاء أو الغمز ما يفهم منه أنه انتقاد لطائفة على حساب أخرى .

٤- أن تقوم الصحف بالتركيز على إظهار مزايا كافة طوائف المجتمع بشكل مناسب ، وأن تتجنب النقد الذي ينطوي على بعد طائفي ، أما الاختلاف البناء الذي يؤدي إلى التنوع والثراء فلا بأس به .

إن تاريخ المسلمين شهد في السابق تعايشا بين كل الطوائف والمذاهب ، كان الحنفيون والشافعية والمالكية والحنابلة وغيرهم يلتقون دائما على الود ، والاعتراف للآخر بالفضل، كان الشافعي يقول (رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب) بل إن طوائف غير المسلمين كالمسيحيين واليهود عاشوا بين المسلمين ، لهم ما لهم وعليهم ماعليهم في حياة كريمة وفرتها لهم الحياة بين مجتمع المسلمين .

تنوع مجتمعاتنا ثراء لها ، طالما أن منطق احترام الآخر هو السائد فيها ، ويبقى للإعلام دوره في أن يسلط الأضواء على مواطن هذا الثراء .

ما الذي حدث للقنوات الإخبارية العربية ؟؟

ظهرت القنوات الإخبارية العربية المتخصصة في منتصف تسعينيات القرن الماضي بعد حرب تحرير الكويت ، حينما كان الفراغ الإعلامي الإخباري حالة سائدة في الوطن العربي ، وحينما كان الاعتماد الإخباري على المحطات الأجنبية كال (سي إن إن) وال(بي بي سي)وغيرهما ، وظهرت قناة الجزيرة لتكون أول فضائية إخبارية يناط بها تزويد الجمهور العربي بالأحداث الكبرى من وجهة نظر عربية.

والحقيقة أن (الجزيرة) التي بدأ بثها في أواخر ١٩٩٦ قد أحدثت حالة عربية خاصة، واستطاعت استقطاب ما يربو على بضعة ملايين مشاهد ، لتدخل إلى عالم (الوسائل المليونية) التي يتعرض لمحتواها أكثر من مليون شخص ، واستطاعت أن تحرك المياه الراكدة في المنطقة العربية ، وكان وجودها سببا في تطوير قطاعات الأخبار في كثير من القنوات التليفزيونية العربية .

ثم ظهرت قناة العربية التابعة لمجموعة راديو وتليفزيون الشرق الأوسط (الإم بي سي) في ٢٠٠٣ .لتكون منافسا قويا للجزيرة ، ولتتقاسم معها الجماهير العربية المتعطشة لمعرفة ما يحدث في منطقتنا الساخنة المليئة بالأحداث ، وذلك بالإضافة إلى عدد من القنوات الإخبارية الهامة ، مثل قناة النيل للأخبار المصرية ، وقناة الإخبارية السعودية ، لكن البعد المحلي طغيا على القناتين الأخيرتين ، وأدى ارتباطهما بالسياسة الرسمية للدول الموجودة فيها ، ونظام ملكيتهما إلى إضعاف قوتهما كمنافس إخباري حقيقي.

لكن الملاحظ في الفترة الأخيرة أن كلا من (الجزيرة) و (العربية) قد فقدا جانبا كبيرا من جوانب المهنية الإعلامية ، وشرطا هاما من شروط النجاح الإعلامي ، وهو الموضوعية ، فقد انزوت كل منهما في الزاوية التي تقبع فيها السياسات الرسمية لكل من قطر والسعودية ، حتى صارتا أداة من أدوات التسويق السياسي لموقف الدولة التي تنتمي إليها ، ويتضح ذلك جليا في موقف القناتين من قضية غزة ، الجزيرة تدافع عن حماس ، وتناصر قضيتهم ، في حين أن العربية تتحفظ في تأييد حماس تبعا لتحفظ الموقف الرسمي السعودي منها ،أو تغطيتهما الإخبارية للأحداث في إيران ، الجزيرة تؤيد على طول الخط نظرا للتقارب السياسي بين النظام في الدوحة وطهران ، والعربية تهاجم على طول الخط نظرا للتباعد السياسي بين الرياض وطهران ، والنتيجة هي هروب المشاهد العربي الذي يبحث عن مصدر موضوعي لمعرفة ماذا يحدث دون وضع الأخبار في إطار أو سياق ، وهو

ما يعرف لدى علماء الإعلام والاتصال بنظرية التأطير أو الأطر ، إلى عدد من القنوات الأجنبية والناطقة بالعربية مثل البي بي سي ، وغيرها من القنوات التي تحرص جاهدة على التزام المعايير المهنية والموضوعية ، مستغلة حالة الفوضى الإعلامية التي تعج بها القنوات الإخبارية العربية .

كما أن المواقع والبوابات الإخبارية على شبكة الإنترنت ، ومواقع وكالات الأنباء العالمية منافس قوي أيضا لتلك القنوات ، فلم تعد المشكلة الآن كيف نصل إلى الخبر ، حيث يتوفر لدى الجمهور مئات وآلاف المصادر الإخبارية ، بل المشكلة الكبرى تتلخص في : كيف نثق في مصدر الخبر ، وبتقديرى فإن مستقبل نجاح المؤسسات الإعلامية يتحدد في مستوى ثقة الجماهير بالوسيلة ،والثقة تتبع النجاح والتميز والموضوعية والمهنية العالية ، ولن تثق الجماهير بوسيلة توظف نفسها للتسويق السياسي ، أو تكون أداة ضغط في يد الدول الصادرة عنها لتكون في خدمة أجندتها الخاصة .

عصر التشفير

وأنا أتصفح بعض الموضوعات المتعلقة بتشفير القنوات التليفزيونية وجدت مادة بثتها قناة الجزيرة القطرية في عام ٢٠٠٦ بعنوان (حلقات النقاش) تنتقد فيه القناة عملية تشفير مباريات كأس العالم التي كانت شركة A.R.T.قد اشترت حقوق بثها حصريا ، ورأى مقدم البرنامج آنذاك أن المقابل الذي يدفعه المشترك باهظ ، وأطلقت القناة على الشركة المالكة لحقوق البث أنها من تجار البث الفضائي ، وطرحت على المشاهدين أسئلة من نوعية هل يخدم التشفير الرياضة بشكل عام ؟ وهل يخرج هذا التشفير الكرة المستديرة من قلوب عشاقها ويدخلها إلى جيوب تجار البث الفضائي ؟

وتركت القناة الفرصة للمشاهدين أن يعلقوا على الموضوع ، فقال أحد المتداخلين إنه استغلال للفقراء الذين يحبون مشاهدة مباريات المونديال ، وقال آخر إنه جشع الأغنياء وضعف الفقراء ، وبحثت عن موضوع للنقاش على الجزيرة يطرح الموضوع بنفس القدر من الجرأة والشجاعة في النقد الذاتي في مونديال ٢٠١٠ فلم أجد .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن وقد وصلنا إلى قرب نهاية مباريات مونديال جنوب أفريقيا : هل نعيش الآن في عصر التشفير ؟ وهل يصب ذلك في مصلحة الرياضة فعلا ؟ أم أنه كلام تروجه القنوات التليفزيونية المالكة لحقوق البث الحصري ؟ وماذا يفعل غير القادرين على الاشتراك في باقات تلك القنوات ؟

سنجد في بعض الدول أن الدولة تتدخل بشراء حقوق البث الجزئي (كما فعلت مصر حينما اشترت حقوق البث الأرضي من الجزيرة مقابل اثنين وعشرين مليون دولار ، وكما فعلت الجزائر حينما دعمت باقات الاشتراك في قنوات البث الحصري ليتمكن الجمهور من مشاهدة مباريات فريقهم في المونديال .

كما باعت قناة الجزيرة حقوق البث الأرضي لعدد من التليفزيونات الوطنية في عدد من الدول العربية لتبث على التردد الأرضي ، ولكن قناة الجزيرة فعلت أمرا استنكرته عدد من الدول العربية ، وهي أنها قامت ببث المباريات التي باعت حقوق بثها أرضيا في القناة المفتوحة بحجة أنها تعمل لصالح المواطن العربي ، ومن ثم كانت حادثة التشويش على إرسال قنوات الجزيرة الرياضية ، واتهمت الجزيرةُ الشركةَ المالكة للقمر المصري نايل سات ، ولكن التشويش تم في ترددات الجزيرة على عرب سات وهوت بيرد أيضا ، فأضافت الجزيرة ترددات أخرى لباقتها على كل الأقمار الصناعية التي تعمل في فضاء المنطقة

العربية والشرق الأوسط .

والملاحظ في قنوات الجزيرة الرياضية ندرة الإعلانات التجارية التي لا تتناسب إطلاقا مع ضخامة الحدث العالمي ، فهل اكتفت بما جنته من جيوب المشتركين في قنواتها المشفرة؟ بالإضافة إلى ما جنته من بيع المباريات أرضيا لعدد من الدول العربية ؟ أم أن الصفقة التي أبرمتها مع راديو وتليفزيون العرب لشراء حقوق بث مباريات كأس العالم ٢٠١٠ ، و٢٠١٤ ومباريات بطولة كأس الأمم الأفريقية ٢٠٠٨ ، وعدد من مباريات الدوري في بعض الدول العربية ، والتي بلغت قيمتها ٥ مليار ريال سعودي قد عززت مكانتها الإعلامية في المنطقة العربية ، وهو ما كانت تسعى إليه ؟ كل الاحتمالات واردة في هذا السياق ، لكن ما لا يمكن إنكاره أن إخفاقا تسويقيا وإعلانيا حاق بالجزيرة ، وبالرغم من الإمكانيات التقنية والفنية العالية التي استعدت بها الجزيرة للمونديال الأفريقي ، إلا أنه يبقى أمامها أن تطور تلك التجربة مع الأحداث الرياضية العالمية الهامة لتحقيق أقصى استفادة ممكنة ، ومهما كانت الانتقادات لنظام تشفير القنوات التليفزيونية إلا أنه اتجاه عالمي الآن ، فنحن الآن نعيش في عصر التشفير .

العلاقات العامة ..
وبناء الصورة الذهنية

تنظر كثير من المؤسسات إلى مهنة العلاقات العامة على أنها مهنة هامشية يمكن الاستغناء عنها ، أو مهنة استقبال وتوديع ضيوف الهيئة أو المؤسسة ، ومؤسسات أخرى تنظر إلى وظائف العلاقات العامة على أنها نوع من تحقيق الوجاهة و(البرستيج) ، في حين أن العلاقات العامة فن وعلم له أسسه وقواعده وأهدافه ، وله أيضا مردوده الإيجابي الذي لا يمكن تجاهله ، والذي قد يكون اقتصاديا في الشركات التجارية ، أو سياسيا في حملات العلاقات العامة التي تقوم بها الدول ، أو حتى التي يقوم بها بعض الأشخاص للترويج لأنفسهم تمهيدا لانتخابات برلمانية أو حتى رئاسية في الدول التي تسمح بذلك .

وهناك ثلاثة مراحل هامة للتعامل مع الصورة الذهنية ، أولاها البناء أو الخلق أو التشكيل ، وثانيتها التدعيم ، وثالثتها التغيير ، فالشركات أو المؤسسات الجديدة أو التي لم تحقق مستوى معقولا من النجاح تريد أن تبني لنفسها صورة ذهنية جيدة ، تمثل أرضية للثقة بينها وبين الجماهير أو العملاء المستهدفين ، ويستخدم أفراد العلاقات العامة في هذه المرحلة الحملات الدعائية والإعلانية والإعلامية لتنفيذ الاستيراتيجية التي تحقق هذه الأهداف ، كما أن المرشحين السياسيين أو البرلمانيين يمكنهم التعامل بهذه المرحلة لخلق صورة ذهنية طيبة تحمل القيم الإيجابية لدى الناخبين .

والمرحلة الثانية هي مرحلة التدعيم ، وفيها تكون المؤسسة أو الشخصية قد حققت قدرا معقولا من النجاح ، ويناط بأفراد العلاقات العامة العمل على تطوير الصورة الذهنية لتلك المؤسسة وتدعيم النقاط الإيجابية بها ، وتنفيذ بعض البرامج والخطط التي تكفل الاستمرار في مسيرة النجاح ، والتعامل مع الأزمات الطارئة بمفهوم علمي لإدارة الأزمة الذي يحقق أقل خسائر ممكنة ، إن لم يحقق بعض المكاسب ، والمثال على ذلك قيام بعض الشركات الكبرى المصنعة للسيارات بالكشف هي عن بعض العيوب الفنية ببعض الموديلات، ومناشدة العملاء باسترجاع تلك السيارات لإصلاح الخلل الفني بها ، فبالرغم من بعض الخسائر المادية التي تتعرض لها تلك الشركات على المدى القصير ، إلا أنها تكسب – على المدى البعيد – احترام كثير من العملاء لها ، لأن صورة تلك المؤسسات في عيون عملائها : الشركة التي تحرص على سلامة العملاء مهما كلفها الأمر ذلك ، وإدارة الأزمات إحدى الفنون التي نفتقدها في العالم العربي بالرغم من أهميتها القصوى .

وهناك مرحلة التغيير .. أي تغيير الصورة الذهنية للمؤسسات أو الدول أو الهيئات، وتناسب المؤسسات التي تعرضت سمعتها لهزات متتالية قد تؤثر على أدائها ، وحينئذ توضع بعض البرامج والخطط التي تعمل وفق أسس علمية على التغيير التدريجي للصورة المشوهة للمنظمة أو الدولة ، والتي لا ينبغي أن تترك للمصادفة ، وهناك أمثلة كثيرة على تلك المرحلة، منها المحاولات المتواضعة التي يقوم بها العرب والمسلمون لتغيير الصورة النمطية عنهم في الغرب ، حيث ينظر للمسلم على أنه ذلك الإرهابي الذي يهوى سفك الدماء ومعاقرة النساء ، ومن أمثلتها أيضا هذه الحملة الكبيرة التي تقوم بها وزارة الخارجية الأمريكية- وترصد لها الميزانيات الضخمة - لتحسين صورتها القميئة لدى العرب والمسلمين ، التى ازدادت سوءا بعد احتلالها العراق وأفغانستان ، ووقوفها السافر مع إسرائيل ضد الحقوق الفلسطينية المشروعة .

ولكن يخطئ من يزعم أن العلاقات العامة عصا سحرية تمكننا من خلال برامجها تغيير الأشياء من النقيض إلى النقيض ، فلن يكون بإمكاننا تغيير صورتنا المشوهة لدى الغرب إلا إذا كانت مجتمعاتنا سوية وواقعنا متحضر ، ولن يكون بمقدور أمريكا أن تحسن صورتها في عيوننا وأيديها ملطخة بدمائنا ، لأنه — وببساطة شديدة — لا يستقيم الظل والعود أعوج .

التليفزيون البحريني ...
هل يحتاج إلى تطوير؟؟

لماذا لا يمتلك البحرين إعلاما متطورا ومؤثرا الآن بالرغم من أن الصحافة البحرينية كانت من أسبق الصحف الخليجية ظهورا وتأثيرا ؟ لماذا يوجد إعلام تليفزيوني متطور في بعض الدول الخليجية مثل الإمارات وقطر والكويت بينما الإعلام التليفزيوني في مملكة البحرين لم يلق نفس درجة النجاح والذيوع والانتشار كما في تلك البلدان ؟؟ كانت هذه أبرز الأسئلة التى وجهت لي في لقاء مباشر مع أحد برامج قناة نور دبي حينما كنا في زيارة علمية إلى المؤسسات الإعلامية بمدينة دبي مع وفد من طلاب قسم الإعلام بجامعة المملكة في ديسمبر الماضي ، وكانت إجابتي أن مملكة البحرين في ظل العهد الإصلاحي لجلالة الملك تشهد طفرة نوعية في الإعلام الصحفي ، ويوجد عدة صحف يومية تمثل تيارات سياسية وفكرية متباينة ، وقد أسهمت تلك التجربة في إثراء الحياة الثقافية والفكرية بالمملكة ، أما فيما يتعلق بالمشهد الإعلامي المرئي فلا أحد ينكر أن بعض الدول الخليجية شهدت تطورا نوعيا في قنواتها التليفزيونية ، واستطاعت أن تفرض شاشتها على أجندة المشاهد العربي ، وربما العالمي ، ولكن المشهد الإعلامي المرئي في مملكة البحرين بدأ يشهد تطورا ملحوظا في الفترة الأخيرة منذ تولت الشيخة مي آل خليفة وزارة الإعلام ، فقد حاولت تطوير التليفزيون ، وحققت – على هذا الصعيد – بعض التقدم .

وقد كلفتُ بعضَ الطلاب بعمل استفتاء مصغر عن رأي الجمهور البحريني في كل من الإذاعة والتليفزيون البحرينيين ، فوجدتُ أن نسبةً كبيرة من الجمهور يفضلون الإذاعة عن التليفزيون ، وكانت أهم أسباب تفضيلهم للإذاعة أن الأخيرة تتفاعل مع الجماهير وتهتم بالقضايا الحقيقية التي تشغل بالهم ، كما تقدم مادة ترفيهية خفيفة مناسبة لهم، وبالرغم من عدم دقة الإجراءات العلمية للدراسة – كونها دراسة طلابية يتدرب فيها الطلاب على البحث العلمي – إلا أنها تعطى مؤشرات واقعية لموقف الجمهور البحريني من الإذاعة والتليفزيون ، من بعض إجابات بعض المبحوثين : أنه لا يشاهد التليفزيون إلا في فقرة الوفيات ليعلم من توفي من عائلات المملكة ! ،وآخر قال إنني أشاهد النشرة الجوية التي لا تصدق توقعاتها ، إلى غيرها من الإجابات التي تنحو هذا المنحى .

ومن الإنصاف أن نذكر للشيخة مي أنها بدأت مرحلة التطوير ، مهما كانت الانتقادات التي وجهت لها ، كونها أولت الثقافة ومجالاتها الاهتمام الأكبر في وزارة الثقافة والإعلام،

لكن التوصيف العلمي الدقيق يستوجب القول أن التطوير لا يزال يحتاج إلى جهود كثيرة، بالإضافة إلى أن وتيرة التطوير يجب أن تتم بمعدلات تتناسب مع حجم وأهمية قطاع الإعلام المرئي التي تشير الدراسات العلمية أنه لا يزال الأقوى تأثيرا ، خاصة في المجتمعات العربية ، ولا شك أن المرسوم الملكي الذي أصدره صاحب الجلالة الشيخ حمد بن خليفة عاهل البلاد بفصل الإعلام عن الثقافة وتعيين الشيخ فواز بن محمد آل خليفة قرار هام ،يصب لصالح الثقافة من جهة ، ومن جهة أخرى يجعل من الإعلام مؤسسة مستقلة ، ويمكن الوزير الجديد من الإسراع بخطى التطوير لهذا الجهاز الهام ، ليلحق التلفزيون البحريني بتجربة الصحافة الناجحة ، ويلحق بتليفزيونات عدد من الدول الخليجية التي خطت خطوات رائدة في هذا المجال ، وقد قوبل قرار فصل الإعلام عن الثقافة وإسناده إلى الشيخ فواز بارتياح كبير لدى الإعلاميين لما للرجل من نجاحات متتالية في قطاع الشباب والرياضة ، وبالرغم من الجهود المشكورة التي قامت بها الشيخة مي في الإعلام ، إلا أن الجماهير البحرينية تنتظر من القيادة الجديدة الكثير .

الإعلام في رمضان

أسبوع واحد يفصلنا عن شهر رمضان الكريم ، حيث يستعد المسلمون في كل مكان لهذا الشهر استعدادا خاصا ، من خلال التهيئة الإيمانية والروحية التي تتناسب مع أجواء رمضان ، وتستعد وسائل الإعلام هي الأخرى منذ شهر تقريبا لشهر رمضان ، من خلال عمل الدعاية المكثفة للمسلسلات والبرامج ، و تحشد القنوات التلفزيونية جهودها لاستقطاب أكبر عدد من المشاهدين والمعلنين لأن الدراسات تؤكد أن الشهر العظيم يسجل ذروة أوقات المشاهدة على مدار العام .

فقد صار رمضان (شهر المسلسلات) بلا منازع ، حيث تقوم القنوات التليفزيونية وشركات الإنتاج الإعلامي بإنتاج عشرات المسلسلات التي تتقاسم أوقات الصائمين ، وبدل أن يكون رمضان شهر تلاوة القرآن والتقرب لله تعالى ، أضحى شهرا للهو ولمتابعة برامج الكوميديا والفكاهة ، وبرامج (المقالب) و الكاميرا الخفية ، والمسلسلات الكوميدية القصيرة أو (السيت كوم) أو حتى البرامج التي يكون ضيوفها الفنانون والفنانات ، وربما الراقصات ، ونجوم الرياضة .

صحيح أن هناك جرعة من البرامج الدينية تحرص كل قناة على بثها على شاشتها ، إلا أنها تبقى متواضعة المساحة بالقياس إلى المواد الأخرى ، وصحيح أن القنوات الدينية المتخصصة تحتفل برمضان احتفاء يتناسب مع طبيعة القناة من جهة والأجواء الإيمانية لرمضان من جهة أخرى ، لكن القنوات العامة – غالبا- تحظى بنسبة مشاهدة أعلى من القنوات المتخصصة .

وهناك ظاهرة إعلامية أخرى في رمضان ، وهي الازدهار الإعلاني ، حيث تنشط الإعلانات نشاطا ملحوظا ، وتقوم شركات الإعلانات بإنتاج مئات الإعلانات التي تحتل فواصل المسلسلات والبرامج ، وتملأ مساحة الفقرات الإعلانية على خريطة القناة ، بل إن إحدى شركات الإعلان والدعاية في مصر ذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك ، فقد قامت شركة طارق نور للإعلانات بإنشاء قناة فضائية تليفزيونية خاصة بشهر رمضان العام الماضي،(قناة القاهرة والناس) وأغلقت شاشتها لمدة أحد عشر شهرا ، لتعلن عن استئناف بثها في رمضان القادم ، حتى تأخذ النصيب الأكبر من الكعكة الإعلانية الرمضانية .

وزيادة الإعلانات تلك ، تساهم في تحقيق أرباح وسائل الإعلام ، حيث تمثل الإعلانات في العموم ٧٥٪ من إيرادات الوسيلة ، فهي بذلك تساهم في تكلفة الإنتاج الإعلامي الباهظة

، لكن الأمر لابد أن ننظر إليه من بعديه ، فمن ناحية تساهم الإعلانات في إنعاش موارد المؤسسة الإعلامية ، ومن الناحية الأخرى يلاحظ وجود فوضى إعلانية ، حيث لا مجال لاعتبارات الأجواء الإيمانية للشهر الفضيل ، أو حتى استغلال بعض الشعائر الدينية ، وتوظيفها إعلانيا بشكل قد لا يتفق وجلال هذه الشعيرة .

وما يقال عن الإعلام المرئي يقال عن الإعلام المسموع ، والإعلام المقروء ، لكن الظواهر الإعلامية التي تمت الإشارة إليها تظهر جلية في الإعلام المرئي عما عداه .

ولا أدري هل زيادة جرعة التسلية والترفيه في رمضان مردها أن الصائمين يحتاجون إلى تلك التسلية لتنقضي ساعات رمضان ؟ خاصة وأن الصيام في أغسطس له عناؤه الخاص ! أم أنه إرث إعلامي أن يتحول رمضان إلى مهرجان إعلامي كبير ، تتسابق فيه المسلسلات والبرامج الخفيفة لاقتناص أوقات الصائمين ؟

إن هذا المقال ليس دعوة لمقاطعة التليفزيون في رمضان ، ولكنه دعوة لأن ينظم كل صائم وقته ، ولا يترك نفسه فريسة لتلك الظواهر الإعلامية التي – ربما – تفرغ رمضان من مضمونه ، وكل عام أنتم بخير .

157 مسلسلا في رمضان !!

جاء رجل إلى الإمام الشافعي ليسأله في مسألة ، فقال له الشافعي : يقول رسول الله ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فيها كذا وكذا ، فقال السائل : وماذا تقول أنت ؟؟ فزجره الشافعي، وقال له : أقول لك قال رسول اللّه ، وتقول وما تقول أنت ؟؟! وهل لي رأي بعد كلام رسول الله الصريح !!؟

هكذا يجب أن يكون المسلم ، يقدم كلام اللّه ورسوله على كل ما عداهما ، وهو معنى يفهم من قول اللّه تعالى في الآية الأولى من سورة الحجرات :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) .

إذا قال اللّه ورسوله على سبيل المثال إن الرشوة حرام ، فلا تقدم كلام فلان الذي يقول إنها ليست رشوة إنها هدية ، أولئك الذين يسمون الأشياء بغير مسمياتها ، ويلوون عنق الحقائق ، ويقدمون هذه الآراء الفاسدة على كلام اللّه وتوجيهاته .

يقول اللّه تعالى في سورة الأحزاب : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً) .

إذا قلت لصاحب قناة تليفزيونية أو مديرها ، إن شهر رمضان الكريم هو شهر القرآن، وشهر يتقرب فيه المسلمون للّه ، فلا ينبغي أن تفسد هذه الأجواء الإيمانية بهذه المشاهد المخلة ، أو الدراما الكثيفة حتى تحول الشهر إلى « شهر المسلسلات «(١٥٧ مسلسلا يتم عرضه في الفضاء العربي في رمضان) تجده يخبرك بأن هذا الشهر شهر تحقيق المكاسب المادية التي يجنيها من الإعلانات ، والمسلسلات ، وأنه ذروة تحقيق الأرباح ، ولن يتنازل عن تحقيق تلك الأرباح ، وليكن شهر المسلسلات ، شهر الفوازير ، أو أي شئ آخر ، كل ذلك لا يهم ، المهم أن يدخل حسابه أو حساب القناة تلك الأرقام التي بها ينتعش !

وإلى هؤلاء ومن يحذون حذوهم نقرأ لهم تتمة الآية الكريمة (واتقوا الله إن الله سميع) لقولكم (عليم) بأفعالكم .

الشعور دائما بأن الله يراقبك ، والتذكر دائما بأن الله سيحاسبك ، يخلقان من الفرد مؤمنا سويا ، الخوف من الله يجعل الفرد لا يكذب ، ولا يسرق ، ولا يزني ، ولا يشرب الخمر، ولا يرتشي ، ولا يظلم ، ولا يهدر المال العام ، ولا يقصر في المسئوليات الملقاة على

عاتقه ، سواء في منزله ، أو في المؤسسة التي يعمل بها ، وتكون المحصلة العامة مجتمع مستقر ، كل فرد يأخذ فيه حقه المشروع ، وفوق كل ذلك يشعر بتقديره لذاته ، لأنه يعلم أنه ليس للفساد مكان في هذا المجتمع ، ويشعر بالأمن النفسي ، والأمن بشكل عام ، ونعمة الأمن من أجلّ النعم التي ينعم الله بها على مجتمع .

كما أن كثرة المجادلة واللجاج ، والاحتجاجات المتكررة - رغم وضوح الأمر - تشق وحدة الصف ، ولا تزيد الأمة إلا وهناً ، مهما كانت الحجج .

حين مرض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مرض الموت ، قال لأصحابه مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقالت السيدة عائشة رضي الله عنها : إن أبا بكر رجل أسيف ، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس من البكاء ، فمر عمر فليصل بالناس ، فقال – صلى الله عليه وسلم – إنكن لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس .

من نوادر المذيعين

في أيام العيد تكثر البرامج التي تسجل مع الجماهير في أماكن المتنزهات والترفيه ، وعادة ما يجري المذيع أو المذيعة حوارات قصيرة مع عينة من الجماهير للسؤال عن كيفية قضاء يوم العيد ، والبرنامج الذي يتبعونه لقضاء أوقات ممتعة ، أذكر ذات مرة أنني شاهدت المذيعة تسأل الضيف يوم عيد ، وتقول : إن الجو اليوم مبهج وجميل ، والطقس منعش في يوم العيد ، ما هو رأيك في أجواء هذا اليوم ؟

بالطبع هي قدمت الإجابة ، ولم تترك للضيف شيئا يقوله ، وهذا خطأ يقع فيه بعض المذيعين ، حين يوحون إلى الضيف بالإجابة التي يريدون سماعها منه ، والصحيح أن يكون السؤال مجرد سؤال بسيط ، دون أن يكون هناك إغراق في التفاصيل التي تجعل الضيف مشتتا ، وربما ينسى السؤال بعد فراغ المذيع منه .

أذكر ذات مرة أنني كنت ضيفا في إحدى برامج الهواء الصباحية ، وكان الموضوع عن انتشار ظاهرة (الفهلوة) بين الشباب ، وكان البرنامج يقدمه اثنان من المذيعين ، وكان كل منهما يجتهد في أن يظهر للمشاهدين أن لديه معلومات وفيرة عن الموضوع ، لدرجة أن أحدهما سألني سؤالا طويلا ، ذكر فيه من المعلومات ما يفترض أن أذكره أنا كضيف ، ثم بعد أن انتهى من سرد كلامه الطويل ، لم يذكر السؤال ، فقلت له ما هو سؤالك، فقام الآخر متطوعا بتوضيح سؤال الأول ، واستطرد أيضا في الحديث قبل أن يوجه لي السؤال المباشر ، ولم أنسى أن أذكرهما على الهواء وأذكر المشاهدين أن هذا السؤال طويل، ويحتاج إلى وقت طويل للحديث عن كل النقاط التي وردت فيه ، غير أني سألو جهدي لأختصر وأقدم للمشاهد بعض المعلومات .

السؤال في اللقاء الإذاعي أو التليفزيوني أو حتى الصحفي لابد أن يكون مركزا ومباشرا، ولابد أن يصاغ بأسلوب واضح ، وهذا يستدعي تحضيرا جيدا من المذيع ، ويستدعي حضورا دائما منه ، كذلك لابد أن يكون لائقا بشخصية اللقاء وبصفته ، فلقاء مع أحد المسئولين أو المفكرين يختلف عن لقاء مع فنان أو لاعب كرة قدم على سبيل المثال ، فلكل مقام مقال .

وقد انتشرت في الآونة الأخيرة نوعية أخرى من برامج الحوارات ، وهي التي تتسم بالجرأة الشديدة في تناول الموضوعات ، وهي ظاهرة جيدة لا شك ، وقادرة على جذب المشاهدين والمعلنين ، لكن هذه الجرأة لا ينبغي أن تصل إلى درجة (الوقاحة) ، شاهدت مثلا في شهر رمضان برنامجا يقدمه أحد المذيعين اللبنانيين في حوار مع الإعلامي

المصري مفيد فوزي عن علاقة الصداقة التي كانت تجمعه بالمطرب الراحل عبد الحليم حافظ ، فقال له هل كان عبد الحليم متزوجا ؟ قال له نعم ، قال له : هل رأيت بأم عينيك عبد الحليم حافظ وهو يقيم علاقة مع الممثلة الراحلة سعاد حسني ؟!!فهل هذا سؤال لائق لبرنامج تليفزيوني يشاهده الجميع ؟

كما أن بعض المذيعين قد يتعرض لمواقف عليه أن يتصرف فيها بسرعة بديهة ، ولعل موقف مذيعة قناة العربية التي سقطت على الأرض أثناء سيرها وهي تقرأ النشرة الاقتصادية ، وتدخل المخرج بعرض تتر النشرة خير مثال على ذلك ، والملف مرفق في موقع يوتيوب لمن أراد مشاهدته .

الدعاية الانتخابية

الانتخابات ليست غاية في حد ذاتها ، بل هي إحدى وسائل تحقيق الديمقراطية ، واختيار أفضل العناصر البشرية لتمثيل شعوبها في المجالس النيابية والبرلمانية ، والفوز في الانتخابات ليس نهاية المطاف بالنسبة للمرشح ، بل هو نقطة البداية للمشاركة الفعالة في العملية الديمقراطية ، وتحقيق الوعود الانتخابية التي قطعها على نفسه في برنامجه الانتخابي .

بعض المرشحين في الانتخابات تأتيهم نوبات كرم عاتية قبل عملية التصويت ، فيقومون بتوزيع الهدايا على الناخبين المتوقعين ، ويغدقون عليهم العطاءات ، ويمشون في قضاء حوائج الناس ، فإذا ما تمت عملية التصويت تتعلق قلوبهم بالنتائج ، فإذا تم لهم ما أرادوا شغلوا بقضاء حوائجهم عن حوائج الناس ، وعمدوا إلى تحقيق أجندتهم الشخصية على حساب الأجندة العامة للدائرة الانتخابية التي يمثلها ، وإن لم يفز عض أصابعه ندما على ما أنفق من الهدايا والأموال ،أو يحاول استثمار ما تم من دعاية وتوجيهها إلى دورة قادمة .

وتختلف أنواع الدعاية للانتخابات باختلاف الإمكانيات المادية المتاحة ، ومدى مهارة القائمين والمشرفين على الحملة الدعائية للمرشح ، ومدى قوة المرشح نفسه ، وقوة البرنامج الانتخابي الذي يقوم بالترويج له ، إذ لا تغني حملة دعائية قوية وضخمة شيئا إذا ما كان المرشح ضعيف الإمكانيات والخبرات ، كذلك لا يمكن لشخصية قوية أن تتجاهل الجانب الدعائي المنظم والمخطط لإيصال الرسائل المختلفة لجمهور الناخبين ، فهي إذن مزيج من قوة الشخصية وقوة الحملة الدعائية ، وهما الأمران اللذان يكفلان النجاح للمرشح في العملية الانتخابية .

وهذا النشاط الاتصالي الذي يقوم به المرشحون يصنف على أنه دعاية سياسية ، وليس إعلانات ، فالدعاية هي عملية الترويج للأفكار والآراء لمحاولة إقناع الجماهير بتلك الآراء ، بينما الإعلان معنيٌ بالترويج للسلع والبضائع لتحقيق زيادة في المبيعات ، وهو فارق جوهري بين كل من الدعاية والإعلان .

ويمارس المرشحون على أرض الواقع كل أنواع الدعاية ، فهم يستخدمون الدعاية البيضاء حين يخاطبون عقول الجماهير أو عواطفهم السامية ، وحين يعتمدون على المنطق في عرض الحقائق والمعلومات ، وحين يكشفون عن أهدافهم واتجاهاتهم الحقيقية، ويكشفون عن مصدر الدعاية للجماهير ، ومن المهم في تلك الحالة أن تؤيد الأقوال بالأفعال، حتى تترسخ

الثقة بين المرشح والجماهير .

وهناك نوع آخر من الدعاية يسمى الدعاية السوداء ، وتخاطب هذه النوعية من الدعاية الغرائز ، والانفعالات ، وتثير النعرات العرقية أو الطائفية ، وتحشد الأكاذيب والأوهام ، دون أن تحدد لها اتجاها أو هدفا ، أما النوع الأخطر من أنواع الدعاية ، فهو الدعاية الرمادية لأنها تستند إلى بعض الحقائق التي لا يمكن إنكارها ، وتضيف إليها بعض الأكاذيب بحرص شديد ، وترتبها ترتيبا مغرضا بحيث يصعب على المتلقي غير المدقق اكتشاف ما فيها من تضليل وخداع ، وتخلط بين مخاطبة العقل ومخاطبة الغرائز ، وتكشف عن مصدرها ، لكن اتجاهاتها ونواياها تظل غامضة على الجمهور أو مضللة لعقله، وإنما كان هذا النوع أخطر أنواع الدعاية لأنه يدس السم في العسل ، ويرتدي ثوب المخلص للوطن بينما إخلاصه في حقيقة الأمر ينصب لصالح جمعيته أو طائفته التي ينتمي إليها، لذلك كانت ظاهرة الدعاية الانتخابية بكل أشكالها على قدر كبير من الأهمية ، ولذلك أدعو كل من يتعرضون لها أن يبحثوا في منطلقات كل دعاية ليحددوا لونها ونوعها ، حتى يتمكنوا من التعامل الأمثل معها .

وسائل الإعلام التي تكذب على شعوبها

تقع بعض وسائل الإعلام في فضائنا العربي في أحد فخين :

إما أن تمارس التضليل الإعلامي من خلال تسخير كافة القوالب الإعلامية للدفاع عن فكرة واحدة ،

وإما أن تمارس التعتيم الإعلامي من خلال حجب الحقيقة عن الجماهير ، وخداعهم بنصف الحقيقة أو أقل من ذلك ، وهي في كلتا الحالتين تفقد كثيرا من مصداقيتها لدى الجماهير ، وتخسر كل يوم عددا لا حصر له من المشاهدين أو القراء أو المستمعين ، وقد وجدنا النموذجين في الأحداث الأخيرة التي جرت في مصر ..ففي حين وجدنا بعض القنوات الإعلامية التي دافعت باستماتة عن فكرة واحدة ، وعرضت وجهة نظر واحدة ، وجدنا قنوات أخرى كانت تعرض جانبا يسيرا من الصورة ، وجزءا من الحقيقة ، وفي هذا خيانة للمشاهد أو القارئ ، لأن اجتزاء الصورة يخل بالحياد والموضوعية ، ولأن التحيز المكشوف يستهين بعقل المشاهد ، ويتهمه بالغباء بادعاء أنه غير قادر على كشف التزييف .

ولا جدال في أن الموضوعية والحياد هي مشكلة الإعلام الأولى التي حار أساتذة الإعلام أنفسهم في تحديد مفهومها ، وآليات تحقيقها لدرجة وصف أحدهم لتحقيق الموضوعية الإعلامية ب (الخرافة) طالما أن هناك الآراء المتباينة ..المؤيد والمعارض ، لكنهم اتفقوا على أن هناك خطوات معينة لو تم الالتزام بها لأدى إلى تحقيق قدر معقول من الموضوعية والحياد ، فما لا يدرك كله لا يترك جله ، ومن هذه الخطوات ما يلي :

أولا : تجنب حذف بعض الوقائع ، لا بقصد الاختصار ، وإنما بقصد إخفاء هذه الوقائع عن المشاهدين أو القراء ، أو التركيز على نصف الصورة السلبي (نصف الكوب الفارغ) كبديل عن رؤية مجملة لتفاصيل الصورة أو الموقف أو الشخصية .

ثانيا : عدم اختلاق بعض الوقائع التي لم تقع بالفعل وإضافتها إلى الخبر عند إذاعته أو نشره ، لأن في ذلك كذب محض ، واستهانة بعقل الجمهور ، وممارسة أبشع أنواع التضليل عليه .

ثالثا : أن لا يتضمن الخبر رأيا في ثنايا أحداثه ، فالخبر هو الخبر الذي يسرد الأحداث كما وقعت بالفعل ، ويجب أن يتجرد المحرر الصحفي عن انتماءاته الخاصة وهو يصوغ الخبر ليقدمه كما هو للقراء دون محاولة التأثير عليه ، وإنما للآراء موضعها في صفحات الرأي والفكر ، وليس في الأماكن المخصصة للأخبار .

فإذا ما جاهدت الوسيلة الإعلامية للالتزام بتلك المؤشرات فإنها ستحقق قدرا لا بأس به من الموضوعية والحياد ، لأنني أؤمن تماما أن تحقيق الموضوعية بنسبة مائة في المائة أمر بعيد المنال ، حيث يشير اختيار بعض الكلمات والمفردات إلى هوية المحرر أو الصحيفة ، أو إلى سياستها التحريرية ، فلا شك أن إيراد خبر عن الأحداث في مصر أو تونس أو اليمن عنوانه ، مقتل شاب في الاحتجاجات يختلف تمام الاختلاف عن إيراد العنوان بعبارة : استشهاد شاب في الاحتجاجات ، فالعبارة الأخيرة تضفي على الشاب الذي فارق الحياة في تلك الاحتجاجات صفة الشهادة وهو ما يفيد بأنه كان يدافع عن قضية عادلة ، وأنه كان يقاوم الظلم ، بينما لا تتضمن العبارة الأولى تلك المعاني .

لكن الخطأ الأفدح أن تظن الوسيلة الإعلامية أنها وحدها التي تمد المشاهدين أو القراء بالأخبار ، وتمارس الكذب عليه ، فنحن- بالإضافة إلى كوننا نعيش في عصر السماوات المفتوحة المملوؤة بالفضائيات - نعيش في عصر الإنترنت والخدمات الإخبارية عبر الهواتف التي تأتي فيها الأخبار للجماهير حيث كانت، وتتدفق بشكل فوري .

الشائعات .. دخان بلا نار

تنتشر الشائعات الآن أكثر من أي وقت مضى ، وذلك بسبب تطور تقنيات الاتصال بشكل سريع ، وسهولة التواصل بين عدد كبير من الأفراد بضغطة زر واحدة ، وتلعب التطبيقات الجديدة مثل الفيسبوك وتويتر ويوتيوب والبلاكبيري دورا كبيرا في نقل وترويج تلك الشائعات التي قد يكون لها تأثيرات كبيرة وضارة على نسيج المجتمع ، وخاصة في ظل الأزمات ، حيث يكون المجال خصبا لانتشار الشائعات لأسباب متعددة .

والشائعات ببساطة هي الأخبار الكاذبة أو هي رواية تتناقلها الأفواه دون التركيز على مصدر يؤكد صحتها ، أو أنها اختلاق لقضية أو لخبر ليس له أساس من الواقع ، أو هي مجرد التحريف بالزيادة أو النقصان في سرد خبر يحتوي على جزء ضئيل من الحقيقة ، وهناك مقولة يتناقلها الناس أن كل شائعة لابد أن يكون لها أصل من الحقيقة ، وعلميا هذا الكلام غير دقيق تماما ، فكثير من الشائعات ليس لها أي أساس من الحقيقة ، مثل الشائعات التي أطلقها كفار قريش على النبي (صلى الله عليه وسلم) وروجوا كذبا أنه ساحر يسحر الناس بحلاوة منطقه ، وأنه مجنون ، وأنه كاهن وكلها ادعاءات باطلة ليست لها أدني صلة بالحقيقة .

ومن المهم الإشارة إلى أنه ليست كل الشائعات قابلة للانتشار ، فبعضها لا يتجاوز حناجر قائلها ، ويحدد علماء الاجتماع شروطا ثلاثة إذا توفرت انتشرت الشائعة في المجتمع ، وهي :

١ ـ أهمية الموضوع : ويقصد به أهمية الموضوع الذي تدور حوله الشائعة بالنسبة لكل من مؤلف الشائعة والمنقولة إليه ، فإذا كانت ثمة أهمية حقيقية للموضوع فإنها تعني أن شرطا أساسيا من شروط حياة الشائعة قد توافر .

٢ ـ الغموض : بمعنى غياب المعلومات الدقيقة والكافية عن موضوع الشائعة ، ومن ثم تتكون بيئة خصبة للاجتهادات التفسيرية والتخمينات العقلية التي تحاول فك شفرة الغموض عن موضوع الشائعة ، وقد يكون الغموض سببه نقص المعلومات ، أو تضارب المعلومات وتناقضها ، أو عدم القدرة على فهم المعلومات المقدمة نظرا لعدم وضوحها أو لخلل في ملكات الفهم ، أو عدم الثقة في مصادر المعلومات .

٣ ـ الاستعداد النفسي والعقلي : فالأشخاص الأسوياء ذوي التكوين النفسي المتوازن والصحة العقلية ذات النزعة النقدية ليسوا عرضة لنشوء الشائعات وتداولها بينهم

حتى لو توافر عاملا الأهمية والغموض في الموضوع ، حيث إن الموضوع المهم الذي حوله غموض لن يدفعهم إلى تكوين شائعات أو إلى تقبلها إذا نشأت من مصدر آخر لأنهم على معرفة بطبيعة ظهور الشائعات والقانون الذي يحكمها ، ولا يقبلون أخبارا إلا إذا كانت مدعمة ببراهين صدقها ، وعلى النقيض من هذا فإن الأشخاص ذوي الاستعداد النفسي والعقلي لتقبل الشائعات هم الذين يمثلون بهذا الاستعداد العامل الثالث في حياة الشائعة . وبتوضيح أكثر فإن حالات التوتر والقلق والقابلية للحسد والإسقاط النفسي والتركيبة العقلية غير النقدية هي ما يمثل العامل الثالث من عوامل انتشار الشائعات ، كما أن المجتمعات التي تتسم بنسبة تعليم عالية أقل عرضة للشائعات من المجتمعات ذات الثقافة المحدودة .

وبالتالي فإن المعلومات الصحيحة التي تتوفر حول موضوع ما من مصدر ذي ثقة لدى الجماهير ، ودرجة وعي كافية منهم كفيلة بخنق الشائعة ووأدها في مهدها ، ومن هنا فإن المتحدثين الرسميين للوزارات والهيئات الهامة والبيانات الإعلامية الدقيقة لها دور كبير في إمداد الجماهير بالمعلومات أولا بأول حتى لا يكونوا عرضة للشائعات المغرضة .

قناة الخليج العربي
والاستيراتيجية الإعلامية الخليجية

لا تحتاج دول مجلس التعاون الخليجي الست وحدة سياسية وأمنية كونفيدرالية فقط ، بل تحتاج إلى توحيد الصفوف الإعلامية في مواجهة الأخطار التي تحدق بها ، حيث أصبح من المسلمات أن الحروب الآن تدار عبر الآلة الإعلامية قبل أن تدار على أرض الميدان ، وهو ما تتعرض له دول الخليج العربي بشكل عام ، ومملكة البحرين بشكل خاص في الوقت الراهن ، حيث تشن عدد من القنوات الفضائية غارات إعلامية على النظام البحريني ليل نهار ، تستخدم فيها اللقطات المجرمة مهنيا ، والمشاهد الملفقة ، والتضليل المتعمد للمشاهدين ، حيث تبث الصور المغرقة في القدم على أنها نقل حي لما يحدث في البحرين ، وتستخدم المؤثرات الصوتية لمحاولة إلهاب العواطف والمشاعر ، والمبالغات الإعلامية التي تصل في كثير من الأحيان إلى مجافاة الحقيقة ، إلى آخر السهام الإعلامية التي تصوب تجاه المملكة وشقيقاتها الخمس أعضاء دول مجلس التعاون الخليجي .

وحسنا أقدم بعض المستثمرين ورجال الأعمال الذين ينتمون إلى جنسيات خليجية متعددة الذين قرروا إطلاق قناة فضائية جديدة لتكون حائط صد أمام تلك الهجمات الإعلامية المتلاحقة القادمة من إيران والعراق ولبنان و غيرها ، حيث بدأ منذ أيام إطلاق البث التجريبي لقناة (الخليج العربي) من عمان بالمملكة الأردنية ، لتمثل حلما طالما رغب الخليجيون تحقيقه في وجود قناة تحمل اسمهم ..وتدافع عن قضاياهم ، ولتكون حلقة في سلسلة الوحدة المنشودة التي تضم الجانب الإعلامي إلى الجوانب السياسية والاقتصادية، ولتكمل الوحدة الاجتماعية والثقافية الراسخة والمستقرة منذ فجر التاريخ .

وأولى عناصر التوفيق في المشروع الإعلامي الجديد هذا الاسم الذي يسمو فوق الممالك والإمارات ، ويرفع شعار(الخليج العربي) في وقت يدرك فيه رجال السياسة قبل أفراد المجتمع أهمية تحقيق الوحدة وتعميقها بين الدول الست ، فأمنهم واحد ، ومصيرهم واحد، ومستقبلهم واحد ، و الخطر الذي يهددهم لا يستثني منهم أحدا .

وثانيا فإن مشروع قناة الخليج العربي تعبر عن إدراك المجتمع المدني ورجال الأعمال في الدول الخليجية بالدور الذي يمكن أن يقوموا به في ظل حروب طاحنة تدار من شاشات وسائل الإعلام ، وتستهدف أمن الدول الخليجية كلها ، وإدراكهم لخطورة الإعلام بكافة أشكاله وصوره المرئي منه والمسموع ، والشبكي المتوافر على شبكة الإنترنت .

وتشير تعليقات الجماهير من أبناء الخليج العربي في المنتديات والمدونات ومواقع التواصل الاجتماعي عن ارتياح شديد لهذه الخطوة ، وترحيب كبير بالقناة ، واستعداد للتفاعل معها ودعمها بكافة الأشكال والصور ، ظهر ذلك أيضا من خلال الرسائل النصية الهائلة التي استقبلتها القناة من مواطني كافة دول مجلس التعاون الخليجي بلا استثناء .

نحن الآن في زمن يحتاج إلى تفنيد الوقائع والأحداث دون مبالغة ، ومواجهة الفكر بالفكر ، والإعلام بالإعلام ، وينتصر في النهاية من يمتلك عدالة القضية ، ونبل الغاية ، ومن يعتمد في رسائله الإعلامية على الحقائق والوقائع الصادقة ، وليس على الكذب والتضليل والنفاق ، حيث لا يفل الإعلام إلا الإعلام ، كما لا يفل الحديد إلا الحديد ، وأولى أن يوظف الإعلام في الحق بدلا من أن يوظف في الأكاذيب .

إن قناة الخليج العربي التي تم افتتاحها تجريبيا مطلع الشهر الجاري هي خطوة جيدة تستحق الإشادة والدعم لتؤتي ثمارها المرجوة ، لتكون متحدثا رسميا للخليج وأبنائه وشعبه ..تدفعهم نحو مزيد من الوحدة في المستقبل .

لماذا يركز الإعلام على الأخبار السيئة ؟

سألتني إحدى طالباتي : لماذا تقوم وسائل الإعلام بشكل عام بنقل الأخبار السيئة دون الأخبار الجيدة ؟ ألا يعد ذلك انتقاء معيبا في مجال الإعلام ؟ فقلت – محاولا الإجابة – إن هناك مثلا إنجليزيا يقول : No news is good news

ومعنى هذا المثل أنه إذا لم يكن هناك أخبارا جديدة فاعلم أن الأخبار جيدة ، ولذلك ما استحق شئ منها أن يكون خبرا ، وذلك لأننا تعودنا أن نفتح صفحات الجرائد فنجد أخبار القتل والحروب تملأ صفحاتها ، كما أن صفحات الحوادث تمتلئ بأخبار القتل والسرقة والاغتصاب وغيرها من الأحداث المفرطة في السوء .

لا يمكن مثلا أن نقرأ في صفحات الجرائد أن فلانا صدق في وعوده ، وأن هذا المسئول أمين في أداء عمله ، ولا يتصور أن تتصدر نشرات الأخبار بعبارات مثل (ساد الود والوئام بين شعب كذا ..) ، لا يمكن أن نقرأ عنوانا يقول (رجل يتعامل مع زوجته بلطف) ولو فعلت ذلك وسائل الإعلام ربما لم يشاهدها أحد ، فالأخبار السلبية تحظى باهتمام غالبية الناس، وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله : لو أنني أصبت في تسع وتسعين مسألة ، وأخطأت في واحدة لترك الناس ما أصبت فيه وأسروه ، وتحدثوا فيما أخطأت فيه وأظهروه، والثوب الأبيض لا يسترعي انتباه الناس ، أما إذا وجدت بقعة سوداء فيه ترك الناس كل مساحة الثوب الأبيض وركزوا أنظارهم على تلك النقطة السوداء .

ولعل هذا المنطق يفسر بعض تصرفات وسائل الإعلام التي لا تهتم بمسيرات التأييد بقدر اهتمامها بمسيرات الاحتجاج ، ويوم أن كانت هناك حشود بمئات الآلاف في جامع الفاتح فيما يعرف بتجمع الوحدة الوطنية فإن وسائل الإعلام العالمية لم تركز عليه كما تركز على مشهد الدوار ، فهناك جاذبية لوسائل الإعلام تجاه الأخبار السيئة دائما، غير أن هذا التفسير لا يبرر قصور نظر بعض وسائل الإعلام ، ولا يعطي لها العذر في أن تنقل وجها واحدا من الحقيقة ، فالحقيقة دائما تحمل أكثر من وجه ، وأمانة الكلمة أن تنقل الحدث بجميع أبعاده .

كما أن هذا التفسير لا يبرر لوسائل الإعلام على اختلاف أنواعها أن تغرق قراءها ومشاهديها بمشاهد القتل والدمار والجريمة حفاظا على صحتهم النفسية ، حيث ذكرت التقارير الإخبارية أن البعض يصاب بأمراض الضغط أو الاكتئاب من جراء التعرض لهذه النوعية من الأخبار ، فثمة أخبار جيدة يمكن أن تبث روح الأمل والتفاؤل تستحق أن تنشر ،

ولا تزال بوادر أمل تلوح في الأفق .

بل حتى الأحداث السلبية تنطوي على بعض جوانب الأمل ، فالمنح تخرج من عباءة المحن، ورب ضارة نافعة كما يقولون ، وكل شيء له جوانبه الإيجابية والسلبية مع اختلاف النسب ، ويعلم الجميع أن الأحداث التي مرت بها مملكة البحرين مؤخرا أظهرت أشياء كثيرة ما كان لها أن تظهر لولا هذه الأحداث ، كم من أقنعة سقطت ، وكم من زيف كشف، وكم من مواطن قوة لم يكن يدري أحد عنها شيئا ، وظهرت أفكار جيدة عن الوحدة الخليجية ، وعن النية في وضع إطار سياسي لتجمع الوحدة الوطنية يكون له ثقله الحقيقي في الشارع السياسي ، وعن تصحيح لكثير من المسارات .

صحافة مردوخ :
حين تنحرف الصحافة عن مسارها

ينشغل الرأي العام البريطاني حاليا بقضية خطيرة تمس سمعة الصحافة والصحفيين، وتتعلق بدور الصحافة في المجتمع ، وذلك على خلفية قيام بعض المحققين الصحفيين في صحيفة « نيوز أوف زا وورلد » بالتنصت على هواتف أسر جنود قتلوا في الحرب ضد أفغانستان ، وأسر ضحايا تفجيرات لندن التي وقعت في عام ٢٠٠٥م.

وقد أدان البرلمان البريطاني الصحيفة في انحرافها عن المسار الصحفي ، بعد اعتراف الصحيفة بأنها قامت بالفعل بعمليات تجسس ، وهو ما يعني مخالفة الأخلاقيات الإعلامية، بالإضافة لمخالفة القوانين التي تحظر انتهاك خصوصيات أفراد المجتمع ، واعتبرته صحيفة» الواشنطن بوست « أكبر سقطة إعلامية في تاريخ رجل الإعلام الأخطبوطي مردوخ المدافع الأول عن سياسات إسرائيل حول العالم .

ونتيجة لهذه السقطة الإعلامية الكبيرة قرر مردوخ إغلاق صحيفة «نيوز أوف ذا وورلد « ليكون آخر أعدادها الأحد ١١ من يوليو الحالي ، وذلك بعد مائة وثمان وستين سنة مرت على إنشائها في محاولة منه لامتصاص غضب الرأي العام البريطاني ، وعدم تصعيد القضية أكثر من ذلك ، وكأن هذا التاريخ العريق لم يشفع للصحيفة بأن تصمد أمام هذه الكبوة الأخلاقية .

إن بعض وسائل الإعلام أمام شهوة تحقيق الانفراد والسبق الإعلامي تضحي ببعض القيم المهنية ، مثل التثبت من صحة الأخبار ، أو الوصول إليها بطرق غير لائقة أحيانا ، ومخالفة للأعراف المهنية والقيم في أحيان أخرى ، وقد تخالف القوانين ، وتمس الحريات التي يفترض أنها تدافع عنها ، وبالرغم من أن مردوخ باعتباره مالكا للشركة التي تصدر الصحيفة لم يقر بأنه هو الذي أوعز إلى الصحيفة للقيام بذلك إلا أن نتيجة هذه (الفضيحة الإعلامية) جعلت كثيرا من الشركات توقف حملاتها الإعلانية لديها ، مما أدى إلى تحقيقها لخسائر كبيرة جراء تلك الوقائع ، واضطر نجل مردوخ أن يصدر بيانا يقول فيه إنه بعد التشاور مع كبار المسئولين في الصحيفة قررنا توقيف الصحيفة عن الصدور .

وهنا نود الإشارة إلى نقطتين إيجابيتين تتعلقان بهذه الواقعة :

أولا : موقف السلطة الرسمية من الأزمة ، حيث سارع ديفيد كاميرون رئيس الوزراء

البريطاني بإدانة مردوخ بالرغم من مساندة الأخير له في حملته الانتخابية الأخيرة ، من خلال العديد من وسائل الإعلام التي يمتلكها مردوخ في بريطانيا

ثانيا : موقف الرأي العام البريطاني المستنير ، حين رأى في الصحيفة التي من المفترض أنها تدافع عن العديد من القيم هي التي تقوم بخرقها ، فقام بالتعبير عن سخطه ورفضه لتلك الممارسات الإعلامية ، من خلال إدانة الصحيفة والشركة المالكة لها عبر مجلس النواب ، ومن خلال ما يمكن تسميته ب (المقاطعة الإعلانية) وهو ما من شأنه أن يقطع روافد الحياة وشرايينها الرئيسة لأن الإعلانات هي المورد الاقتصادي الرئيس لأي مؤسسة إعلامية ، وكان من نتيجة ذلك أن اضطر أصحابها لإغلاقها كنوع من الاعتراف بالخطأ أو (الخطيئة الإعلامية) وحفاظا على شقيقاتها من الامبراطورية الإعلامية التي يملكها مردوخ .

إن « الصحافة الاستقصائية » التي يقوم الإعلاميون فيها بأدوار المحققين للوصول إلى الحقيقة ومن ثم إيصالها للجمهور ، لا ينبغي أن تكون على حساب « مواثيق الشرف الإعلامية » والقوانين التي تنظم العمل الإعلامي بشكل عام ، حتى لا تنحرف الصحافة عن مسارها الصحيح .

الكذب أبتر لا ساق له

قديما كان هناك تحكم فيما يبث أو ينشر أويذاع عبر وسائل الإعلام ، أما الآن فإن الفضاء الإعلامي ليس له حدود ، من حق أي أحد أن يكتب ما يشاء وقتما يشاء ، ومن حق أي أحد أن يذهب إلى دولة أوربية ويؤسس قناة فضائية يبث فيها ما يشاء وكيفما شاء ، وأصبح كم المعلومات التي ترد إلى الجماهير لا حصر لها ، لكنها كلها لا تنتمي إلى الصدق، فبعضها لا شك صادق ، وكثير منها محشو بالأكاذيب ، والأراجيف ، والشائعات المغرضة .

وقد انتشرت إحدى آفات الإعلام في هذا الزمان ، وهي آفة الكذب والتضليل ، حتى بات لزاما على الجماهير أن تتحقق من صدق ما تسمعه أو تقرؤه أو تشاهده ، فليس كل ما يسمع يصدق ، إلا أن الكذب أبتر لا ساق له ، ولا يزال الكاذب يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله وعند الناس كذابا ، ويفتضح أمره ، طال الزمان أو قصر .

ولو أفلت أحد بكذبته المنمقة لأفلت إخوة يوسف عليه السلام حينما حبكوا كذبتهم على أبيهم نبي الله يعقوب ، وجاءوا إليه عشاء يبكون ، بعدما لطخوا قميص أخيهم بدم كبش وزعموا أن ذئبا قد التهمه ، والذئب من فعلتهم براء ، وقد فضحهم الله في كتابه الخالد حين قال (وجاءوا على قميصه بدم كذب) وأذلهم الله ، ورفع يوسف عليه السلام لأعلى ما يطمح إليه فرد ، وآتاه النبوة والملك على ما هو معروف في قصة نبي الله يوسف عليه السلام .

كما أن كذبة امرأة العزيز حينما ادعت أن يوسف قد أراد بها سوءا ، وأمرت بسجنه، وإنزال العقاب به ، أدى في نهاية المطاف إلى أن فضحت هي نفسها بنفسها حين قالت بعد قضائه سنوات من الحبس : (الآن حصحص الحق ، أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن الصادقين) .

فالكاذب مهما تفنن في كذبته ، ومهما قام بحبكها ونسج الأقاويل حولها ، وإعطاء زخم وكثرة عددية لها ، إلا أن للحق والصدق قوة إن لم تظهر عاجلا ، فإنها لا تنزوي إلى الأبد ، كما أنه ليس في الإعلام ما يمكن أن نسميه كذبا أبيضا وكذبا أسودا ، فالكذب هو الكذب ، لكن هناك كذب قبيح شنيع ، وكذب أقل قبحا ، وليس هناك أي غاية يمكن أن تبرر الكذب كوسيلة للوصول لأهداف معينة ، فليس للمبدأ الميكافيللي (الغاية تبرر الوسيلة) مكان في الحديث عن الكذب والكذابين ، فقبح الوسيلة لا تبرر إطلاقا نبل الغاية .

ويبقى على الجمهور أن يكون واعيا ذكيا في ما يتعرض إليه من رسائل إعلامية ، حتى

يستطيع التمييز بين الغث والسمين ، وينبغي أن تكون لديه بعض المهارات لتي بها يميز ما يمكن أن يتماشى مع العقل والمنطق ، وبين ما يندرج تحت الأكاذيب التي يهدف مروجوها إلى تحقيق مآرب ما قد تكون فئوية أو طائفية ، أو أن يعمل في المجتمع لإضعافه وهز ثوابته ، فإذا انصرفت الجماهير والمعلنون عن قنوات الكذب أفلست إعلاميا ، وانهارت اقتصاديا ، ولا يثبت في النهاية إلا رسائل الصدق التي تتحرى الحقيقة وتعمل لصالح المجموع .

حيثيات فوز جريدة (الوطن) بالجائزة (1-2)

أن تأتي صحيفة الوطن (البحرينية) في المركز الأول عربيا من حيث النمو ، وفي المركز الأول على مستوى البحرين والسادس عشر عربيا في تصنيف (فوربس الشرق الأوسط) لهو أمر يشعر كل منتسب للجريدة ، سواء بالعمل فيها ، أو بالكتابة على صفحاتها، أو بالقاعدة العريضة من القراء الذين يرتبطون بصفحاتها وموضوعاتها بشيء كبير من الفخر ، في نفس الوقت الذي يشعر طاقمها بالمسئولية أمام القراء بمضاعفة العمل للاستمرار في هذا النجاح ، وتحقيق نجاحات متتالية .

وقد يحتاج حصول (الوطن) على هذه الجائزة إلى بعض التحليل ، لمعرفة نقاط القوة وتدعيمها ، ودراسة أبرز الفرص ، وكيفية استثمارها ، ومعرفة أبرز التحديات للحد من تأثيرها ومحاولة التغلب عليها ، وهذا هو الأسلوب العلمي في تحليل البيئة الذي يستخدمه المخططون لتطوير مؤسساتهم ، فصحيفة الوطن باعتبارها صحيفة يومية تقدم خدمة إخبارية بالأساس ، ولا تكتفي بتقديم الأخبار في النسخة الورقية التي تنقل لنا ما حدث بالأمس ، ولكنها قدمت بموازاة ذلك موقعا إلكترونيا نشطا وتفاعليا يجعل القارئ دائما في قلب الحدث ، ومحاطا بكل تطور في أي خبر تم نشره ورقيا ، أو بالأخبار الجديدة التي تظهر تفاصيلها في صحف اليوم التالي .

ومن مزايا النسخة الإلكترونية لجريدة الوطن ما يلي :

أولا : أن الجريدة تفتح للقراء أبوابها للتعليق حول موضوعاتها المختلفة من أخبار ومقالات وتحقيقات وحوارات ، وصحيح أن هناك مراجعة لهذه التعليقات ، بحيث لا يظهر التعليق إلا بعد مراجعته من مسئول الموقع حتى لا يتضمن سبا أو قذفا لأحد ، أو يحتوي إلى إهانة لطائفة أو إثارة عنصرية ، إلا أن التعليقات ليست كلها تسير في اتجاه واحد ، فالقارئ يرى اختلافا وتباينا في الطرح بين مؤيد ومعارض ومتحفظ ، وتسمح الصحيفة للقراء - من كل الأطياف - أن ينتقدوا الكتاب دون أن تحجب هذه التعليقات .

من المهم الإشارة إلى أن بعض الصحف تفتح التعليقات للقراء دون مراجعة ، لكن النتيجة كانت كارثية في بعض الأحيان ، فمثلا كان وابل من السباب يوجه لكاتب بحجم أنيس منصور في الشرق الأوسط ، أو يكتب بعض المعلقين عبارات خادشة للحياء ، وهو ما لا يتناسب مع موقع صحفي يحترم قراءه وثقافتهم ، وهناك آلية تلجأ إليها بعض المواقع ،

وهي ممارسة الرقابة الذاتية من القراء أنفسهم ، بحيث إذا أبلغ عدد معين من القراء أن تعليقا لأحدهم (غير لائق) يتم حذفه آليا ، وهي آلية جيدة ، لكنها لا تصلح للتطبيق في المجتمع البحريني في ظل الظروف التي تشهدها وشهدتها المملكة خلال الشهور المنصرمة، وإلا تحولت المساحة المخصصة للتعليق إلى ساحة للسب والقذف والشتم ، كما هو الحال – وبكل أسف – في مواقع التواصل الاجتماعي التي تحولت في بعض الأحيان إلى وسائل للتنافر والتباعد الاجتماعي .

ثانيا : أعطت الصحيفة للقراء مساحات افتراضية لكتابة المقالات والرأي في أي موضوع يرونه ملحا ومهما ، تحت باب (منبرك) وليس فقط مجرد التعليق على المقالات والأخبار، بحيث لم تعد وسائل الإعلام وحدها التي تنتج الرسائل الإعلامية وتقدمها للجماهير ، ولكن الجمهور نفسه يشارك في إنتاجها في اتصال ثنائي الاتجاه ، يتسم بالتفاعلية بشكل كبير .

إن مفتاح سر نجاح أي وسيلة إعلامية هي اهتمامها بالجمهور الذي تتوجه إليه ، وللحديث بقية .

حيثيات فوز جريدة (الوطن) بالجائزة (2-2)

تتميز النسخة الإلكترونية لجريدة الوطن بعدد من السمات التي تجعلها أكثر تفاعلية، وأكثر قدرة على تلبية الحاجات الإعلامية للقراء ، منها ما ذكرناه في المقال السابق

أولا: فتح مجال التعليق أمام القراء .

وثانيا :تخصيص مساحة افتراضية لكتابة مقالات بأقلام قراء الصحيفة ، ونضيف إليهما :

ثالثا : تخصص الصحيفة الإلكترونية زاوية مهمة للتفاعل مع قرائها عبر تقديم بعض المعلومات والإرشادات في مجالات معينة كالصحة والقانون والتعليم من خلال باب (سولف مع) الذي تستضيف الصحيفة فيه ضيفا قد يكون مستشارا قانونيا أو طبيبا مشهورا ، أو مسؤلا تعليميا لتقديم الاستشارات في مجال تخصصاتهم ، وهي خطوة رائدة تجعل المزيد من القراء يرتبطون بالصحيفة للحصول على هذه الخدمات .

رابعا : تفعل الصحيفة مفهوم (المواطن الصحفي) الذي يقوم بجمع الأخبار والصور والملفات المصورة والصوتية ، وإرسالها للصحيفة بغرض نشرها بعد التأكد من صحتها ، في باب (فرجان البحرين) ، مع وضع خريطة توضح مكان (الفريج) تصل إليه بالضغط على موقعه في الخريطة ، ويبدو أن نسبة التفاعل من القراء مع هذا الباب محدودة ، ربما بسبب أن مملكة البحرين ليست بالاتساع الذي لا يمكن محرريها من الانتشار في كل محافظة ومدينة وقرية ، إلا أن الفكرة جيدة تستحق الإشادة ، وتتماشى مع التطور العالمي في مجال الإعلام الذي يعطى فيه المواطن قدرا كبيرا من المساحات التي يحررها بنفسه ، ومن وجهة نظره .

خامسا : تقدم الصحيفة لقرائها إمكانية مشاركة موادها عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، مثل الفيس بوك وتويتر ويوتيوب ، وهو ما تقوم به معظم الصحف الآن ، إيمانا منها بأن تلك المواقع تفتح ساحة أرحب للنقاش والحوار والتفاعل ، خاصة وأن ملايين العرب يستخدمون هذه المواقع بكثافة ، وفي بعض الأحيان تقدم المناقشة حول الموضوع أو المقال المنشور إضافة وثراء يضاف للموضوع نفسه ، بما يعطي القارئ أبعادا جديدة للخبر أو المقال .

سادسا : تخصص النسخة الإلكترونية لصحيفة الوطن زاوية لنشر أهم الملفات

المصورة التي تتعلق بمستجدات الأحداث ، مثل مؤتمر صحفي هام ، أو حديثا لمسئول ، أو غير ذلك ، بما يغني القارئ عن التجول في مواقع إرفاق الملفات المصورة مثل يوتيوب ، وتقدم له معلومات إضافية لا تستطيع آلاف الكلمات أن تغني عنها ، فملف فيديو عن مقتل القذافي مدته دقيقة واحدة تغني القارئ عن متابعة صفحة كاملة عن وصف الحدث ، لأن ثقافة الصورة هي التي تسود وسائل إعلام العالم الآن .

سابعا : تقدم الصحيفة الإلكترونية نافذة هامة باللغة الإنجليزية تحتوي على ترجمة لأهم أخبار الصحيفة وبعض مقالاتها ، لتوصل الرسالة الإعلامية المراد توصيلها إلى العالم ، متغلبة على عائق اللغة الذي قد يحول دون معرفة حقيقة ما يجري في مملكة البحرين ، خاصة وأن كثيرا من المؤسسات الإعلامية تنظر إلى صحفنا باعتبارها مصدرا مهما من مصادر معرفة ما يجري في بلادنا ، وأحيانا ينظرون إلى افتتاحيات صحفنا على أنها تمثل التوجه العام السائد فيقومون بترجمتها .

وبالإضافة إلى بعض الخدمات الأخرى المقدمة على الموقع كتحميل النسخة الورقية ومعرفة حالة الطقس ، ومتابعة آخر أخبار البورصة وغيرها فإن كثيرا من التطوير ينتظر موقع الوطن الإلكتروني تبويبا وأرشيفا وتجويدا أكثر في المحتوى ، والتزاما بالمعايير المهنية ، وتحر للموضوعية ، وهي كلمات سر النجاح المتجدد والمستمر لجريدة الوطن ولطاقمها الذي نقدم له كل التهنئة .

التناقض الإخباري في قنوات الجزيرة !!

استطاعت قناة الجزيرة القطرية أن تصنع لنفسها امبراطورية إعلامية عربية قادرة على جذب المشاهد العربي ، بل والغربي أحيانا ، من خلال استقطاب عدد من المذيعين والكوادر الإعلامية ذوي الكفاءة والحرفية ، وظلت القناة محط أنظار المشاهد لفترة طويلة، حتى بدأ مركزها الإعلامي يتراجع في عين المشاهد العربي قبل الأجنبي في الفترات الأخيرة ، وبدأت السهام والانتقادات توجه إليها ليس من الجمهور فقط ، وإنما من المتابعين والأكاديميين المعنيين بالقضايا المهنية الإعلامية ، وبدأت قنوات إخبارية أخرى تسحب البساط من تحت أقدامها ، والسؤال : ما الذي ينقص قناة الجزيرة لتكون قامة إعلامية عربية يفخر بها كل عربي ؟

والحقيقة أن الجزيرة كمؤسسة إعلامية بعد أن قررت الدخول في مجال المنافسة مع القنوات الرياضية التي بإمكانها تحقيق أرباح اقتصادية أضعاف القنوات الإخبارية قد انصرف تركيزها عن محاولة تحقيق التميز الإخباري عبر قنواتها المختلفة ، ويبدو أن تحقيق الربح السريع من خلال عدد من الخدمات الإعلامية ربما يسبق التخطيط الاستيراتيجي للمؤسسة في المحافظة على تميز إخباري عربي ، فبالرغم من الإمكانات الفنية التي لا يستطيع أحد أن ينكرها ، والتي حرصت القناة على تزويد محطاتها الفضائية بها إلا أن هناك جوانب نقص كثيرة في أدائها الإعلامي ، وبطبيعة الحال الحديث منصب عن القنوات الإخبارية .

ومن الأشياء المفقودة في قنوات الجزيرة الإخبارية ما يمكن تسميته ب (وحدة الحقيقة) بمعنى أن الحقيقة الإخبارية مختلفة لدى قنوات الجزيرة ، فقد تذيع الجزيرة الإخبارية العربية خبرا أو تقريرا أو أي مادة إعلامية تجاه الأحداث في البحرين مثلا ، و تجد نقيضه في القناة الإخبارية الموجهة باللغة الإنجليزية ، أو أن تنشر تقريرا سريا على موقعها الإلكتروني يخدم موقف مملكة البحرين الرسمي ، ويتماشى مع الخط الخليجي الحريص على عروبة البحرين والوقوف معها ضد أي تهديد خارجي ، في ذات الوقت الذي تبث فيه فيلما وثائقيا يحمل لغة مختلفة تماما ، ويتبنى وجهة نظر مغايرة كل التغاير مع ما تبثه أو تنشره القنوات الإخبارية الأخرى التابعة لها .

وهذا من شأنه أن يجعل المشاهد والقارئ يحتار في أمر الجزيرة ، هل يصدق المعلومات الواردة في قناتها العربية ، ولا يصدق ما جاء بالقناة الإنجليزية ، أم العكس ، و الجزيرة

بتلك الممارسات ربما تحاول أن تكسب رضا كل طرف من أطراف النزاع في مملكة البحرين، ولكن النتيجة أن جميع الأطراف تفقد الثقة في المؤسسة التي تتعامل مع جمهورها بوجهين، وهي بذلك تمارس (النفاق الإعلامي) مع كل طرف ، في محاولة يائسة لإرضائه ، ويعلم الجميع أن شر الناس كما ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين ، قال الصحابة ، ومن ذو الوجهين يا رسول الله ، قال : (الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) .

إن حرصنا على القناة ، وحرصنا على أن يكون لإعلامنا العربي وجودا في الساحة المحلية والدولية هو الذي يدفعنا لتوجيه نقدنا إليها ، حيث الإعلام المحترف الذي يقوم على احترام مشاهديه ، ويلتزم بمواثيق الشرف الإعلامية أكثر تأثيرا في الجماهير ، بل وحتى أكثر جنيا للأرباح ، والانحراف عن تلك المعايير والقيم قد يؤدي بالوسيلة إلى مصير مظلم ، كمصير (ذا نيوز أوف ذا وورلد) البريطانية التي توقف صدورها بعد فضيحة مهنية ، دون أن يشفع لها تاريخها الممتد إلى ١٦٠ عاما .

إعلامٌ حرٌ ومسئول...كيف ؟؟

دائما أقف في صف حرية الإعلام والصحافة ، وفي صف عدم فرض قيود على ممارسة العمل الإعلامي بأشكاله المختلفة ، ولا أتصور أن يقف أكاديمي متخصص في مجال الإعلام في غير هذا الموقف ، فالأكاديمي دائما يتجرد عن المصالح الوقتية أو الفئوية، لينظر في صالح المجتمع بكل أطيافه ومكوناته ، فكل القضايا التي تشغل الرأي العام لابد أن تنعكس في وسائل الإعلام ، ولابد أن يعكس الإعلام هذا الواقع بإيجابياته وسلبياته ، وأن يعرض وجهات النظر المختلفة حول الموضوع الواحد ، ليمثل الجميع .

لكن ذلك لا يعني أن ننسى الرسالة التي ينبغي على الإعلام أن يؤديها في المجتمع، فللإعلام دور في تشكيل عقول الأفراد ، وتوجيه السلوكيات ، وغرس القيم بما يحقق مصالح الأفراد والمجتمعات ، ولابد أن تدور الرسائل الإعلامية في هذا الإطار ، فلا يمكن القبول بوسيلة إعلامية تقوم مثلا بنشر الصور الفاضحة بدعوى ممارسة الحريات الإعلامية ، أو أن تقوم وسيلة بتخذيل الجبهة الداخلية للمجتمع من خلال نشر الأخبار الكاذبة والشائعات المغرضة بادعاء الانتماء إلى المدرسة الليبرالية الإعلامية .

وبنفس المنطق لا يمكن قبول قيام بعض المؤسسات الإعلامية بنشر وإذاعة المواد الإعلامية التي تستخدمها في الدعاية والتسويق السياسي لطرف على حساب آخر بذريعة الحريات الإعلامية ، فالحرية فضاء لابد أن لاينفك عن المسئولية التي يجب أن تتحلى بها الوسيلة الإعلامية تجاه المجتمع الذي تصدر أو تبث فيه أو تتوجه إليه .

في المدرسة الغربية للإعلام والصحافة فطنوا إلى هذه المسألة ، وأدركوا أن ترك الحبل على الغارب للإعلام لقول ونشر وبث ما يشاء القائمون عليه يحقق مصالحهم الذاتية ، ولكنه قد يضر بالمصلحة العامة ، لذا قرروا التخلي عن شعار الليبرالية جزئيا في مجال الإعلام ، وهو (دعه يعمل ، دعه يمر) دون أن يلغوا هذه المقولة ، دعهم يعملون في مؤسسات الإعلام المختلفة ويبدعون دون سقوف متعددة تحد من مناحي الإبداع لديهم ، شريطة أن يكون هذا العمل مثمرا للمجتمع ، محافظا على تقاليده ، ودعهم يمرون إلى حيث يؤيدون في الفضاء الإعلامي الرحب دون أن يشكل مرورهم عائقا أمام إرادة الآخرين في المرور !

وبالتالي ظهرت مدرسة المسئولية الاجتماعية في الإعلام الغربي ، تتشكل ملامحها في رقابة يمارسها الرأي العام والجماهير على المحتوى الإعلامي ، وليس بالضرورة أن تكون تلك الرقابة من جهة الحكومات والأنظمة ، لأن جدلية العلاقة بين الإعلام والسلطة ترتبط

بذهنية تاريخية مأساوية ، وبممارسات مؤسفة في كثير من الدول التي تكبل حرية الإعلام .

كما أن الإعلام المسئول في إطار نظرية المسئولية الاجتماعية لوسائل الإعلام يخضع لتنظيم ذاتي ، وقيود شخصية يضعها الإعلاميون أنفسهم على ممارستهم لفنون الإعلام المختلفة ، وتشكل عرفا لديهم ، و من يخترق هذه الأعراف ، ومن يتجاوز هذه التقاليد المهنية فإنه يكون قد سقط معنويا أمام زملاء المهنة ، وقاموا بتقنين هذه القواعد في شكل مواثيق شرف إعلامية يلتزم بها كل من يريد أن يحترم مهنته ، ولا يود النزول بها إلى مستوى مبتذل .

وبالرغم من ذلك فالإعلام في المجتمعات الليبرالية الذي يفعِّل نظرية المسئولية الاجتماعية ليس إعلاما مثاليا ، فكثير من الأخطاء ، وكثير من التحيز ، وكثير من الخروقات تتم من خلاله تحت شعار حرية الإعلام ، فالعلاقة بين الحرية والمسئولية تمثل إشكالية لن يحسم النقاش حولها في المستقبل القريب .

ما هي الصحافة الصفراء ؟
ولم سميت بذلك ؟

الصحافة الصفراء هي تلك النوعية من الصحافة التي تعتمد أساسا على الإثارة ونشر الفضائح بشكل عام ، وفضائح المشاهير ونجوم المجتمع بشكل خاص ، وتقوم بنشر الأكاذيب وترويج الشائعات لتحقيق زيادة مبيعاتها من نسختها الورقية أو زيادة تصفح موقعها الإلكتروني ، دون اعتبار لمصالح المجتمع وقيمه التي استقرت به ، وسميت الصحافة الصفراء بهذا الاسم لأنها كانت تطبع على ورق أصفر ، وكانت تباع ببنسات قليلة ، معتمدة في تحقيق أرباحها على كمية التوزيع وبالتالي جذب المعلنين ، وقيل سميت الصحافة الصفراء بهذا الاسم نسبة إلى إحدى الشخصيات الكاريكاتورية في الصحافة الأمريكية (الولد الأصفر) ، ويشير اللون الأصفر إلى صفات العدوانية والجبن في اللغة الإنجليزية ، كما يشير إلى معان إيجابية أخرى .

وقد ظهرت الصحافة الصفراء في الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية الثلث الأول من القرن التاسع عشر ، وازدهرت في الغرب بشكل خاص ، حيث قامت بعض الصحف الصفراء بنشر صور للأميرة ديانا في أوضاع غرامية ، وحققت أعلى المبيعات ، كما حققت الصحف الأمريكية من نشر فضائح مونيكا المتدربة السابقة بالبيت الأبيض وقصة تحرش الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون بها أعلى المبيعات أيضا ، ثم وفدت ظاهرة الصحافة الصفراء على المنطقة العربية ، وظهرت الصحف التي تعيش على الفضائح والإثارة ، وتركز على الجنس ، وتقدم مانشتات مثيرة وغير مألوفة في الصحافة الجادة .

ويتسم الصحفيون المنتسبون للصحافة الصفراء بالقدرة على الكذب ، واختلاق الأحداث ، وخلق الشائعات ، وفبركة الأخبار ، ويحذر خبراء الإعلام من خطورتها على قيم المجتمع وأخلاقه .

أما عن مواصفات الصحافة الصفراء فهي :

١- نشر أخبار صحفية متنوعة مجهولة الفاعلين، حيث تتضمن إشارة إلى شخصية محورية تتشابه في صفاتها مع العديد من الشخصيات العامة دون تحديد لهوية هذه الشخصية ، بالإضافة إلى الإكثار من نشر الأخبار المجهلة ، أو المجهولة المصدر ، وكثرة مقولات مثل : ذكرت مصادر مطلعة ، وذكرت مصادر خاصة للصحيفة ..

٢- نشر الأخبار غير المتحقق من صدق وقوعها ،إما بهدف عدم إضاعة السبق الإعلامي ،

وإما للمساهمة في نشر أيديولوجيا خاصة بمن يقف وراء الصحيفة .

٣- التركيز على نشر مضامين الجرائم ذات الطابع الجنسي والشاذ، مع المبالغة غير المبررة في نشر التفاصيل الخاصة بهذه النوعية من الجرائم .

٤- استخدام العناوين المضللة التي لا تتطابق مع مضمون المتن، بما يوحي للقراء باتهامات أو أوصاف ترتبط بالشخصيات العامة في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والفن والرياضة، دون أن يتضمن المتن ما يثبت ما جاء في العناوين .

وبهذا فكل صحيفة تتوفر فيها المواصفات السابقة أو بعضها فهي (صحف صفراء) .

وعربيا يمكن تصنيف بعض الصحف على أنها صفراء ، لا تهدف إلا لتحقيق الربح المادي على حساب أخلاق المجتمع وقيمه وثوابته .

وليس فقط يوجد في منطقتنا العربية صحف صفراء ، بل يوجد قنوات فضائية صفراء تعبث بالقيم الإعلامية ، وتضر بالفضاء الإعلامي العربي ، قنوات رسالتها الهدم لا البناء، وما أكثر تلك القنوات في فضائنا الإعلامي ، وعلى المؤسسات الأكاديمية العربية أن تقوم بفرز وتصنيف الوسائل الإعلامية وفق معيار مهني وموضوعي ليكون دليلا للجمهور ، وأداة من أدوات حصار الصحافة الصفراء والقنوات الصفراء .

ضوابط الدعاية الانتخابية

أيام قليلة تفصلنا عن التصويت في الانتخابات التكميلية للمجلس النيابي البحريني، وسط دعوات من المعارضة لمقاطعتها ومحاولة التأثير على الجماهير بعدم التصويت فيها ، لكن التوقعات تشير إلى أن نسبة لا بأس بها ستصوت في تلك الانتخابات استجابة للمصالح العليا للوطن ، ومحاولة لرأب الصدع في الحياة السياسية بمملكة البحرين .

ولم تشهد الساحة زخما إعلانيا ودعائيا كما كان الحال في الانتخابات النيابية السابقة بطبيعة الحال ، كون الانتخابات الحالية انتخابات جزئية لا تغطي سوى الدوائر الشاغرة بسبب انسحاب المعارضة الوفاقية بعد أحداث فبراير الماضية ، وإذا كانت الدعاية الانتخابية تشهد في الغالب بعض التجاوزات فإن المرحلة الراهنة لا تتحمل الكثير من هذه التجاوزات في الشعارات المصورة أو اللفظية ، كما أن الحالة السياسية القائمة تستوجب الانضباط الدعائي حتى لا تفسد الأجواء ، وحتى تؤتي العملية ثمارها المرجوة على الوجه الأكمل .

والدعاية الانتخابية هي وسيلة المرشحين للوصول بأفكارهم ورؤاهم للجماهير بهدف إقناعهم بفكرة أنهم الأحق بالتصويت لصالحهم ، والأجدر بتمثيلهم في المجلس النيابي من خلال التركيز على أهم ملامح البرنامج الانتخابي وأولويات عملهم في حالة ما إذا حصلوا على مقعد في البرلمان .

وقد حددت القوانين في كل الدول بعض الضوابط الخاصة بالدعاية الانتخابية ، من حيث الوقت المسموح به ابتداء وانتهاء ، ومن حيث التوقيت وزمنه في حالة بث الدعاية على الشاشات التليفزيونية الرسمية ، ومن حيث استخدام العبارات والألفاظ المناسبة والمتوافقة مع قيم المجتمع ولحمته الوطنية ،وربما من حيث الحد الأقصى للإنفاق الإعلاني على الحملات الدعائية حتى لا يبالغ المترشح في الإنفاق الإعلاني ، وتقوم بعض المؤسسات المعنية بالتثقيف السياسي مثل معهد البحرين للتنمية السياسية بعقد الدورات وورش العمل للمرشحين بهدف إطلاعهم على تلك الضوابط القانونية للدعاية الانتخابية .

والهدف من ضوابط الحملات الانتخابية ليس تقييد المرشح ، أو التقليل من حريته في طرح أفكاره ورؤاه كما قد يظن بعض الأطراف وخاصة من المعارضة التي تنظر بريبة إلى كلمة (الضوابط) ، وتعتبرها مرادفا للقيود ، إلا أن الواقع يشير إلى استحالة إجراء انتخابات دون ضوابط دعائية يحددها القانون ويلتزم بها الجميع ، فالهدف من تلك

الضوابط هو أن تتلاءم الدعاية الانتخابية مع المستوى الحضاري الذي وصل إليه المجتمع ، حيث لا يمكن تشويه معالم بعض الأماكن بلافتات الدعاية ، أو تشتيت انتباه المارين بالطرقات والتقاطعات ، أو أن تحول اللافتات الدعائية بين الجماهير وبين رؤية إشارات المرور ، وتلك ضوابط منطقية لا يختلف عليها أحد .

ومن الضوابط الهامة أيضا للدعاية الانتخابية الحفاظ على قيم المجتمع وثقافته ومبادئه ، وكذلك أن تتجنب الدعايات الانتخابية عبارات تسئ للوطن ، أو تدعو للتعصب الديني أو المذهبي أو الطائفي أو العرقي ، وتلك نقطة في غاية الأهمية ، وتحتاج إلى رقابة ذاتية من المترشحين ، وإيمان به أكثر من الحاجة إلى أن تضبط القوانين هذا الأمر ، لذا فكل دعاية تثير النعرات الطائفية والأحقاد المذهبية فهي دعاية مخالفة ، وتعد خطرا على تماسك المجتمع بأكمله .

ومن المتوقع أن لا تشهد الدعاية الانتخابية الخاصة بالانتخابات التكميلية خروقات كبيرة إدراكا من المرشحين لحساسية الفترة الراهنة ، وبسبب عدم مشاركة المعارضة في عملية الترشح التي تعتمد أساسا على التصنيف المذهبي في الحصول على أصوات الناخبين .

الدعاية التحريضية

هناك مقولة لوزير الدعاية في حكومة هتلر النازية جوزيف جوبلز تقول (أعطني إعلاما بلا ضمير أعطيك شعبا بلا وعي) ، وقد كان جوبلز بارعا في فن خداع الجماهير، الذي يقوم على تغييب العقل والمعرفة ، وله مقولة شهيرة أيضا (كلما سمعت كلمة مثقف تحسست مسدسي) لعلمه أن الثقافة والمعرفة والاستنارة هي أعداء تغييب العقول ، وهي الأسلحة التي بها تقهر الدعايات التحريضية التي لا تستند إلى عقل أو منطق .

وقد كان جوبلز صاحب مدرسة فريدة في الدعاية والحرب النفسية ، استطاع من خلالها أن يقنع ملايين الألمان بالأفكار النازية ، وهو صاحب مدرسة (اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس) ، وقد استفادت كل من الدعاية الأمريكية والإسرائيلية من تراثه الدعائي ، وفلسفته في إقناع الآخرين بالأفكار ، وحشد التأييد الجماعي لها ، وظل ذراع هتلر اليمنى إلى أواخر حياته ، وقيل إن هتلر قد أوصى قبل انتحاره أن يكون جوبلز مستشار ألمانيا في وصية خطية إلا أن الحلفاء لم يعترفوا بها .

لكن يكفي أن ندلل على أنه كان أحمقا هذه النهاية الشنيعة التي اختارها له ولأسرته ، حيث أمر زوجته أن تعطي السم لأبنائه الستة الذين كانت تتراوح أعمارهم بين الرابعة والحادية عشرة قائلا : «حتى لا يهان أبنائي أمام الروس بعد وفاتي » ، وبعد ربع ساعة من تناول أطفاله السم فارقوا جميعا الحياة أمام عينيه وعيني زوجته ، ثم تناولا السم معا ليسدلوا الستار على حياة أشهر داعية للكذب والدعاية التحريضية في العصر الحديث .

وليت شرور جوبلز انتهت بوفاته ، بل كما أشرنا من قبل وظف الأمريكان والصهاينة وغيرهم أساليبه الدعائية في الترويج لمصالحهم وآرائهم وقضاياهم ، حتى وإن لم يكن تحت مسمى وزير الدعاية ، وحتى إن ألغوا وزارات الإعلام لديهم ، كما يستخدم الأسلوب الدعائي التحريضي (الجوبلزي) ذاته بعض الفئات والجمعيات السياسية التي تسير على خطى جوبلز في تحقيق أهدافهم ومآربهم ، من خلال حملات دعائية منظمة بشكل دقيق لتحقيق أهدافهم ، بذات الوسائل التي كان يستخدمها جوبلز أيام ألمانيا النازية .

فالدعاية التحريضية كما يتحدث خبراء الإعلام تقوم على تحفيز طاقات الأفراد إلى أقصاها لتحقيق أهداف من يقفون وراء الحملة الدعائية ، للحصول على تضحيات أساسية من هؤلاء الأفراد ، وتقوم هذه الدعاية أيضا بسحب الفرد بعيدا عن حياته اليومية، لتدفعه إلى الحماس والمغامرة ، وينشط هذا النوع من الدعايات أثناء الأزمات .

وهي دعاية رمادية اللون ، تتلون كما الحرباء ، لا يعرف من هو مصدرها أو مصدر تمويلها ، أو لا يعلن القائمون عليها عن مصادرها ، وتعمل بطرق غير مباشرة من خلال مصادر متنوعة .

وإذا لم يكن هناك وعي واستنارة من المجتمع ، فإن المتلقين يصبحون فريسة سهلة للدعاية التحريضية ، لذا فإن واجب الإعلام والنخبة المثقفة في المجتمع أن لا تسمح بظهر جوبلز جديد يمتد في فراغنا الإعلامي والثقافي ، وأن لا تسمح ببيئة تسمح لأمثال جوبلز بأن ينتشروا بدعاياتهم التحريضية في كل مكان ، ودرس أخير يستفاد من قصة حياة جوبلز ،أن الذين يفنون أعمارهم في خداع الجماهير يلقون مصيرا مأساويا اختاروه هم بأنفسهم ، وذلك لأن الزيف سينحسر ، ويظهر الحق للجميع .

طلقة الكاميرا

نعيش الآن في عصر الصورة بامتياز ، فالصورة لم تعد تغني عن ألف كلمة فقط ، بل إنها تغني عن ألف رصاصة أيضا ، ولم يعد من الممكن التغلب على الخصم في مجال الحروب فقط بالعتاد العسكري من دبابات وطائرات وقاذفات صواريخ وقنابل ، بل لابد أن يترافق مع كل هذه الآليات سلاح في غاية الأهمية ، هو الكاميرا ، التي تنتج الصور التي توظف في التخويف والترهيب ، وإحباط معنويات الخصوم ، أو تستخدم في إلهاب المشاعر الإنسانية ودغدغة العواطف ، هذه هي حقيقة وضعية (الصورة) في عالم وصل مدى لا يستهان به في إنتاج الصورة ونشرها في لحظات معدودة ، سواء كانت صورة صامتة (الصور الفوتوغرافية) أو صورة متحركة (ملفات الفيديو)

فمشهد حاملات الطائرات الأمريكية ، وصور المقاتلات التي تشبه أسماك القرش أو الحيتان الضخمة ، وصور أرتال الدبابات المصفحة ، التي تدور حولها الكاميرا ، لتبرز كل ميزة فيها ، وصور كبائن التحكم ، وغرف العمليات المتصلة بكل تفاصيل المعارك ، كل تلك المشاهد وغيرها لعبت دورا كبيرا في تسويق فكرة مفادها أن لا قبل لأحد بمواجهة هذه القوى ، لتخلق روحا معنوية شبه منعدمة ، أو محطمة ، وهي الأرضية اللازمة لأي انتصار عسكري ، حدث هذا في حروب الولايات المتحدة في الخليج ، في حرب تحرير الكويت التي تمكنت قناة السي إن إن من تثبيت كاميرات في شوارع بغداد وغيرها لتنقل للعالم كيف تصيب القوات الأمريكية بدقة متناهية في توقيت بدايات انتشار القنوات الفضائية عبر الأقمار الصناعية عربيا ، وحدث مرة ثانية في عملية احتلال العراق ، وإسقاط النظام السابق ، كما حدث في حربها في أفغانستان ، وفي الحملة العسكرية التي قادها حلف الناتو لإسقاط القذافي ونظامه في ليبيا .

محليا كان مجرد نشر وبث صور قوات درع الجزيرة وهي تصطف في طابور طويل في طرق البحرين هو إعلان بانتهاء أحداث إغلاق الطرق الرئيسية فيها ، وحينما رأت الجماهير هذه الصورة دار بعقولهم أن الأزمة انتهت بالفعل ، وفي المقابل فإن الصورة ذاتها حطمت معنويات الطرف الآخر الذي يرى فيها نوعا من الاحتلال ، وهو ما أثبتته الأحداث ، فلم تستغرق عمليات إخلاء دوار مجلس التعاون كثير وقت ، ولم تسفر عملية إعادة النظام لشوارع البحرين عن ضحايا ، لأن سلاح الصورة سبق كل الأسلحة ، وعمل عمله في الفريقين .

وبالسلاح نفسه تواجه المعارضة البحرينية النظام ، بل وتبرع في استخدامه ، في ظل سهولة مفرطة في إنتاج والتقاط الصور والأفلام ، فكاميرا الهواتف النقالة ، والكاميرات صغيرة الحجم ذات الإمكانيات العالية متاحة ، وسهلة الاستخدام ، كما أن عملية إرسال تلك الصور لقنوات شهيرة ، أو منظمات حقوقية عالمية لا يحتاج إلا اتصالا بالإنترنت ، وتوفر بريد إلكتروني ، وبضع ثوان ليصل الهدف إلى مرماه ، كما أن مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيس بوك وتويتر ويوتيوب تستقبل كل الصور الجديدة التي تمثل طلقات إعلامية قد تصيب هدفها في أي وقت ، في ظل ثورة اتصالية هائلة ، حولت عالمنا لمعرض كبير ، يعج بملايين الصور ، وملايين الملفات المصورة ، أو بالأحرى ملايين (الطلقات الإعلامية) .

ثقافة الصورة

تناولت - سابقا - كيف أن الصورة الإعلامية الآن لها سطوة تفوق في بعض الأحيان سطوة الآلات العسكرية ، وكيف أنها توظف كسلاح فتاك في كل الصراعات الإنسانية التي يشهدها عالمنا الان ، وعرجت على توظيف الصورة في الأحداث التي مرت بها مملكة البحرين في العام الماضي ، وإجمالا يمكن القول بأن أشهر الصور الإعلامية التي خدمت النظام كانت صورتان : أولاهما : صورة قوات درع الجزيرة وهي تصطف في طابور طويل في طرقات البحرين ، يلوح قادتها للكاميرا بعلامة النصر ، وهي الصورة التي بثت روح الأمل والطمأنينة ، وساعدت في انتشار شعور متفائل بعودة الأمن ، والصورة الأخرى كانت في تجمع الفاتح ، أو ما عرف بعد ذلك بتجمع الوحدة الوطنية ، التي كانت صورة معبرة عن رفض كبير لأن يستأثر أحد جناحي الشعب البحريني بمستقبل البلد وفرض إرادته .

وقد أشرت أيضا إلى أن نفس السلاح تستخدمه المعارضة ببراعة في ظل ثورة تكنولوجية واتصالية تسهل من استخدام الصورة الإعلامية كسلاح لا يستهان به ، ولا يتوقع بحدود تأثيره ، وقد رأينا (الصورة) تشكل عامل ضغط على النظام ، حيث أن الصراع يدار بين قوة النظام والمعارضة وقدرتهما على التأثير في الرأي العام المحلي والعالمي ، وهي مرحلة تتطلب إدراك مكامن القوة في السلاح الجديد ، حتى نعرف متى يمكننا استخدام الصورة لعامل ضغط ، ومتى يمكننا استخدام الصورة لكشف الحقائق ، والرد على الادعاءات ، ولابد من إدراك كيفية التعامل مع الصورة كسلاح مضاد ، بمعنى متى يمكن تفادي (طلقة الكاميرا) وكيف يمكن معالجة آثارها ، عبر الإسعاف السريع ، أو توفير الدواء لمعالجة الأثر بحسب طبيعة الإصابة .

وبالرغم من أن ثقافة الصورة ثقافة لها قيمتها ووزنها في الفضاء الإعلامي الآن إلا أننا لابد أن نعترف أن هناك (فقرا) في توظيف الصورة إعلاميا ، وفي الاستفادة من إمكانياتها البصرية الهائلة ، فنحن لا نفتقد الصورة ، ولكننا نفتقد الصورة المنتقاة بعناية، الموظفة لصالح الجميع ، ولصالح الوطن بأكمله ، فالصورة لغة عالمية ، لا تحتاج قراءتها لمهارات لغوية ، ولا قراءة ترجمة مكتوبة في أسفل الشاشة .

وإذا كان التليفزيون كوسيلة إعلامية يمتاز بإعلاء الثقافة البصرية ، فإن تطبيقات شبكة الإنترنت قد اختزلت خواص كل من التليفزيون كوسيلة إعلامية جماهيرية سمعية بصرية ، والراديو كوسيلة إعلامية سمعية ، والصحافة كوسيلة نصية ، ودمجت كل تلك

الوسائل في وسيلة واحدة ، وهو ما يتطلب أن نحسن استخدامها كوسيلة جامعة يمكن أن تحدث تأثيرا على نطاق واسع .

كم نحتاج في بلادنا إلى أن تكون الجهود الإعلامية جهودا منتقاة ، تهدف إلى إحداث تأثيرات محددة ، وهذا كله لا يتأتى إلا من خلال وضع استيراتيجية إعلامية واعية يمكنها التعاطي مع إمكانيات الوسيلة ، ويمكنها أن تتحرك بمرونة لتتجنب تأثيرات سلبية هنا ، أو تعمق تأثيرات إيجابية هناك ، وقبل ذلك كله أن تتوفر الإرادة لتطوير منظومة العمل الإعلامي ، وتوسيع نطاقه ومفهومه ، فلم يعد من المناسب الآن التعامل مع وسائل الإعلام بنفس الطريقة التي كنا نتعامل بها من قبل ، فلكل عصر مفرداته ، ولكل حادث حديث .

فضيحة قناة (برس تي في) الإيرانية !

تعود القصة إلى عام ٢٠٠٩ م ، وبطلها الصحفي (مازيار بهاري) وهو صحافي في إيراني يحمل الجنسية الكندية ويعمل في مجلة «نيوزويك» الأميركية ، حيث شارك في المظاهرات العارمة التي اجتاحت إيران بعد إعادة انتخاب الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، والتي أشارت تقارير متعددة إلى أن عملية تزوير مؤكدة تمت لصالح المحافظين ضد الإصلاحيين ، وأكد الإصلاحي مهدي كروبي أن عملية مؤكدة لتزوير الانتخابات تمت لصالح نجاد في الانتخابات التي جرت في ١٢ يونيو ٢٠٠٩م ، وعمت إيران اضطرابات ومظاهرات لم يتوقعها النظام الإيراني الذي قمعها بأسوء صور القمع .

وقد نشر الصحفي (مازيار بهاري) تقارير تسجل هذه الاحتجاجات ، فوجه له النظام الإيراني تهمة نشر معلومات معادية للنظام ، عبر إرسال تقارير خاطئة عن الانتخابات إلى وسائل إعلام أجنبية. ، وأثناء اعتقاله بثت قناة (برس تي في) الإيرانية الحاصلة على رخصة البث من لندن ، ما وصفته في حينه بأنه «اعتراف» قال فيه إنه عميل أميركي، وتبين لاحقا أن هذا الاعتراف انتزع منه تحت التهديد بقتله ، وعقب تحقيقات من قبل مؤسسة مراقبة الأنشطة الإعلامية في بريطانيا (أوف كوم) استمرت سنتين أدينت القناة تحت ما يصنف رسميا باسم «انتهاك الخصوصية» ، وفرضت «أوف كوم» على القناة غرامة تعتبر قياسية في تاريخ الإعلام في بريطانيا ، وقدرت الغرامة بمائة ألف جنيه استرليني ، وذلك في العام ٢٠١٠ م .

لكن قناة (برس تي في) الإيرانية لم تدفع الغرامة التي حددتها الشركة المنظمة للبث التليفزيوني ، إلى أن قامت شركة (أوف كوم) بسحب ترخيص القناة ، بعد تراشق إعلامي بين إيران وانجلترا ، وبعد حرب دبلوماسية بينهما أيضا تم فيها تبادل إغلاق السفارات وذلك في نوفمبر ٢٠١١م ، على خلفية الهجوم على السفارة البريطانية في طهران ، وذكرت الشركة المنظمة للبث التليفزيوني في حيثيات قرارها بإغلاقها سببين :

الأول : أن الشركة الإيرانية تقاعست عن دفع الغرامة المقررة عليها في ٢٠١٠ م بسبب إكراه الصحفي على الاعتراف بالعمالة لأمريكا .

والثاني ، أن القناة خرقت قانون البث البريطاني ، حيث إن مكان التحرير هو طهران، حيث تتبع القناة للحكومة الإيرانية مباشرة ، ومكان البث هو لندن ، وقد عرضت عليها شركة (أوف كوم) أن أمامها خياران : إما أن تنقل مقر التحرير ليكون في بريطانيا ، أو

تنقل رخصة بثها إلى طهران ، ولكن إيران لم تأخذ بأي من الخيارين .

وتمثل قناة (برس تي في) الإيرانية الناطقة بالإنجليزية ، والتي أنشأت في عام ٢٠٠٧م البوق الإعلامي والدعائي لإيران في الغرب ، ومعنى إلغاء بثها في أوربا أن الغرب قد قام بقطع لسان إيران الممتد غربا ، ولكن الغريب في الأمر أن بث القناة توقف من باقة قنوات (سكاي) لكنها لا تزال تبث برامجها عبر القمر (هوت بيرد) و(نايل سات) لجمهور الشرق الأوسط ، وبالرغم من كل الفضائح والمخالفات التي ارتكبتها القناة ، أدلت إيران على لسان مسئوليها بتصريحات من عينة « أن إغلاقها يمثل انتهاكا صارخا لحرية التعبير » ! .

الهوية والمصداقية في الإعلام العربي

يمر الإعلام العربي بمرحلة فاصلة في مسيرة الأمة العربية ، نظرا لواقعها الذي يموج بالكثير من الأحداث الساخنة على الصعيد السياسي ، ولا غرو فالإعلام هو المرآة التي تعكس الواقع السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي لأي أمة من الأمم كما يرى كثير من المحللين والباحثين ، بينما يرى فريق آخر أن على الإعلام أن يأخذ بزمام المبادرة ، وأن يكون عاملا من عوامل النهضة ، وتغيير المجتمعات نحو الأفضل ، وأن يقود الحراك المجتمعي والإصلاحي ويعبر عنه في الوقت ذاته لا أن يكتفي برصد وتسجيل الوقائع والحقائق .

وهو المعنى الذي أكده الباحث السيوسيولوجي البريطاني أنطوني جيدنز حين أكد أن وسائل الإعلام لم تكتف فقط بالحرص في المقام الأول على الحضور هناك، وإنما بادرت بالقيام بتنظيم الجمهور ، وهو الأمر الذي اعترف به مرشح الرئاسة الأمريكي والتر مونديل حين أقر بهزيمته في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، العام ١٩٨٤، أمام الممثّل العجوز الآتي من هوليود رولاند ريغان، عندما قال: «إن السياسة الحديثة تتطلب إتقانا جيدا للتلفزيون. ومن ناحيتي فأنا أعترف بأن التلفزيون هزمني» ، وإذا كان الحديث عن تأثيرات الإعلام في تلك الأيام المنصرمة بهذا القدر ، فإن تأثيراته وأدورا منوطة به لا يمكن التنبؤ بها في كل من الحاضر والمستقبل ، خاصة مع ظهور شبكات التواصل الاجتماعي، والإعلام الجديد بتطبيقاته المختلفة ، التي عززت مكانة الإعلام ، وزادت من فاعليته .

وأمام هذا الدور المتنامي للتأثيرات الإعلامية فإننا أمام عدد من الإشكاليات، حاول الملتقى الإعلامي للشباب العرب الذي استضافته المنامة بمناسبة اختيارها عاصمة للصحافة العربية مناقشتها ، ومنها إشكالية الهوية ، وإشكالية المصداقية ، أما عن الهوية فإنها مكمن الذات ، وصلب الاستقلالية الفعلية التي يطمح هذا المنبر أو ذاك لإدراكها ، والإعلام العربي لم يسلم من التأثر بسلطة رأس المال الضاغط ، والتأثر كذلك بالسلطة السياسية ، لكن جوهر إشكالية الهوية في إعلامنا العربي ربما تعود إلى إرث تراكمي من تنامي سطوة ونفوذ الإعلام الغربي ، واختلال في التدفق المعلوماتي والإخباري بين الشمال والجنوب ، والذي كرسته تكنولوجيا الاتصال والإعلام ، بدلا من إزالته كما كان متوقعا حين برزت مفاهيم « دمقرطة الإعلام والاتصال « مقترنة بظهور الإعلام الشبكي .

ثم تأتي إشكالية المصداقية ، وهو ملا يلاحظه كل متابع ، حيث الخبر في هذه القناة يختلف تماما عنه في تلك ، بالرغم من وحدة الأحداث وتفاصيلها ، والأمر قد يتعدى حاجز السياسة الإعلامية ليدخل في بعض الأحيان حيز التضليل وحملات التشويه وقلب الحقائق التي تمارسها بعض المنابر الإعلامية دون أدنى اعتبار للقيم ولا مواثيق الشرف الإعلامية والمهنية

والمصداقية في وسائل الإعلام ليست مقصورة على وسائل الإعلام التقليدي ، فإشكاليتها أعمق في مواقع التواصل الاجتماعي الذي أضحى مرتعا لنشر ونقل الشائعات والأخبار المغلوطة .

إن ساحات إعلامنا العربي مطالبة بأن تتحرى الصدق تحريا إن كانت راغبة في أن تنال ثقة الجماهير العريضة ، فتلكم القاعدة : موضوعية ، فثقة ، فتأثير يترجم نجاح الوسيلة الإعلامية .

أما الإعلام (المؤدلج) فهو فاقد التأثير على المدى الطويل ، هذا هو المنطق الإلهي :

(فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) .

صدق الله العظيم

مشاهد الاغتصاب في الدراما
بين رؤية المخرج وحق المشاهد

انتقد نواب في البرلمان التركي المشهد المثير الذي تتعرض له بطلة مسلسل (فاطمة) التركي الذي يصور انقضاض عدة ذئاب بشرية على الفتاة التي تجسد دورها الممثلة التركية (بيرين سات) التي جسدت شخصية (سمر) الشهيرة في المسلسل التركي (العشق الممنوع) ، وقامت المخرجة (هلال صرال) بإبراز تأوهات الفتاة ، وضحكات المغتصبين الواحد تلو الآخر ، لكن الرأي العام التركي اعتبر هذا المشهد مثيرا للغضب ، وهو ما دفع بعض النواب لمناقشة الموضوع في البرلمان التركي مطالبين بوقف عرض المسلسل لأنه « يسيء إلى المجتمع التركي » .

وبعيدا عن اعتقاد البعض بأن إثارة هذا الموضوع يعد ترويجا دعائيا للمسلسل ، فإنه يثير قضية هامة تتعلق بحقوق المشاهدين في مشاهدة برامج ومواد درامية غير خادشة للحياء وغير مخجلة ، خاصة وأن التليفزيون ليس وسيلة إعلام شخصية ، بل هو وسيلة جماهيرية يشاهدها كل أفراد الأسرة بمختلف فئاتهم العمرية والتعليمية ، لذا فإن مواثيق الشرف الإعلامية تلزم أصحاب القنوات التليفزيونية بالابتعاد عن نشر اللقطات المثيرة أو التي تحض على السلوكيات الخاطئة ، كالعنف ، والإرهاب ، وغيرهما .

وفي حين قالت مخرجة المسلسل التركي (فاطمة) إن الهدف من هذا المشهد والمسلسل بأكمله هو تسليط الأضواء على النقاط المعيبة في القانون التركي ، ومنها أن المغتصب إذا تزوج الفتاة التي تعرضت لتلك الجريمة فإن بإمكانه أن يفلت من العقاب ، وأن الهدف ليس الإثارة ، إلا أن خصوصية الوسيلة التليفزيونية كوسيلة اتصال أسرية تقف حائلا دون نشر المشاهد السيئة ، حتى وإن كان الهدف نبيلا .

وقد أحسنت بعض القنوات التليفزيونية العربية صنعا حينما قامت بتقطيع مشهد الاغتصاب من المسلسل ، مراعاة منها للتقاليد العربية ، والقيم الأخلاقية التي ينبغي أن تظهر في وسائل إعلامنا بدلا من ظهور أضدادها .

إن من يصورون بعض المشاهد المثيرة في أعمالهم الدرامية بحجة أنها تحدث في الواقع يرتكبون جريمة أخلاقية في حق مجتمعاتهم ، ولا ينظرون بعينين متوازيتين لما يحدث في المجتمع من خير وشر ، حيث السؤال الذي يمكن أن يطرح : لماذا تجتذب عدساتكم مواطن القبح في المجتمع دون مواطن الجمال والفضيلة ؟ أتحت ستار ما أسماه بعض منتجي

السينما في أقطارنا العربية (سينما الواقع) ؟ ، متذرعين بأن هذه المشاهد عاكسة لواقعنا المشين ؟ أم أنها مغازلة لنوافذ التذاكر التي تثير إعلاناتها ضعاف العقول ؟

المشكلة إذن ليست في مشهد في مسلسل ، ولكني أراها في مسئولية أصحاب القنوات التليفزيونية ، والمنتجين ، وغيرهم من الذين يجولون بإنتاجهم الإعلامي في فضائنا ، أن يتقوا الله في مجتمعاتهم ، وأن يدركوا أن ما يصوروه من مشاهد ، وما يبثونه من برامج ، وإعلانات ، يراها الصغير والكبير ، ولا تفرق شاشة بين هذا وذاك ، وأن يدركوا أن دورا منوطا بهم في المحافظة على قيم المجتمعات وأخلاقياتها ، إن لم يكن الدعوة إليها ، واستنهاض المشاهدين للتحلي بها .

صحيح أن كثرة المخالفات في وسائل الإعلام تنال من حقوق المشاهدين ، لدرجة أن البعض لكثرة تعرضه لها قد يراها أمرا عاديا ، لكن ذلك لا يلغي أحقية المشاهدين في الحصول على (إعلام نظيف) .

في اليوم العالمي لحرية الصحافة :
الأطر القانونية لحرية الصحافة في مملكة البحرين

يصادف الثالث من مايو الاحتفال باليوم العالمي لحرية الصحافة ، وهو اليوم الذي اختارته الأمم المتحدة بموجب القرار رقم ٤٨/٤٣٢ المؤرخ في ٢٠ ديسمبر ١٩٩٣م، فيما عرف بإعلان وندهوك ، نسبة إلى مدينة ويندهوك بناميبيا الأفريقية التي اجتمع فيها عدد من الصحفيين في حلقة أعدتها منظمة اليونسكو عن (تعزيز استقلالية وتعددية الصحافة الأفريقية) التي انتهت في ٣ مايو من العام ١٩٩١م ، وسميت توصياته (إعلان وندهوك) ، وأقرها المؤتمر العام لليونسكو في دورته السادسة والعشرين ، باعتبار أن حرية الصحافة أمر لاغنى عنه لتحقيق الديمقراطية ، وحقوق الإنسان .

وتنطلق فكرة حرية الصحافة أمميا من المادة التاسعة عشرة من الميثاق العالمي لحقوق الإنسان الذي تنص على أن : (لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية) .

وبالنسبة للمواد القانونية والدستورية المنظمة لحرية الصحافة في مملكة البحرين، نجد الفقرة الرابعة من الفصل الأول من ميثاق العمل الوطني المتعلقة بحرية الرأي والتعبير تنص على أن (لكل مواطن حق التعبير عن رأيه بالقول ، أو بالكتابة ، أو بأي طريقة أخرى من طرق التعبير عن الرأي ، أو الإبداع الشخصي ، وبمقتضى هذا المبدأ فإن حرية البحث العلمي ، وحرية النشر والصحافة والطباعة ، مكفولة في الحدود التي يبينها القانون) .

وليس لأحد أن يزعم أن عبارة (في الحدود التي يبينها القنون) مقيدة للحريات، إذ أن أي حرية لابد لها من إطار تنظيمي ، حتى لا تتعارض حرية الفرد مع حريات الآخرين، وحتى تصان الحرمات الخاصة للأفراد ، ولأنه لا توجد حرية مطلقة في أي مكان، حتى في المدرسة الليبرالية الرأسمالية ، طالما أن هذه الحدود معقولة وفقا للأعراف الدولية ، وطالما أنها ليست بالكثرة والحدة التي قد تفرغ الفقرات الداعمة للحرية من مضمونها .

وكذلك نص دستور مملكة البحرين الصادر في العام ٢٠٠٢م ، في باب الحقوق والواجبات ، في المادة الثالثة والعشرين على أن (حرية الرأي والبحث العلمي مكفولة ، ، ولكل إنسان حق التعبير عن رأيه ، ونشره بالقول ، أو الكتابة ، أو غيرهما ، وذلك وفقا للشروط ، والأوضاع التي يبينها القانون ، مع عدم المساس بالعقيدة الإسلامية ، ووحدة

الشعب ، وبما لا يثير الفرقة ، أو الطائفية) ، كما نص في المادة الرابعة والعشرين من نفس الباب بالقول : (تكون حرية الصحافة والطباعة والنشر مكفولة وفقا للشروط ، و الأوضاع التي يبينها القانون) .

وإذا كان هذا الحال مع الأصول الدستورية والقانونية في مملكة البحرين فإن المرسوم بقانون المطبوعات رقم ٤٧ لسنة ٢٠٠٢م ، والقانون الجديد للصحافة التي تم إيقاف مناقشته في مجلس النواب لحين الانتهاء من دراسة تقييمية للواقع الإعلامي البحريني من قبل إحدى الشركات الفرنسية كلها تنبثق من المرجعية القانونية المتمثلة في الدستور وميثاق العمل الوطني ، ولا يجوز أن تخالف توجهها .

وبقيت الإشارة إلى أن حرية الصحافة لا ترعاها القوانين وحدها ، بل هي ثقافة يؤمن بها كل من العاملون في المجال الإعلامي والنظام الحاكم والمجتمع ، لتفرز تعبيرا صحيحا عن الرأي العام والمجتمع الذي تصدر منه ، حتى لا يحيد المجتمع عن الحرية إلى الانفلات.

كيف نواجه الإعلام المضلل ؟

وجود الخبر ونقيضه دليل بين على الكذب الممنهج التي تمارسه بعض وسائل الإعلام، ووجود التحليل وعكسه للمشهد الواحد دليل على (تأطير) الأخبار ، أي وضعها في إطار محدد وفق أيديولوجيا معينة يتم الترويج لها ، والتخطيط الممنهج لنشر هذه الأيديولوجيا .

والعدسة التي لا ترى إلا جانبا واحدا من الحدث ، يمارس أصحابها نوعا من التضليل الإعلامي لجماهير قد لا تكون على القدر المطلوب من الوعي الذي يمكنهم من فرز الغث من الثمين ، ويقدمون صورة مبتورة أو مجتزأة للأحداث ، كمن ينظر إلى نصف الكوب الفارغ وحده ، أو حتى الذين ينظرون إلى نصف الكوب الممتلئ وحده ، فكلاهما على غير صواب ، لا يقدم سوى الجزء الذي يريد أن يراه ، ويفرض رؤيته على الآخرين .

وتكمن خطورة الإعلام المضلل في بعض المجتمعات العربية التي ترتفع فيها نسبة الأمية، حيث تشكل المعرفة والثقافة حائط صد منيع ضد عمليات تزييف العقل الجمعي في أي مجتمع ، كما تشكل حافزا لتسريع عملية كشف الأقنعة التي يتخفى خلفها أولئك الذين ينخرون في جسد الأمة ، ويسهرون على تعويق مسيرتها .

وإذا كانت مقولة (بإمكانك أن تخدع كل الناس بعض الوقت ، و أن تخدع بعض الناس كل الوقت ، لكنك لن تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت) مقولة صائبة ، وتعني التسليم بأن الإعلام المزيف القائم على الأراجيف والأكاذيب لن يطول مدى عمره الزمني ، استنادا إلى قوانين الصراع والتدافع بين الحق والباطل ، واستئناسا بقول الله تعالى : (فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) إلا أننا وفي ظل عصر الثورة المعرفية ، وانتشار الميديا على نطاق واسع ، وتعدد أشكالها لابد من التحذير من حالتين :

الأولى : عمليات الخداع التي تمارسها بعض المنصات الإعلامية ، والتي قد تختفي خلفها مؤسسات أو جهات بعينها ، وتقدم لها التمويل السخي ، والدعم اللامحدود ، لتتمكن من إحداث التأثيرات السلبية على قطاعات من المجتمع كل الوقت ، حتى تتمكن من هذه الشريحة من المجتمع ، فلا تسلم إلا بما تقوله تلك القناة أو الصحيفة، ولا تعتقد في صحة ما سواه .

والثانية : أن تتجاوز عمليات التضليل والخداع الإعلامي عملية الإعلام ذاته ، لتصبح سلسلة في حلقة من الأحداث الممنهجة والمخطط لها بعناية للوصول إلى نتائج بعينها ، وأن تتجاوز الوسيلة الإعلامية حدودها كوسيط ينقل المعلومة إلى صانع للأحداث التي ترتبط

بمجموعة من الأفكار المريبة التي تعمل كمعول هدم لمكتسبات المجتمع .

وباعتقادي فإن محاصرة الميديا المثبطة في المجتمعات ، والمعوقة لمسيرة مكتسباته السياسية والاجتماعية والاقتصادية لن تحدث بإغلاق قناة أو صحيفة ، كما يطالب البعض في الحالة المصرية على سبيل المثال بإغلاق بعض القنوات التي تجاوزت مرحلة الإعلام إلى مرحلة السباب ، حتى وإن كان هذا الإغلاق بحكم قضائي ، لأن أصحاب هذه المنابر قد ترتدي ثوب البطولة الزائفة مرة أخرى ، وتصور نفسها أمام الرأي العام محليا ودوليا بأنها ضحية عصر جديد لقصف الأقلام وتكميم الأفواه .

الحل هو تنامي الوعي ، ومواجهة الباطل بالحق ، والزيف بالصدق وتبيان الحقائق كما هي ، لاسيما لو تضمن هذا التبيان تعرية الباطل ، وإثبات بطلانه ، ولن يقوى الباطل على الاستمرار في المقاومة ، فالحق أبلج والباطل لجلج ، والشجرة الخبيثة ليس لها أصل ثابت ، كما يخبرنا الله عز وجل في سورة الرعد : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) .

الفصل الثالث

التعليم سلاح المستقبل



التعليم الجامعي في مملكة البحرين

التعليم بشكل عام في مملكة البحرين كان من أسبق وأفضل نظم التعليم الموجودة بدول الخليج العربي كما تشير إلى ذلك المعلومات التاريخية ، ويناط بالتعليم الجامعي إكساب الطلاب المهارات العلمية والمعرفية في التخصصات المختلفة ، وتعد نسبة الحاصلين على مؤهلات جامعية في أي مجتمع من مؤشرات معدلات التنمية البشرية الهامة ، كما أنه مؤشر على استنارة المجتمع وثقافته ، وبالتالي كان لابد من النظر في توسيع قاعدة التعليم الجامعي وتطويره عبر مسارين :

أحدهما : الاهتمام بمستوى الخدمة التعليمية المقدمة من الجامعات وتطويرها لتتلاءم مع معطيات العصر ، من خلال نظم الجودة والتميز .

وثانيهما : الاهتمام بالتوسع الأفقي في التعليم الجامعي من خلال زيادة وتنوع المؤسسات الجامعية لتواكب الزيادة المطردة في أعداد الطلاب الراغبين في إكمال تعليمهم الجامعي ، ولتخلق جوا من المنافسة المشروعة بين تلك المؤسسات لتقديم الخدمة الأفضل والأجود إلى الدارسين .

ومن هنا كان للحكومة قرارها الشجاع بالسماح لإنشاء الجامعات الخاصة لتقوم مع جامعة البحرين برفد المجتمع بمناهل جديدة للثقافة والتعليم الجامعي ، وأنا أقف تماما مع أن تتسم الخدمة التعليمية في كل الجامعات بمملكة البحرين بالجودة ، لأن في ذلك ارتقاء بمستوى التعليم الجامعي بشكل عام .

ولكن المشهد المتعلق بالتعليم الجامعي يعتريه بعض التخبط ، وتكتنفه بعض الملاحظات، شهادات وعقوبات وقرارات قد تخطئ هدفها لتصيب هدفا آخر ، وهو الأمر الذي قد يؤثر على صورة التعليم الجامعي في المملكة .

كثير من الدول العربية لديها تجارب ناجحة للجامعات الخاصة التي تؤدي دورها بجانب الجامعات الحكومية ، يوجد في مصر على سبيل المثال أكثر من ثلاثين جامعة وأكاديمية خاصة بعضها يفوق سمعته بعض الجامعات الحكومية ، قوانين ملزمة للجميع، عقوبات محددة مسبقا ومعلومة للجميع لمن يرتكب بعض المخالفات دون أن يكون جهاز المراقبة خصما للجامعة أو للطلاب .

إن القطاع الخاص ينبغي ، بل يجب ، أن يقوم بدوره المنوط به في مجال التعليم الجامعي، فقد انتهى الوقت الذي تقدم فيه الدولة كل شئ ابتداء من التعليم وانتهاء بالتوظيف ،

الجامعات الخاصة تساعد الحكومة في تقديم التعليم لمن يستطيع تحمل تكلفته دون أن ترهق جامعتها الرسمية ، تساهم في تنمية المجتمع ثقافيا وعلميا .

حق الدولة ثابت في أن تراقب وتشرف ، لكن دون أن يتحول المشهد إلى دراما مكونة من عدة فصول ، حتى تصل إلى ذروة العقدة ، وما تلبث العقدة تجد لها طريقا للحل حتى تأتي عقدة جديدة تبحث عن حل آخر ، وكأنه مسلسل درامي يتفنن فيه المخرج والسينارست بالحبكة الدرامية ، ويقف الطلاب وأولياء أمورهم موقف المتفرجين المغلوب على أمرهم !!

ما المانع أن تكون مملكة البحرين إذن مقصدا للطلاب والدارسين من خارج البحرين؟ أن تصبح مركز إشعاع علمي ، كما صارت مركزا للصيرفة الإسلامية على سبيل المثال ؟ وطبعا لن تكون كذلك إلا إذا كان التعليم الجامعي المقدم من خلال تلك المؤسسات تعليما نوعيا يواكب العصر ، ويأخذ في اعتباره معايير الإتقان والتجويد ، وهو ما يجب أن تتضافر كل جهود المسئولين عن التعليم الجامعي في المملكة لتحقيقه .

التعليم الإلكتروني ومجتمع المعرفة

يقوم الاقتصاد العالمي الآن على (اقتصاد المعرفة) ، حيث أن ثاني مصدر من مصادر الدخل القومي الأمريكي بعد صناعة الطائرات هو الاقتصاد القائم على تكنولوجيا الاتصال والحاسبات والإعلام ، وتمتلك الولايات المتحدة أكبر قوة اقتصادية في العالم ، ويعرِّف البعض العصر الذي نعيشه بعصر مجتمع المعرفة كمرحلة من مراحل التطور الإنساني ، بعد أن اجتازت البشرية كلا من المرحلة الزراعية والصناعية التي كان الاقتصاد معتمدا على تلك النوعية من النشاطات .

وفي عصر مجتمع المعرفة لابد أن تتطور عمليات التعليم لتواكب إيقاع العصر ، ولتفرز خريجا مؤهلا بشكل علمي يتناسب مع مفردات العصر الذي نعيشه ، قادرا على توظيف المعرفة لخدمة مجتمعه وأمته ، ويأتي التعليم الإلكتروني ليشكل عنصرا هاما من عناصر تطوير التعليم ، وقد عقد بجامعة البحرين في الفترة من ٦-٨ أبريل الجاري مؤتمرا عن (التعليم الإلكتروني ودوره في تعزيز مجتمع المعرفة) تحت رعاية الشيخ أحمد بن عطية الله آل خليفة وزير شئون مجلس الوزراء ، واحتوى على مائة ورقة بحثية لأساتذة وخبراء من كافة أنحاء العالم ، وشاركتُ فيها بورقة علمية عنوانها (استخدام الشبكات الإلكترونية في التعليم الجامعي ودوره في تحقيق مجتمع المعرفة) .

وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج الهامة التي تركز على كيفية استخدام شبكة الإنترنت كعامل مساعد أو رئيسي في التعليم الجامعي ، فقد أتاحت تكنولوجيا الاتصال فرصا متعددة لتطوير العملية التعليمية من خلال توفير الوسائل الإلكترونية للتواصل واكتساب المعارف والمعلومات والمهارات ، والمشاركة في جمع المعلومات وإنتاج المعرفة بما يحقق طفرة نوعية في مجال التعليم ، فقد استخدمت المدونات للأغراض التعليمية في الفترة الأخيرة ، وظهرت المنتديات كأحد التجمعات الطلابية الافتراضية الهامة ،كما انتشرت المجموعات الطلابية على مواقع متعددة مثل جوجل ، وفيس بوك ، ومجموعات الأخبار ومواقع الويكي وخدمة نول التي يقدمها موقع جوجل ، وغيرها من المواقع التي أوجدت مجتمعات افتراضية تعليمية على شبكة الويب ، وأشارت الدراسة إلى أن أدوار المعلم في مجتمع المعرفة مختلف عما كان عليه في السابق، فلم يعد المعلم محتكرا للمادة العلمية المقدمة من خلال المؤسسات التعليمية ، بل إن دوره الأبرز هو دور الوسيط بين الطلاب وبين مصادر المعرفة المختلفة .

وأوصت الدراسة بأهمية إدراك أن مخرجات العملية التعليمية بشكل عام في كثير من المؤسسات التعليمية في الوطن العربي يجب أن تتواكب مع مجتمع المعرفة الذي نعيشه ، وبالتالي فإن جامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية بحاجة إلى تطوير ذاتها لتسهم في إنتاج المعرفة ، والمعرفة النوعية التي تتناسب مع حاجات المجتمع لتكون في خدمته .

إن أهمية موضوع التعليم وتطويره تكمن في أنه إذا أردنا مجتمعا متطورا ناهضا فلابد أن نمتلك تعليما متطورا قادرا على حفز الطلاب والدارسين إلى التعامل الأمثل مع الموارد المعرفية المتاحة ، فلم تتقدم المجتمعات الغربية في العصر الراهن إلا بإيمانهم بأهمية العلم والعلماء ، ولم تتخلف كثير من الدول عن ركب التقدم الإنساني إلا لأن لديها نظاما تعليميا مترهلا يحرص على إعطاء الشهادات قبل حرصه على إعطاء المعرفة السليمة التي تبني عقول الدارسين وتشكل حدود معرفتهم العلمية .

ونحن في منطقتنا العربية نحتاج إلى ثورة في نظم التعليم تبدأ من الطالب والمعلم وتنتهي بمراجعة الأساليب المتبعة في التعليم النظامي وتهيئة البيئة العلمية المحفزة للعلم ،من خلال نقل المعرفة وتوظيفها لخدمة المجتمع المحلي ، وتوظيف التكنولوجيا الحديثة لتطوير العملية التعليمية بشكل عام ، وتكريم العلماء والباحثين و تقديمهم في وسائل الإعلام رموزا يقتدي بهم الشباب .

الإعلام والتعليم ...
وغياب الرؤية العلمية

(لابد أن نغير مناهج تعليم الإعلام ، والتعليم بشكل عام) هكذا صدح العالم المصري والحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء الدكتور أحمد زويل في المنتدى الإعلامي العربي التاسع في مدينة دبي ، أمام آلاف الحاضرين من رجالات الإعلام والفكر والسياسة في الوطن العربي والعالم ، فتغيير مناهج التعليم ضرورة ليتواكب تعليمنا مع القرن الحادي والعشرين ، مع عصر الإنجازات العلمية الخارقة ، عصر ثورة المعرفة والمعلومات ، لابد أن تختلف مفردات التعليم فيه عن مفردات التعليم في القرن الماضي ، حيث استبدلت الطباشير بالإنترنت والفيس بوك والويكيبيديا وغيرها من مفردات العصر ، لا يمكن إذا كنا جادين في أن تتطور أمتنا العربية إلا أن تدخل عالم العلم ، وأن لا ترضى أن تعيش على هامش هذه الحياة التي نعيشها بكل مظاهر التطور ؛ أن تبدأ من تغيير وتطوير مناهج التعليم وأساليب التعليم ، لا يمكن أن نجعل من الطالب ذاكرة ك(الفلاش ميموري) لنختبر مدى إمكانية حفظه للمعلومات التي ربما تكون بعيدة عن واقعه ، وأعتقد أن الدكتور زويل يؤكد على هذه النقطة في لقاءات كثيرة ، حيث يرى أنها نقطة ملحة ، برؤية العالم الذي تلقى تعليمه في الشرق ، ثم انتقل إلى الغرب ليس فقط ليتعلم ، وإنما ليحتل مكانه في قمة هرم التقدم العلمي هناك .

والحقيقة أننا في وطننا العربي الكبير ، لا تجد إيمانا حقيقيا بدور العلم وأهميته في أن يكون لنا – كعرب – دور في العالم ، نسبة أميتنا عالية ،ميزانيات بحثنا العلمي هزيلة، ثقافتنا تحتاج لإعادة صياغة ، إذا سألت كثيرا من الآباء والأمهات الآن : ماذا تتمنى أن يصير ولدك مستقبلا ؟أو إذا سألت واحدا من الشباب أنفسهم ، سيجيبك بأنه يتمنى أن يصبح لاعب كرة شهير يجنى ملايين الدولارات من صفقات الانتقال للأندية الشهيرة ، أو مطربا محبوبا يجنى في الساعة الواحدة ما قد يحصل عالم عليه في عشرات السنين ، أو ربما في أحسن الأحوال تجد الحلم أن يصبح رجل أعمال يكسب المال من هنا وهناك ، يصدر ويستورد .. قلة قليلة هم الذين قد تصادفهم يخبروك بأمنيتهم أن يسلكوا طريق العلم والبحث العلمي .

ولأن المنتدى إعلامي ، تطرق العالم الكبير أحمد زويل – بعد تناوله لعدد من القضايا العلمية الهامة – لمشهد الإعلام العربي الذي تحتل التسلية والترفيه المكون الرئيسي فيه،

وقد أصاب التوصيف ، فمثلا من بين ما يزيد على أربعمائة قناة فضائية عربية ، تجد معظمها يدور على المضمون الترفيهي ، كقنوات الأفلام ، والمسلسلات والدراما ، وقنوات الأغاني ، وقنوات الشات ، وقنوات الرياضة ، وغيرها من القنوات التي تعمل على تحقيق وظيفة التسلية والترفيه ، لكن السؤال الذي أكرره على مسامع طلبتي دائما تعليقا على هذه الظاهرة : وهل الحياة تسلية وترفيه فقط ؟ وتسلية مِن ماذا ؟ أنا أدرك أن التسلية تكون حينما يعمل الإنسان أعمالا جادة كثيرة ، حينها يحتاج لإعادة شحن همته ، يحتاج لقسط من الراحة ، كما نحتاج فنجان القهوة لنواصل التركيز .

والذي يدقق في كلمة الدكتور زويل أمام المنتدى الإعلامي يدرك-إجمالا- أن الفجوة بين العرب وبين العالم كبيرة في الناحية العلمية ، ومالم نستيقظ من سباتنا فإن مستقبلنا ، بل وواقعنا في خطر كبير ، بقي أن أشير إلى اعتقادي بأن هناك – ربما – إرادة للتطوير والتغيير ، لكن السؤال الذي يطرح نفسه : ما حجم هذه الإرادة ؟ وما حدودها ؟ وما مستوياتها ؟ وأعتقد أن الإجابة على تلك التساؤلات تحدد ملامح أمتنا العربية في المستقبل القريب .

اللغة العربية بحروف لاتينية

الألمان من أشد الشعوب اعتزازا بلغتهم ، فهي لغة التعليم والتواصل في كل شيء ، ومن أراد الدراسة في إحدى جامعات ألمانيا ذات المستوى المتميز عليه أولا أن يتقن اللغة الألمانية ، كما أن الفرنسيين حريصون أشد الحرص على أن تكون اللغة الفرنسية السيادة المطلقة في التعاملات اليومية وفي أسماء المحلات والمتاجر والمجمعات التجارية الكبرى ، وقاموا بسن قانون يجرم استخدام اللغة الإنجليزية كأسماء للشركات والمتاجر ، لأنهم رأوا في زحف اللغة الإنجليزية طمسا للهوية الفرنسية وشكلا من أشكال (الغزو الثقافي) داخل الدولة الفرنسية .

أما نحن العرب فلغتنا الجميلة مظلومة بين أهل الضاد قبل غيرهم ، فبإطلالة واحدة على أسماء المحلات التجارية في إحدى المجمعات ستجد ٩٥٪ من هذه الأسماء هي أسماء لاتينية أجنبية حتى وإن كانت مملوكة لعرب ، وإذا كان من الطبيعي أن تكون أسماء الشركات العالمية التي تفتح فروعا لها في البلاد العربية بأسمائها الأم التي هي أجنبية ، لكن من غير المفهوم أن تكون الشركات وطنية عربية ، وتختار أسماءها بلغة غير عربية ، فيما يعرف عند البعض ب (عقدة الخواجة) ، والغريب أن هناك بعض الشركات والمتاجر التي تحمل اسما عربيا لكنها لا تكتبه بالحروف العربية ! فيما يعد إساءة خطيرة للغة شرفها الله تعالى بنزول آخر كتبه ومعجزة الإسلام الخالدة : القرآن الكريم .

قد يفهم أن تكتب تلك الأسماء بلغتين حتى يفهمها العربي وغير العربي ، أما أن يكتفى بلغة واحدة ، وتكون هذه اللغة ليست العربية فأراها تمثل إهانة لرمز مهم من رموزنا العربية وجزء أصيل من هويتنا وثقافتنا .

في بعض المدن العربية مثل دبي وغيرها من المدن إن لم تتقن الإنجليزية لا تستطيع الحياة أو التواصل مع الآخرين ، والعرب نفسهم يمثلون أقلية في مثل تلك المدن ، بل إن الإماراتيين يمثلون أقلية في دولة الإمارات العربية المتحدة ، حيث لا تتعدى نسبتهم ١١٪ من إجمالي من يعيشون عليها ، ولم يقف الأمر عند اللغة العربية التي تضيع بين اللغات واللهجات ، بل تتجاوزها إلى السلوكيات الغريبة ، واللافتات الغريبة ، فمثلا تقرأ في إحدى مجمعات دبي الشهيرة لافتة مكتوب عليها (ممنوع تبادل القبلات الساخنة في المجمع لأن ذلك مخالف للقانون !!) ولافتة أخرى مكتوب عليها (ممنوع ارتداء الثياب الساخنة، ويجب أن تغطي ملابس النساء منطقة الركبة!) وبطبيعة الحال لا يلتزم زوار المجمع

التجاري من الأجانب الذين تغص بهم المدينة بهذه اللافتات التي يمثل وجودها مشكلة في حد ذاته ، فما بالكم بعدم الاكتراث بها ؟!!

وفي الفيس بوك وغرف البالتوك ومواقع الدردشة ترى عجبا ، حيث يكتب الكثيرون الكلمات العربية بالحروف اللاتينية بعد أن تتعرض للتشويه طبعا ، أحدهم حدثني ذات مرة بتلك اللغة التي أبغضها ، فقلت له سؤال : طالما أنك تتكلم اللغة العربية ، فلماذا لا تكتبها بحروفها ؟ فقال لأن لوحة مفاتيحي لاتدعم اللغة العربية ! فقلت له إذن اكتب بالإنجليزية ..هكذا أفضل ، بدلا من تشويه لغتنا بتلك الحروف ، التي تجد عناء شديدا في فك طلاسمها .

إن لغة أي أمة هي جزء لا يتجزأ من هويتها وثقافتها ، وهوان اللغة في أي مجتمع بداية هوان في مناح كثيرة ، ولسنا أقل من الفرنسيين أو الألمان في الغيرة على لغتنا الجميلة .

الفصل الرابع

ثقافة الحوار



(1) حتى ينجح الحوار الوطني

لا تستقيم الحياة بدون حوار ، سواء على مستوى الوحدات الاجتماعية الصغيرة كالأسر والأصدقاء ، أو على مستوى الفرقاء السياسيين الذين لا مناص لهم عن الحوار للوصول إلى صيغة للتفاهم والتعايش المشترك ، لأن الحوار في نهاية المطاف هو الذي يحقق مصالح الجميع ، ولا شك أن الدعوة التي جددها جلالة الملك حمد عاهل مملكة البحرين للحوار في مطلع يوليو المقبل تأتي تجسيدا لهذه المعاني ، وإيمانا بأن الحوار هو النهاية المحتومة للأزمة التي مرت بها البلاد في الفترة الماضية .

والحوار قيمة إنسانية رفيعة الشأن إذا ما تم بالضوابط التي تجعله حوارا يتمثل قيما نبيلة مثل قبول الآخر ، وتجنب الجدال المؤدي إلى الشقاق والنزاع والتناحر ، ولذا لاقت الدعوة للحوار صدى طيبا لدى الأوساط الرسمية والدولية ، فقد رحبت الولايات المتحدة بالدعوة إلى الحوار ، ورحبت الأمم المتحدة على لسان أمينها العام بالخطوة ، وكان من جملة ثمار الدعوة إلى الحوار ورفع حالة السلامة الوطنية أن قرر المجلس العالمي لرياضة المحركات وضع البحرين في رزنامة الفورمولا ١ في العام ٢٠١١م وذلك في نهاية أكتوبر المقبل ، بما يعطي إشارة أن مجرد الدعوة إلى الحوار غير المشروط مؤشر جيد ..

وحتى يتحقق الحوار البناء ، وتتحقق أهدافه لابد أن لا يكون مشروطا من أي طرف من أطرافه ، وأن يتحلى المتحاورون بقواعد اللعبة السياسية ، أو بالأحرى بآداب الحوار البناء ، فالحوار ليس غاية في حد ذاته ، وإنما وسيلة للتقارب والتفاهم ، وأداة من أدوات التغلب على هموم الوطن ، و مواطن الخلاف ، فالاختلاف وارد في كل المجتمعات الإنسانية ، لأن الله تعالى لم يخلق الناس جميعا نسخا كربونية متشابهة ، حيث يقول تعالى (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ، إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)

لكن هناك مجالا لا يمكن الاختلاف بشأنه ، وهي العموميات والمبادئ العامة والأسس التي تقوم عليها سلامة المجتمع وقيمه ، وإذا حدث الاختلاف فيها صار خلافا مذموما، وكان مهددا لتماسك المجتمع بأسره ، حيث يقول الله تعالى أيضا : (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ، وبالتالي فلا يمكن الحوار حول تلك المبادئ العامة ، لا يمكن أن يتم الحوار حول أصل من أصول الدين، ولا حول قاعدة من قواعده الراسخة ، لا يمكن فتح نقاش حول حاجة المجتمع إلى العدالة والأمانة والصدق ، فتلك سمات أضحت من المسلمات التي لا تستقيم المجتمعات بدونها .

ومن آداب الحوار ما يلي :

أولا : الإخلاص والتجرد ، فلا يمكن الدخول إلى ساحة الحوار دون أن يضع المحاور مصلحة الجماعة نصب عينيه ، وأن يكون الإخلاص للوطن في حالة الحوار الوطني هو الشعار العام والعنوان الأكبر لساحة الحوار ، وأن يكون المتحاور متجردا عن الأهواء الذاتية أو الفردية أو الحزبية الضيقة، وأن لا ينظر إلى نفسه على أنه الذي يحتكر الحقيقة ، فيجب أن يدرك في قرارة نفسه أنه مجتهد في هذا الحوار ، والمجتهد يخطئ ويصيب ، وليس عيبا أن يخطئ ، فكل بني آدم خطاء ، بل العيب كل العيب أن يتمادى في خطئه وغيه ، ومن الشجاعة أن يعترف المخطئ بخطئه ، وهذا مما يجعله كبيرا في نظر المتحاورين ، وفي نظر القوى المجتمعية التي تراقب الحوار باعتباره عنق الزجاجة الذي ينبغي على الجميع تجاوزه ، وقد كان الإما م الشافعي يقول : ما جادلت أحدا إلا وددت أن يظهر الله الحق على لسانه ، وكان يدعو لخصمه بالتسديد ..وللحديث بقية .

حتى ينجح الحوار الوطني (2)

لا يمكن أن ينجح أي حوار وطني بين الفرقاء السياسيين إلا إذا توفر الإخلاص والرغبة في الوصول بالوطن إلى ساحة الأمان ، فلن ينجح حوار مع نية المراوغة المبيتة ، أو إذا تحول الحوار إلى عملية جدلية لا تهدف إلى أية تسوية ، وحتى ينجح الحوار – أي حوار – لابد له من آداب تلتزم بها كافة الأطراف المتحاورة ، أوردنا منها في المقال السابق توفر نية الإخلاص والتجرد من الأهواء الذاتية ، ومن تلك الآداب أيضا :

- توفر العلم في المحاور ، حتى يكون حاضر الحجة ، حاضر البديهة ، عالما بقواعد الحوار، مستخدما للأسلوب العلمي فيه ، يرتب النتائج ويبنيها على المقدمات ، لا يقفز على النتائج دون ذكر مقدماتها كما هو معروف في علم المنطق ، بمعنى أن يجيد منطق الكلام ، وكلام المنطق ، لا أن يقوم بالإسهاب في الكلام الإنشائي الذي لا طائل وراءه ، ويضيع أوقات المتحاورين سدى .
- التزام الصدق في الحوار ، بل وتحريه تحريا ، فيبتعد عن إيراد المعلومات المملوءة بالمغالطات والأكاذيب ، ويتجنب ذكر الشائعات على أنها حقائق ثابتة راسخة ، لأن الصدق دائما منجاة ، والكذب مرداة ، ولا يغرن الذين يكذبون أنهم يتمتعون بحسن ترتيب الأفكار ، فالكاذب كاذب ولو كان كلامه منمقا ، وما فتئ الكذب أن يكشف فينهار الحوار ، لأن ما بني على الكذب فهو باطل ، لذا فإن المحاور الصادق يجعل لكل كلمة يقولها قيمتها ووزنها في عملية الحوار .
- الأناة والصبر من كل الأطراف المتحاورة ، حيث أن المتحاورين قطعا سيتعرضون للاستماع إلى الأفكار المخالفة ، والذين يثورون أو يغضبون لسماع المخالف من الأفكار والآراء لا يصلحون لإقامة حوار فعال بناء يبتغي الوصول للأهداف السامية ، حتى وإن خالف المتحاور آداب الحوار عليه أن لا يفقد السيطرة على أعصابه بل يعالج الأمر بروية وتأن .
- احترام الطرف الآخر المتحاور مهما كانت الاختلافات بين سائر الأطراف ، لأن احترام الآخر والقبول بهذا الاختلاف يشكل أرضية صلبة لنجاح الحوار ، إن الذين يتحاور بعقله ليس له إلا أن يؤمن بأن للآخر ما له من حرية اعتناق ما يشاء من آراء ومعتقدات، ويحرص على أن لا يسفه بعض هذه الآراء ، وإن اختلف معها ، وقديما قالوا (إن الخلاف في الرأي لايفسد للود قضية) أو كما قال فولتير (قد لا نلتقي على رأي

أبدا ..لكنني أدافع بكل قوتي عن حقك في إبداء رأيك) .

إن الذين يعتقدون في الفكر الإقصائي الذي لا يعترف بالآخر يعانون من خلل منطقي وعقلي ، فالكون ليس لي وحدي ، كما أن ما فيه من موارد وهواء ومياه وشمس تكفي الجميع، المتحضرون فقط هم الذين يعترفون للآخر بحرية الاختلاف في الرأي ، والجهال هم الذين يصفعون الآخرين على وجوههم في البرامج التي يدعون أنها (حوارية) في القنوات الفضائية التي يسمونها (إعلاما) وهي بعيدة كل البعد عن الإعلام وضوابطه وغاياته وأهدافه ، ولعل القارئ إذا قام بعملية بحث في (يوتيوب) مثلا سيجد حوارات تتم في بعض تلك البرامج بالكراسي ، وبالصفع على الوجه ، وبالألفاظ النابية ، فبالله عليكم : هل هذا يسمى (حوارا) ؟!! .

حتى ينجح الحوار الوطني (3)

لا يمكن أن يكون الحوار غاية في حد ذاته ، وإنما هو وسيلة لتحقيق توافق مجتمعي على مجموعة من الثوابت ، ومحاولة لتوضيح وجهات النظر وتقريبها للالتقاء على كلمة سواء تضمن تحقيق مصلحة الجميع ، هذا في الحوار بشكل عام ، وإذا كان الحوار حول عدد من القضايا السياسية المصيرية فإنه لابد من أن يراعي المتحاورون مجموعة من آداب الحوار أثناء عملية التحاور نفسها ، ومنها :

- الاتفاق على الثوابت التي لا يمكن المساس بها بين كل الأطراف المتحاورة ، فلابد من تحديد الأصل الذي ينبغي أن يركن المتحاورون إليه عند الاختلاف ، الذي ربما يكون شخصا أو نصا أو وثيقة حتى لا يضيع الوقت ويتبدد في الحديث عن أشياء لا تقبل المساومة ولا أنصاف الحلول ، مثل المساس بأمن المجتمع واستقراره .
- البدء بنقاط الاتفاق ، وتأجيل نقاط الاختلاف إلى نهاية الحوار ، وهو ما يقرب الهوة بين المتحاورين ، ويوثق بينهم الصلات ، ويجعلهم يقبلون على الحوار بأنفس طيبة ، وإدراك بأن لدينا الكثير مما يجمعنا أكثر مما يفرقنا ، ويجعل سائر الأطراف قادرة على الدخول في عمليات تدفع إلى التنازل أو عدم التشدد في المواقف الذي يضر بالحوار، وقد يؤدي به إلى الانهيار .
- تحديد وتوحيد المصطلحات كلما أمكن ذلك ، حتى يكون للكلمة الواحدة نفس المدلول عند المتحاورين ، وهذا مما يسهل عملية الحوار ، وحتى لا ينشغل المتحاورون بتحديد مفاهيم بعض الكلمات ويغفلوا القضية الرئيسية للحوار .
- التحديد المسبق لنقاط الحوار وموضوعاته ، بمعنى أن تتوفر للحوار أجندة أو جدول أعمال يلتزم سائر الأطراف به ، وذلك أمر بدهي ، لأنه من العبث أن يجلس المتحاورون دون أن يحددوا موضوعات حوارهم ، وكلما عن لأحد مسألة خاض فيها .
- الالتزام بالقول الحسن ، حتى يكون المتحاور منصفا ، كما أن للكلمة الطيبة وقع لدى سامعيها حتى لو كان خصما ، وربما تحول الخصم إلى صديق حميم على حد ما جاء في القرآن الكريم (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ).

أما الذين يملؤون حديثهم بعبارات الاستهزاء واللمز والسباب فإنهم لا يصلون إلى

نتيجة مرضية ، ولا يحققون غاية ، كذلك فإن العبارات المستفزة تحمل في طياتها عوامل انهيار الحوار ، ومعاول هدم الاتفاق والتقارب .

- حسن الاستماع من الطرف الآخر ، وتجنب المقاطعة حتى ينتهي من إيراد فكرته ، طالما أنه التزم بالوقت المحدد له ، ويتحدث في صلب الموضوع المتفق عليه ، والذين يقاطعون الآخرين هم الضعفاء الذين لا يجيدون فن الإصغاء للآخر ، حيث أن الإصغاء فن له قواعده ومواطنه ، والأذكياء هم الذين يعرفون متى يتكلمون ومتى ينصتون ، كما أن الاستماع يجنب التكرار ، ويحقق التفاهم بين أطراف الحوار ، ويعطي الفرصة للجميع أن تكتمل لديهم فكرة الشخصية المتحدثة ، أما المقاطعة فإنها تسبب ضجرا لدى المتحدث ، وتضيع الوقت ، كما قد تكون سببا للقطيعة أو فشل الحوار ، ويشترط لعدم المقاطعة أن يلتزم المتحدث بالوقت المحدد ، حتى لا يستأثر أحد بالحديث وحده دون بقية المتحاورين.

إن الحوار عملية ديناميكية لها ملابساتها وظروفها وبيئتها التي يجب أن تهيأ لقبول الحوار ، وقبول ما يسفر عنه من توافقات .

ثقافة الحوار أم ثقافة الكراهية ؟

الفضيلة دائما كما يقول الفلاسفة وسط بين متطرفين ، ففضيلة الشجاعة وسطٌ بين كل من التهور والجبن ، وفضيلة الكرم وسطٌ بين كل من البخل والإسراف ، ولا شك أن الإنسان المعتدل في فكره وسلوكه يمثل الفضيلة التي تتغلب على ما سواها من قيم التطرف أو التساهل ..وهو الذي يقبل الحوار مع الآخر ويعترف بوجوده ..

كان هذا جزءا من تعليق لي على حوار ونقاش في موقع الفيس بوك تعليقا على مقالات كتبتها سابقا عن الحوار وآدابه وثوابته وآلياته ، وقد لاحظت أن موقف القراء من فكرة طرح الحوار التي تبنتها قيادة البحرين في هذا التوقيت تنحصر في اتجاهين :

الاتجاه الأول : يرحب بالحوار الوطني ويعول عليه كثيرا في حلحلة القضايا السياسية في هذا التوقيت المهم من تاريخ مملكة البحرين ، بغض النظر عن ما ستسفر عنه جولات الحوار المتوقعة ، كون الحوار في حد ذاته قيمة حضارية هامة في مواجهة تعقيدات الموقف السياسي ، كما يثمن أصحاب هذا الاتجاه أن يكون على رأس عملية الحوار رئيس مجلس النواب ، وأن اختياره يحمل قدرا كبيرا من الذكاء كونه يترأس المؤسسة الوطنية التي تعبر رسميا عن الشعب البحريني بكل أطيافه السياسية .

والاتجاه الثاني : يتشكك في عملية الحوار ، ويراهن على فشله ، ويشكك في شرعية تمثيل رئيس مجلس النواب للشعب البحريني ، بل يشكك في شرعية تمثيل المجلس بأكمله للمجتمع البحريني ، ويغلب النظرة التشاؤمية (نصف الكوب الفارغ) فيما يتعلق بقضية الحوار الوطني .

والواقع أننا في مجتمعاتنا العربية نحتاج إلى إشاعة ثقافة الحوار بشكل عام ، لأن الأمم المتحضرة وحدها هي التي تسطيع الوصول إلى مبتغاها عن طريق الحوار وقبول الآخر أيا كان هذا الآخر ، الآخر السياسي والديني والمذهبي والثقافي والاجتماعي ، وأن لا يكون التشدد في مواجهة الآخر والتطرف في إصدار الأحكام عليه هو وسيلتنا لتحقيق بعض المكاسب الزائفة .

خطورة ظاهرة التشدد والتطرف الفكري في المجتمع أنها تحمل قيما سلبية متعددة ، وتكرس لمفهوم الحق المطلق ، واحتكار الحقيقة ، وتنطوي على محاولات (إقصاء الآخر) من الساحة الفكرية والثقافية ، بادعاء أن رأي الآخر دائما خطأ ، فالتطرف من وجهة نظر ثقافية يمثل صورة من صور الاستبداد العقلي في فترة من التطور البشري يعلي من قيم

الحوار والديمقراطية – ولو على المستوى النظري – والحوار مع الآخر ، ومحاولة الالتقاء معه ، وتعزيز المشترك بين الأنا والآخر .

ومع تعدد أشكال وسائل الإعلام وتطورها تطورا كبيرا في المرحلة الراهنة ، توجه الاتهامات إليها بين الفينة والأخرى بأنها مسئولة عن انتشار ثقافة التطرف ، وذلك لأسباب كثيرة قد يكون منها غياب أو نقص الكفاءات المهنية القادرة على توجيه المجتمع وطرح قضاياه بموضوعية وحرفية ، وقد يكون منها أيضا سهولة الحصول على منبر إعلامي لنشر الأفكار المتطرفة في القرية الإعلامية الصغيرة التي تنبأ بها عالم الاتصال الكندي الشهير (مارشال ماكلوهان) بفعل الثورة المعرفية وانفجار المعلومات وظهور شبكة الإنترنت .

إن وسائل الإعلام بكل أشكالها يفترض أن تلعب دورا إيجابيا في نشر ثقافة الحوار ، لا أن تكون أداة من أدوات نشر ثقافة الإقصاء التي بدورها تقود إلى نشر ثقافة الكراهية، وإذا كان هذا هو الدور المنوط بها في كل الأوقات ، فإنها في تلك المرحلة الراهنة أكثر إلحاحا ..إننا نتطلع إلى إعلام يبني ولا يهدم ، ويجمع ولا يفرق .

المكون الديني والمذهبي في الصراعات

هل ستصدق نبوءة الكاتب الأمريكي صموئيل هنتنجتون صاحب مقولة وكتاب (صدام الحضارات) في تفسير الصراعات الإنسانية في القرن الحالي ؟ وهل الأصل أن تكون العلاقة بين الحضارات المتعددة علاقة تضاد وعداء ؟ ألا يمكن التعايش في ظل تعدد حضاري وثقافي وديني ؟ أعتقد أن مثل تلك التساؤلات تعيد طرح نفسها على خلفية زيادة التوتر والانغلاق بين الحضارات المتعددة في عالمنا اليوم ، بل بين منتسبي الحضارة الواحدة.

وقد قام هنتنجتون بتقسيم العالم إلى سبع حضارات رئيسة مائزة ، أهممها الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية والحضارة الكونفوشيوسية ، وقد لاقى هذا التصنيف انتقادات عديدة حيث أنه لم يعتمد معيارا واحدا لتسمية الحضارة ، فبينما تنسب الحضارة الغربية لـ(جهة) هي الغرب ، فإن الحضارة الإسلامية تنسب لـ(دين) على سبيل المثال، كما أن نظريته عن الصدام قامت بظلم الحضارة الإسلامية ظلما بينا ، حيث زعم أن حدود الحضارة الإسلامية مع ما يجاورها من الحضارات الأخرى (حدودا دموية)، مستشهدا بالصراع في فلسطين وغيرها ، متجاهلا كل الحقائق والمعلومات الواضحة كالشمس في رابعة النهار التي تلقي بكل اللائمة على إشعال الحروب التي عانى ويعاني منها العالم الإسلامي على الحضارة الغربية نفسها بقيادة دولة المركز فيها ، وهي الولايات المتحدة الأمريكية .

كما زعم أن الديمقراطية لا تناسب العالم الإسلامي ، حيث أنها وفق زعمه تأتي بالمتطرفين والمتشددين إلى السلطة ! وقد قام عدد كبير من المفكرين المسلمين وأساتذة العلوم السياسية بتفنيد المزاعم التي أوردها هنتنجتون في كتابه ، ولاقت رواجا كبيرا على مستوى العالم .

لكني أقف عند جزئية بروز المكون الديني في الصراعات الإنسانية بشكل عام ، وأعتقد أنه كان محقا في رصده لواقع معظم الصراعات التي تتغذى على إيقاظ النعرات الدينية والمذهبية والطائفية ، دون أن ننسب الأمر للدين أو المذهب فالأديان السماوية كلها تنادي بتحقيق العدل والكرامة الإنسانية ، كما أن المذاهب والتيارات الفكرية داخل الدين الواحد هدفها التيسير أو التنوع ، وليس هدفها تعميق الانشقاق وإقامة معارك جدلية بين تلك المذاهب .

ولا عجب في ذلك ، فالذين يثيرون تلك الصراعات يدبرون لاستغلال واحدة من أقوى

العواطف الإنسانية ، وهي العاطفة الدينية في عمليات الحشد والتعبئة ، إلى حد الإعلان عن الجهاد الإلكتروني في مواجهة المد المذهبي أو الطائفي ، كما أن تأييد أحد الأطراف على حساب الآخر يرجع إلى اعتبارات دينية ومذهبية في الأساس دون إمعان النظر في فحوى النزاع ، ومنطقية سير الأحداث .

وبمنطق هنتنجتون يمكن فهم دفاع إيران وحزب الله الذين ينتميان إلى المذهب الشيعي إلى جانب سوريا التي تنتسب قيادتها إلى العلويين ، وإلى دفاع إيران عن قضية الحوثيين في اليمن سابقا ، وعن المحتجين في البحرين ، وبنفس المنطق يمكن فهم المساندة السعودية لملكة البحرين في مواجهة تلك الاحتجاجات ، ومساندتها للنظام اليمني في مواجهة التمرد الحوثي من قبل ، حيث يلعب المكون المذهبي هنا عنصرا حاكما في تحديد المواقف السياسية للأنظمة التي تعبر عن هذا المذهب أو ذاك .

إن نشأة صراعات مذهبية داخل الحضارة الواحدة ، يمثل عامل ضعف على مقومات تلك الحضارة بشكل عام ، وبدلا من توحيد الجهود والاصطفاف في جبهة واحدة ضد الأعداء الحقيقيين نقوم بتبديد جهودنا وإقامة المعارك الافتراضية ، والمستفيد الأول والوحيد هم أعداء الحضارة الإسلامية والمتربصين بها .

ثقافة التسامح

يحتاج المجتمع البحريني الآن وأكثر من أي وقت مضى لأن يعيد هذه الكلمة إلى قاموس حياته (التسامح) ، وحتى لا يسئ البعض فهم ما قصدت في مستهل هذا المقال أؤكد على أن التسامح شيء مختلف تماما عن التساهل مع مرتكبي الجرائم أيا كانت انتماءاتهم، حيث لابد للقانون أن يسود في تحديد العلاقة بين أفراد وفئات المجتمع ، وفي ذلك قوة للجميع ، وضمانة لاستقرار المجتمع بشكل عام .

وما أراه مطلبا ملحا في هذه الآونة ، أن توضع العديد من البرامج والفعاليات التي تشيع ثقافة التسامح في المجتمع البحريني بعد كل حملات الإساءة عبر التويتر والفيس بوك والإنترنت والبلاك بيري، لأن تلك الحملات تقوض كافة الجهود المخلصة لتجاوز الأزمة ، ولأنها لا تفيد أي طرف ، بل هي تسئ لمن يقوم بها ويخطط لها ويعمل على تنفيذها .

التسامح ثقافة مجتمع لها جذورها بفضل الله في مملكة البحرين ، هذه المملكة الصغيرة جغرافيا ، الكبيرة بأبنائها المخلصين قادة وشعبا ، وما حملات الإساءة الإلكترونية إلا كزوبعة في فنجان كما يقولون لا يمكن أن تنال من سجية شعب تنفس التسامح ، وتقاسم أجمل مشاعر الود مع من يشاطرونه الوطن .

لا يمكن مثلا أن نفسر ما فعله نبينا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة فاتحا منتصرا من تسامحه مع من هددوا حياته ، وتآمروا على قتله مرات ، وجلسوا يتباحثون في أفضل طريقة لتصفيته وإنهاء حياته ، على أنه استسلام أو ضعف أو خنوع، حين قال لهم وهو قادر على إنزال صنوف العقاب بهم : ما تظنون أني فاعل بكم ؟ والحقيقة أنهم أدركوا حينها أنهم أخطئوا ، وقدموا ما يمكن اعتباره اعتذارا ضمنيا ، واستنهاضا لروح الأخلاق الزكية لدى القائد المنتصر حين قالوا أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال لهم (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) ، (اذهبوا فأنتم الطلقاء) .

وهكذا يكون النبلاء الذين يترفعون عن إلحاق الأذى بمن تعرض لهم بالإساءة ، وليس كلهم يقدر على ذلك ، فمقابلة الإساءة بالإحسان كانت دائما مفخرة من مفاخر العرب ، وفضيلة من فضائل الأخلاق لديهم .

وهنا يأتي دور منظمات المجتمع المدني التي لابد أن تبادر بإعداد الفعاليات والحملات التي تهدف إلى إحياء ثقافة التسامح في المجتمع البحريني ، إدراكا منها بأن تآكل تلك القيمة في أي مجتمع ينذر بعواقب وخيمة على المجموع ، فلتهدأ حملات الإساءات ،

ولتستبدل بحملات تشيع ثقافة التسامح واحترام الآخر المختلف ، ولتقم بعض المنظمات بإعداد ميثاق شرف مجتمعي يطبقه الجميع ، ولتخصص الدولة الجوائز لأكثر تلك المنظمات استجابة لنشر ثقافة التسامح في المجتمع ، لنحافظ على لحمة المجتمع وكيانه أمام عاصفة الإساءات .

من وجهة نظر سيكولوجية فإن الإنسان المتسامح مع الآخرين واثق بنفسه ، يختلج قلبه بمشاعر الرضا عن النفس وتقدير الذات ، أما الذي لا يقوى على التسامح فلديه بعض المشكلات النفسية المتعلقة بمستوى ثقته بذاته ، وثقته بمن يجاورونه أو يرافقونه .

ما أقسى أن يهدم بيت من أركانه بسبب أزمة سياسية قد تكون عابرة ، وبسبب غياب ثقافة التسامح وقبول الآخر ، وما أظلم أن يوصم شعب البحرين ذو التاريخ العريض في مجال التسامح والتعايش المشترك بين طوائفه بأن قيمة التسامح لديه قد تآكلت ، ما هكذا شعب البحرين .

إشكالية الخطاب الديني المتشدد

الأصل في الخطاب الديني أن يدعو إلى التسامح ، والتراحم ، والاعتصام بحبل الله، وكافة القيم الأخلاقية والإيمانية ، وأن يقدم وجهة نظر الشرع الحنيف – بالحكمة والموعظة الحسنة – نحو المشاكل الاجتماعية والدينية ، ويحث الجماهير إلى التذرع بأخلاقيات الإسلام السمحة في كل مناحي الحياة ، أما أن ينزلق إلى الدعوات المتشددة ، أو أن يحرض على العنف ، فهو ما يفقد الخطاب الديني مكانته السامية ، بل ويسئ للدين ذاته من خلال تقديم الأفهام المغلوطة حول حقائق الدين .

ومشكلة الخطاب الديني المتشدد أنه يتستر بقداسة الأديان ، ويستغل العاطفة الدينية التي هي من أقوى أنواع العواطف في مجتمعاتنا لتمرير هذه الأفكار التي تعمل عملها الهدام في المجتمع ، تصل في بعض الأحيان إلى اعتقاد الجماهير أن مجرد مناقشة (الشيخ) في مضمون كلامه يعد تجرؤا على شرع الله ، ومنافيا للتعاليم الدينية ، وحين تفكر الجماهير بهذا الأسلوب فإن خطأ فادحا يرتكب في حق مسألة التدين برمتها ، إذ كان نبي الإسلام سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – يناقش أصحابه في أمور الحياة ، وكانوا يراجعونه في بعض الأمور ، بل كان يطلب هو منهم ذلك كما حدث في موقع المسلمين في غزوة بدر على سبيل المثال ، وقد كان يفعل ذلك ليعَلِّم هذه الأمة أن الشريعة تسمح بمجال من الاجتهاد فيما ليس فيه نص قاطع ، وأن قيمة العقل في الإسلام قيمة عظيمة ، حتى لا يتحول الأتباع إلى مجرد (قطيع) ينقادون دون تبصر أو تدبر فيما يفعلونه ، فإذا كان هذا هو الحال مع نبينا العظيم فكيف يكون الحال مع سواه ، ومعلوم أن كل إنسان – سوى النبي الكريم – يؤخذ منه ويرد ، فالأولى أن يرد الخطاب المتشدد إلى صاحبه ، لأنه خطاب يخرج عن جوهر الدين الحنيف .

وقد خلت أوامر الشريعة الغراء من كل ما يدعو إلى الشقاق والفرقة ، ناهيك عن الدعوة إلى التحريض على القتل أو توجيه الإيذاء للآخرين ، الذي يخرج من كونه خطابا دينيا إلى كونه خطابا تحريضيا لا يمت لصحيح الدين بصلة ، فلم تقم الدعوة الإسلامية أبدا على الهجوم على الآخرين ، ولا يتصور أن الدعوات المتشددة تخدم مسألة التدين بحال من الأحوال ، ومن هنا وجب التصدي للمنابر التي تصر على استخدام هذه اللغة من الخطاب ، حفاظا على قداسة ومنزلة الدين ، ومهمة التصدي هنا فكرية بالأساس ، حيث تُقارع الحجة بالحجة ، وتُكشف الحقائق للناس ، حتى يميزوا الخبيث من الطيب ،

والصحيح من السقيم .

وأيا ما كان موقع الخطاب الديني المتشدد ، ومكانه ، فإن محاصرته واجب المجتمع بشكل عام ، وواجب النخبة بشكل خاص ، ودور العبادة لابد أن لا تكون سوى للعبادة ، وتقديم النصح والمواعظ الإيمانية والحياتية ، ولا يمكن أن تتحول الجوامع والمساجد - وكافة دور العبادة على اختلاف مسمياتها - إلى أحزاب سياسية تروج للمصالح السياسية الضيقة ، أو تقوم ببث قيم التشدد ونبذ الآخر ، فلم يكن رسولنا صلى الله عليه وسلم يواجه مخالفيه ، وحتى الذين هم ألد أعدائه ، إلا بالدعاء لهم (اللهم اغفر لقومي ، فإنهم لا يعلمون) .

لم يكن الرسول سنيا ولا شيعيا !

« لم يكن الرسول سنيا ولا شيعيا ، وإنما كان مسلما ، فلتكونوا مسلمين ، ثم ليكن أحدكم سنيا أو شيعيا بعد ذلك ، فإن روح الإسلام الحقة كفيلة بتصافيكم وتدانيكم ، وكونوا مجتمعا متراصا ، لا جماعات متنابذة متخاذلة إذا شئتم لأنفسكم حياة كريمة عامرة ، وكفانا تباغضا يا قوم !! » .

هذه الخمسين كلمة السابقة هي ما ختم بها حسن الجشي أحد رواد الصحافة البحرينية مقالة له في مجلة(صوت البحرين) بعنوان « الطائفية علتنا الكبرى » بتاريخ أكتوبر ١٩٥٠ م ، أي منذ أكثر من ستين عاما خلت ، وذلك بعد بروز بعض التلاسن الطائفي عقب انتخابات مجالس البلدية ، التي قال فيها الجشي إن العنصر الطائفي دس أنفه فيها ، وحرك فتنا خامدة ، وزاد شقة الخلاف اتساعا .

وتشير الكلمات السابقة التي وردت في كتاب أصدرته هيئة شئون الإعلام جمعت فيه عددا من مقالات الجشي في سلسلة كتب عن (رواد الصحافة البحرينية) إلى الدلائل التالية :

أولا : أن المجتمع البحريني لم يحرم ممن يريدون صلاح هذا الوطن وتماسك أبنائه من العقلاء الذين لا يدخرون وسعا في محاولات لم الشمل قديما وحديثا ، وقد أوردت لنا الصحف محاولات النائب أحمد الساعاتي عضو كتلة البحرين النيابية وزملاؤه في الكتلة، لتقديم مبادرات إيجابية لرأب الصدع بين طوائف المجتمع البحريني بعد اجتماع تم بين الكتلة وبين وفد مكتب الأمم المتحدة الإنمائي للاستفادة من خبراتهم في المعالجة الاجتماعية للتقوقع الطائفي .

وقد أعلنت الكتلة التي تضم بين أعضائها نوابا من كل من الطائفتين الكريمتين عن إقامة فعالية كبيرة في شهر مارس الحالي ، وحتى إن لم تلق ذلك التجاوب الكبير المنشود إلا أنه تبقى للمبادرات قيمتها ، وتقديرها .

ثانيا : أن نخبة المجتمع البحريني كانوا يعتقدون أن الإسلام كدين سماوي يأمر أتباعه بالوحدة والالتفاف حول كتابه ، وإن من لم يفهم الإسلام على حقيقته فقط هو الذي يقوم بعمليات الفرقة بين مجتمع المسلمين ، التي هي ليست من صحيح الدين في شيئ .

ثالثا : يثار تساؤل حول دور المجتمع المدني الفاعل في المجتمع البحريني ، فكثير من جمعيات ومنظمات المجتمع المدني التي تنتشر في ربوع المملكة لم تقم بعد بواجبها تجاه تلك

القضية ، ولم تدلِ بدلوها في ملف المصالحة ، خاصة وأن الأجواء الآن مهيئة أكثر من أي وقت مضى من عقد مثل تلك المصالحات بين جناحي الوطن ،كما كان يفعل عقلاء الأمة قديما ،خاصة بعدما تبين لكثير من أتباع الطائفتين أن ما حدث كان امتحانا قاسيا، وأن الأمور بدأت تعود إلى نصابها الصحيح بعد أن أعادت الدولة جانبا كبيرا من هيبة القانون.

رابعا : يشير الاقتباس الذي صدرت به هذا المقال إلى أن (الطائفية) هي إحدى الأمراض القدرية التي ابتلي بها المجتمع ، وأن جذورها قديمة ، وأن آثارها السلبية تظهر مع ظهور فئة المستفيدين من تأزيم الأوضاع ، كالحصول على أصوات أكبر في انتخابات بلدية أو نيابية ، أو الحصول على مكاسب أكبر من خلال إثارة النعرات الطائفية ..لكن تاريخ وحاضر البحرين ومستقبلها دائما ما يلقي بالنافخين في الأزمات جانبا ..لتسير ركب الحياة لمن يرضى بالتعايش وطنا .

الفصل الخامس

عصر النيو ميديا



تعليقات القراء
في الصحافة الإلكترونية

حينما يكتب أحد الكتاب مقالا حول قضية تهم قطاعا عريضا من القراء ، أو حول قضية حساسة ، أو مثيرة للجدل ، فإن نسبة القراء لا شك تكون كبيرة ، خاصة إذا كان المقال منشورا في صحيفة هامة يقرؤها عشرات الآلاف من القراء أو حتى بضعة ملايين كما هو الحال في (الصحافة المليونية) التي يتخطى حاجز توزيعها المليون نسخة ، وحينما ينشر هذا المقال على موقع الصحيفة في شبكة الإنترنت ، ويسمح للقراء بالتعليق على المقال كما هو الحال في الصحف الأجنبية الشهيرة ، وفي غالبية الصحف العربية الكبرى الآن ، فإن القارئ يجد متعة في قراءة المقال ، ويجد متعة أخرى حينما يتصفح تعليقات القراء على المقال ربما تفوق متعة قراءة المقال نفسه ، وذلك لأن القارئ لديه الرغبة والدافع في التعرف على ما يفكر فيه الآخرون ، والتعرف على رد فعل الآخرين تجاه الأفكار الواردة في المقال .

هناك على سبيل المثال مقال كاتب عمود الشئون الخارجية في جريدة الـ (نيويورك تايمز) الأمريكية (توماس فريدمان) المعروف بتوجهاته اليهودية ، وأفكاره التي حتما يختلف القارئ العربي معها ، وتعيد جريدة الشرق الأوسط اللندنية نشرها ، وتتيح للقراء إمكانية التعليق عليها ، تجده حينما يكتب عن قضية فلسطين ، وحينما يسخر من تمسك الفلسطينيين بأشجار الزيتون في الوقت الذي اقتحم الإنسان عالم الفضاء ، وصعد إلى القمر والمريخ (ولا أدري ما العلاقة بين القضيتين !!) وتقرأ تعليقات القراء على المقال تجد متعة خاصة ، وتستطيع أن تتعرف على الرأي العام العربي بشكل مبدئي ، وهو الأمر الذي أفرزته التكنولوجيا الحديثة في عالم الصحافة ، حيث وفرت الصحافة الإلكترونية الاتصال ثنائي الاتجاه ، من الصحفي للقراء ، ومن القراء للصحفي والصحيفة ضمن جملة من المزايا والإمكانيات الخاصة بالصحف الإلكترونية .

ولا أزال أذكر أيام الشحن المصري الجزائري قبيل مباراة فريقيهما في كرة القدم في تصفيات كأس العالم ، وكأس الأمم الأفريقية ، تجد التعصب بأعلى مستوياته في تعليقات بعض القراء ، ولا تحرم من وجود أصوات عاقلة من الطرفين تدعو إلى الروية والهدوء ، ووضع الأمور في نصابها الصحيح ، أحيانا يقبل القراء على قراءة التعليقات المكتوبة بأقلام القراء دون أن يهتموا بقراءة المقال أو الموضوع الأصلي الذي يعلقون عليه ، وذلك

بدافع الرغبة في التعرف على ما يعتقده الآخرون ، أو تدعيم الأفكار الخاصة به حينما يعلم أن كثيرين يشاطرونه وجهة نظره .

من أظرف التعليقات التي قرأتها في هذا السياق ، ما قامت به قارئة جزائرية صبيحة يوم مباراة المنتخب الجزائري مع المنتخب المصري في الدور قبل النهائي في كأس الأمم الأفريقية في يناير ٢٠١٠ م ، حينما علقت على خبر خاص بالمباراة في جريدة (المصري اليوم) اليومية المصرية المستقلة ، في الموقع الإلكتروني الخاص بها ، ورأيت بالفعل صوتا هادئا يطالب بتدعيم أواصر المحبة عميقة الجذور بين البلد العربي الكبير (مصر أم الدنيا) وبين البلد العربي الرائع (الجزائر بلد المليون شهيد) ، كما ثمنت جهود الإعلام المصري المصاحب لمباريات كأس أفريقيا ، وأنه أفضل حالا بكثير من موقفه من تصفيات كأس العالم ، ولك عزيزي القارئ أن تتخيل تعليقات القراء المصريين حينما ختمت القارئة الجزائرية تعليقها بالقول : ولكن ليسمح لي المصريون : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم (وهو دعاء يدعو به المضطر في أوقات الشدة) أن يفوز المنتخب الجزائري على المنتخب المصري ! ، ولم يستجب الله لدعائها لأن الجزائر هزمت ليلتها صفر مقابل أربعة أهداف لمصر ، وطرد ثلاثة من لاعبيها .

الشباب ... والفيس بوك

صعب أن تجد واحدا من الشباب اليوم لا يعرف الفيس بوك أو لم يسمع به ، بخلاف فئة غير قليلة من الشباب تقضي أوقاتا كثيفة عليه ، خاصة بعد يسر الدخول إلى الويب من خلال الهاتف النقال أو البلاك بيري .

ولم يكن (مارك زوكربيرج) مؤسس الفيس بوك في عام ٢٠٠٤م يحلم أن يكون هذا الموقع سيأخذ كل هذا الاهتمام من الشباب حول العالم ، و كان مارك طالبا في جامعة هارفارد الأمريكية ، وكان مشهورا بولعه الشديد بالإنترنت ، وكان هدفه أن يقوم بتصميم موقع يجمع زملاءه في الجامعة ويمكنهم من تبادل أخبارهم وصورهم وآرائهم ، ويسهل عملية التواصل بينهم ، دون أن يفكر في إنشاء موقع تجاري يجتذب الإعلانات ، وسرعان ما لقي هذا الموقع رواجا بين طلبة جامعة هارفارد ، واكتسب شعبية واسعة بينهم ، الأمر الذي شجعه إلى توسيع قاعدة من يحق لهم الدخول إلى الموقع لتشمل طلبة جامعات أخرى أوطلبة مدارس ثانوية يسعون إلى التعرف على الحياة الجامعية ، واستمر موقع فيس بوك قاصرا على طلاب الجامعات والمدارس الثانوية لمدة سنتين ، وفي سبتمبر ٢٠٠٦م قرر جوكربيرج أن يفتح أبواب موقعه أمام كل من يرغب في استخدامه ، وكانت النتيجة طفرة كبيرة في عدد مستخدمي الموقع ، وفي أكتوبر ٢٠٠٧ م اشترت شركة مايكروسوفت حصة في الفيس بوك نسبتها ١،٦٪ بقيمة ٢٤٠ مليون دولار ، وهي الشريك الحصري للإعلان في الموقع .

وهو موقع للتواصل الاجتماعي يمكن المستخدمين من التعرف على الأصدقاء والبحث عنهم ، وتبادل الحوارات الافتراضية حول العديد من الأشياء ، وربما القضايا .

أما عن استخداماته على المستوى العربي فإن غالبية المستخدمين ينشئون حسابات لهم بأسماء مستعارة ، حتى يتمكنوا من كتابة وإرفاق ما يشاءون من النصوص والصور دون حرج ممن يعرفونهم في الحياة الحقيقية ، وهو الأمر الذي توفره المجتمعات الافتراضية بكافة أشكالها وصورها على شبكة الإنترنت ، ومنها الفيس بوك ، وكثير من هؤلاء يبحث عن صديق من الجنس الآخر ليقيم معه علاقة افتراضية قد تتعدى العالم الافتراضي إلى عالم الواقع ، أو يمارسون (التسكع) في المجتمع الافتراضي كما يمارسونه في الواقع ، أو يكسرون به قيودا مفروضة عليهم في عالم الواقع (أحد الأزواج ضبط متلبسا بمعاكسة البنات على الفيس بوك على يد زوجته ، فأجبرته على إغلاق حسابه على الفور !) وآخرون

يقيمون حسابات بأسمائهم الحقيقية ليظهرون الجانب الجاد من شخصياتهم ، وحساب آخر باسم مستعار ليطبقوا فيه مقولة بيل جيتس الشهيرة (على الإنترنت لا أحد يعرف أنك كلب !!) .

بعض الشباب ينشئون مجموعات ذات هدف إيجابي كتلك المجموعات التعليمية التي تجمع طلاب جامعة واحدة أو مدرسة بعينها ، أو طلاب تخصص معين ، والمجموعات ذات الاهتمامات الوطنية ، التي ترفع شعارات مثل (وطن لا تحميه ، لا تستحق العيش فيه) كما فعل بعض الشباب في مملكة البحرين كرفض لبعض مظاهر التخريب والشغب التي لا تراعي حرمة الوطن ، أو مجموعات تجتمع على فكرة ذات دلالات إنسانية مثل إقامة سرادق عزاء إلكتروني للأستاذ الكبير محمد البنكي رحمه الله ، أو مجموعات تقوم على أفكار دينية مثل تجديد الدعوات لمقاطعة بضائع الدول المسيئة للإسلام ورموزه ، أو الدعوة لنصرة المسلمين ،كما يستخدم الفيس بوك في المجال السياسي ، وهو موضوع المقال التالي.

السياسة والفيس بوك ..
إشكالية علاقة

الفيس بوك أزعج السياسيين في كثير من دول العالم ، وقامت بعض الدول بإغلاق الموقع كنتيجة للهجوم المستمر عليها من قبل أعضاء الشبكة الاجتماعية الذين يكونون مجموعات للدفاع عن قضايا بعينها ،كما يمكن توظيفه للدفاع عن القضايا الهامة.. وفي مملكة البحرين تنشط المجموعات التي تمارس حقها السياسي في التعبير عن الرأي ، آخر هذه المجموعات مجموعة بعنوان (أنا مو طائفي) التي أطلقها مجموعة من الشباب تعليقا على أحداث انتخابات مجلس الطلبة بجامعة البحرين ، وهي دعوة تنم عن ثقافة ووعي كبيرين ، دعوة لأن يكون اختيار المرشح – أيا كان موقعه – نابعا من كونه جديرا بهذا الموقع ، لا نابعا من كونه منتميا لطائفة بعينها . إن هذه المجموعة رغم بساطة شعارها إلا أنها يمكن أن تكون عاملا من عوامل النضج الفكري والسياسي ، أن يكون اختيارنا نابعا من قدرة على التقييم الدقيق ، ووضع الأمور في نصابها الصحيح ، أن نتناسى انتماءاتنا الضيقة ، ونفكر في انتمائنا الكبير لهذا الوطن الذي نتقاسم العيش فيه .

ومن أبرز الاستخدامات السياسية عربيا للفيس بوك ما قامت به فتاة مصرية تدعى (إسراء عبد الفتاح) حينما كانت ذات مساء تجلس في إحدى نوادي الإنترنت ، وخطر في بالها فكرة أن تقوم بتأسيس مجموعة جديدة (جروب) تدعو من خلاله إلى فكرة مجنونة نسبيا ، وهي الإضراب عن العمل يوم ٦ أبريل ٢٠٠٨م ، كنوع من الاحتجاج على بعض الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، أو بدافع التسلية وشغل الفراغ ، وكانت المفاجأة أن قام بالانضمام إلى المجموعة مائة ألف شاب مصري في غضون أيام قليلة ، وهو رقم رغم كثرته إلا أنه يبقى متواضعا إذا ما علمنا أن بمصر وحدها ثلاثة ملايين مستخدم للفيس بوك آنذاك ، وانتقلت الدعوة إلى الإضراب من الفيس بوك إلى المدونات والمنتديات النشطة ، ولم تكن الحكومة المصرية آنذاك- كغيرها من الحكومات - تقدر للفيس بوك قوته الحقيقية ، وأنه قادر على التغلغل بين أوساط الشباب بسرعة مذهلة ، فكانت النتيجة أن شهد يوم ٦ أبريل إضرابا جزئيا ، لكن بعض المناطق شهدت أعمال تخريب وشغب مثل مدينة المحلة الكبرى التي كانت قلعة صناعة النسيج ، وتناقلت وسائل الإعلام المصرية والعربية والعالمية تلك الأحداث بمزيد من الاهتمام ، وفجأة أصبحت إسراء عبد الفتاح ملء سمع وبصر الإعلام ووسائله بسبب فكرة راودتها وهي تتصفح حسابها ذات يوم على

الفيس بوك ، والغريب أنه تأسست حركة أطلقت على نفسها حركة شباب ٦ أبريل وتحتفل بهذا اليوم ـ على طريقتها طبعا ـ كل عام .

و في المغرب سقطت مئذنة مسجد على المصلين وهم يؤدون صلاة الجمعة في مدينة (مكناس) مؤخرا ، مما أوقع عشرات الشهداء ، وصرح بعدها وزير الأوقاف المغربي أن المساجد في المغرب لا تقوم الوزارة ببنائها ، وإنما فاعلو الخير هم الذين يشيدونها ، وكان هذا التصريح هو شرارة البدء لمجموعة قوية على الفيس بوك تطالب بإقالة الوزير، أو بمحاكمة فاعلي الخير الذين تسببوا في وقوع هذه الكارثة !! ومما يذكر أن المغرب بها نشاط سياسي قوي في وسائل الإعلام الجديدة وتطبيقاتها في الإنترنت .

إنني أنصح كل السياسيين والنواب أن يوظفوا الفيس بوك والإنترنت بشكل عام لخدمة القضايا الهامة ، والوصول إلى الشباب ، والتحاور معهم ، وإقناعهم بجدوى الأفكار النيرة القادرة على الدخول بنا إلى المستقبل بثبات .

إعلام المجتمع .. وتغير ملامح البيئة الإعلامية

يشير مفهوم إعلام المجتمع Society media الذي بدأ ينتشر على نطاق واسع ليشير إلى ذلك المحتوى الإعلامي الذي يقوم أفراد المجتمع أو الجمهور بإنتاجه وبثه عبر الوسائل الاتصالية الشبكية ، وساعد في انتشار هذا النوع من الإعلام انتشار أدوات إنتاج هذا النوع من الإعلام مثل كاميرات الفيديو والكاميرات الرقمية ، وأجهزة الهواتف النقالة، بعد انتشار المواقع الإلكترونية التي تسمح بإرفاق وبث المقاطع المصورة على الإنترنت ، وأشهر هذه المواقع هي (يوتيوب) .

ويثير إعلام المجتمع الكثير من التساؤلات حول العلاقة بين وسائل الإعلام والجمهور ، فالأمر المؤكد أن العلاقة بين وسائل الإعلام التقليدية والجمهور تمر بمرحلة تغير متجهة نحو ما يدعوه محترفو الإعلام (وسائل إعلام النحن) ، حيث تتيح هذه العملية الصحفية الآخذة في البروز إلى الوجود للشبكة الاجتماعية المستخدمة للإنترنت إنتاج الأخبار والمعلومات وتحليلها وتوزيعها على جماهير مترابطة تكنولوجيا ولا تحدها حدود جغرافية .

وقد دفعت الابتكارات في تكنولوجيا المعلومات بالمجتمع الإنساني إلى حقبة من وسائل الإعلام الديمقراطية ، يمكن فيها لكل فرد تقريبا أن يحصل فورا على الأنباء والمعلومات ، وأن يصبح من مؤسسي المشروع الصحفي والمساهمين فيه ، ونتيجة لذلك أمست الأخبار تنتقل اليوم بطرق غير معتادة وتفرز نتائج لا يمكن التنبؤ بها .

وتتسم (وسائل إعلام النحن) بسمة مميزة ، فهي عملية ناشئة منطلقة من القاعدة إلى القمة ، يملى فيها قدر ضئيل جدا من الإشراف التحريري ، أو بالأحرى غيابه تماما ، وهو ما يعني عمليا انتهاء ما كان يعرف بحارس البوابة الإعلامية Gate keeper الذي كان يقوم بانتقاء الأخبار وتقييم أهميتها في الوسيلة الإعلامية .

ومن الإعلام الشعبي أو إعلام المجتمع (المدونات) التي تلعب دورا هاما في تدفق الأخبار والآراء والمعلومات على شبكة الإنترنت ، وتعرف المدونات بأنها : تطبيق من تطبيقات الإنترنت، يعمل من خلال نظام لإدارة المحتوى، و هو في أبسط صوره عبارة عن صفحة وب تظهر عليها تدوينات (مدخلات) مؤرخة و مرتبة ترتيبا زمنيا تصاعديا، تصاحبها آلية لأرشفة المدخلات القديمة، و يكون لكل مدخل منها عنوان دائم لا يتغير منذ لحظة نشره يمكن القارئ من الرجوع إلى مدونة معينة في وقت لاحق عندما لا تعود متاحة في الصفحة الأولى للمدونة.

وفي العالم العربي والإسلامي شهدت وتشهد ظاهرة المدونات الشخصية انتشارا ملحوظا في السنوات القليلة الماضية حتى أصبحت تعد بالملايين ، وهي في هذه المنطقة بالذات حيث تتقلص فيها حرية الإعلام والتعبير عن الرأي على درجة عالية من الأهمية كونها تشكل بديلا لوسائل الإعلام الخاضعة للرقابة ومتنفسا لممارسة النقد أمام أولئك الذين يرغبون في التعبير عن مشاكلهم الشخصية ومشاعرهم المكبوتة ، كما إنها أصبحت طريقة سهلة ومضمونة للتحايل على الرقيب، سواء كان الرقيب السياسي أو الأمني أو الاجتماعي ووسيلة أفضل للتعارف وتكوين الصداقات وتجاوز الحدود أيا كانت .

والملاحظة الجديرة بالاهتمام هي تصاعد نسبة مستخدمي (الإعلام الجديد) بين مستخدمي الإنترنت في مقابل تآكل نسبة التعرض للوسائل الجماهيرية الأخرى ، خاصة بين الفئة العمرية التي تنحصر بين ١٥ و٤٠ سنة ، وهي الفترة المتعلقة بالشباب ، ما يعني أن جيلا قادما من الجمهور سيكون أكثر عزوفا عن الوسائل الاتصالية التقليدية ، وأكثر إقبالا على الوسائل الإلكترونية الشبكية .

(يوتيوب) متهمًا

جاءتني رسالة عبر بريدي الإلكتروني وبها رابط لملف فيديو على موقع يوتيوب لشخص يسمي نفسه – بوقاحة شديدة – اللّه ٠١٠ ، وأرفق مقطعا مصورا لِقطَةٍ في حديقة أمام فيلا وهي تلعق بلسانها في إناء صغير ، ثم يأتي شخص لا تبدو ملامح وجهه ، ويضع نسخة من المصحف الشريف في الطبق الذي كانت تأكل منه القطة ، وفي مقطع آخر لنفس الشخص تظهر الكاميرا جزءا من صدره ويديه ويمسك بنسخة من القرآن الكريم ، ويفتح على إحدى صفحاته ، ويمسك ببضع ورقات كريمات ، ويمزقها بيديه الآثمتين ، كان ذلك في أحد أيام عام ٢٠٠٦ م ، أي بعد عام من ظهور موقع يوتيوب الذي أنشئ في فبراير ٢٠٠٥ م ، ألقيت بعدها محاضرة عامة عن الإساءة للإسلام على الإنترنت ، وتم الاحتجاج لدى إدارة الموقع ، فقامت بحذف هذه اللقطات المسيئة ، ثم جاء فيلدر النمساوي الذي أنتج فيلم (فتنة) المسئ للقرآن الكريم ، وحاول نشره على يوتيوب ، لكن الحملة الإعلامية التي أعدها عن الفيلم قبل عرضه مكنت المسلمين من توجيه رسائل الاحتجاج إلى إدارة الموقع ، فاتخذت قرارا بعدم عرضه ، لكن مشكلة موقع يوتيوب ،هذا الموقع الذي يعد خامس موقع على مستوى العالم من حيث عدد المشاهدة وفقا لتصنيف إليكسا لترتيب المواقع أنه يخلو من الرقابة ، وبالتالي فإنه يحتوى على مقاطع قد لا تتفق والثقافات والقيم الخاصة بكل الشعوب ، فالموقع يحتوى على الغث والسمين ، ويمكن التمييز بين أكثر من نوع من المضمون غير المرغوب فيه على يوتيوب :

- الأفلام التي تحتوى على الجنس ، حيث تشكل هذه النوعية من الأفلام حجما كبيرا على الموقع ، وتعد هذه النوعية من الأفلام التحدي الأكبر أمام متصفحي الموقع ، خاصة وأنها لا تتفق مع القيم الإسلامية والعربية .
- الأفلام أو المقاطع المصورة التي تحتوي على الإساءة للأديان والمعتقدات ، مثل الملف السابق ذكره وآلاف المقاطع الأخرى ، وبالرغم من أن الموقع قام بإتاحة الفرصة أمام المسلمين لإرفاق مضامين وأفلام ترد أو تنتصر لرموز الإسلام ، إلا أن حلقات الهجوم لا تنتهي ، وهو ما يمثل إشكالية حقيقية .
- الأفلام التي تقوم بنشر مواد سياسية محظورة ، كتلك التي تصور رؤساء الدول أو الحكومات أو شخصيات سياسية بارزة في مواقف غير لائقة ، وهذا النوع بالطبع لا ترغب كثير من الحكومات بنشره ، وتسبب في حجب الموقع في بعض البلدان .

- المشكلات المتعلقة بحقوق الملكية الفكرية ، حيث أقامت عدة شركات دعاوى قضائية ضد الموقع لنشره مواد فيلمية تمتلك حق ملكيتها الفكرية ، وقام المسئولون عن الموقع بإزالتها ، ويحاول الموقع تجنب تحميل الأفلام الكاملة والبرامج التلفزيونية عن طريق منع أي مادة تزيد مدتها على ١٠ دقائق ، أما المشكلة التي تظهر مع هذه المحاولة فهي أن العديدين يحملون الأفلام الشهيرة والبرامج التلفزيونية في أجزاء قصيرة، ثم يجمعوا تلك الأجزاء مع بعضها البعض.
- المشكلات المتعلقة ببث أفلام تحتوى على العنف ، لما لهذه الأفلام من تأثيرات سلبية على سلوكيات المستخدمين ، فمنذ عرض مشاهد لرجل يتعرض للركل بالأقدام حتى فقد وعيه شاهدها كثيرون على موقع يوتيوب ، واعتُبر أنه يشجع أعمال العنف العشوائي، كما أن بعض الدول كالولايات المتحدة الأمريكية وجهت انتقادات حادة للموقع لنشره أفلام معادية لها .

(ويكيليكس) الأمريكي !

لا شك أن موقع (ويكيليكس) الإلكتروني هو الأكثر شهرة الآن من بين ملايين المواقع الإلكترونية ، بعدما قام بنشر مائتين وخمسين ألف وثيقة سرية من وثائق وزارة الخارجية الأمريكية ، ويتردد اسمه في كافة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في كل بلاد العالم ، كما يتردد اسمه في المناقشات والحوارات السياسية والإعلامية بعدما قام بكشف الكثير من خبايا السياسة ، ووضع الكثير من رموز الدول والمنظمات الدولية في بعض المآزق أمام شعوبها وأمام العالم .

ولا يخلو الأمر من أن يكون أحد احتمالين :

الأول : أن يكون الموقع قد قام بسرقة الوثائق ، أو حصل عليها بأسلوب غير أخلاقي كأحد المصادر المجَرَّمة في الحصول على المعلومات والأخبار ، بمعنى أنه حصل عليها دون علم الإدارة الأمريكية ، وقام بنشرها على غير إرادتها .

والثاني : أن يكون النشر والتسريب تم بعلم وإيعاز الإدارة الأمريكية ومؤسساتها المعلوماتية والمخابراتية لتحقيق أهداف معينة ، وهي تعرية رموز المجتمع الدولي أمام شعوبها ، وسيادة المنطق الأمريكي في النظر لكافة القضايا الدولية .

ولا أظن أن دولة بحجم الولايات المتحدة الأمريكية ، وقوتها الإعلامية ، وسطوتها القوية على سوق المعلومات حول العالم كانت عاجزة عن منع هذه التسريبات ، وبالرغم من المؤتمرات الصحفية التي عقدتها السيدة هيلاري كلينتون التي انتقدت فيها مؤسس وصاحب ويكيليكس ، والتصريحات المتناثرة التي تفصح عن نية الإدارة الأمريكية في توقيف (جوليان اسانج) ، وبعدها تم توجيه بعض التهم الجنسية له ، وليس تهمة تسريب المعلومات التي تضر بالأمن القومي الأمريكي مثلا ، بالرغم من كل ذلك لا أظن أن دولة تستفيد من تسريبات ويكيلكس مثل ما تستفيد الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها إسرائيل ، بالرغم من كل ما يقال عن تعرض الدبلوماسية الأمريكية للخطر .

إعلاميا ؛ نحن لسنا ضد إعلان الحقائق وكشفها للجماهير ، نحن مع كل سبق إعلامي تنفرد به مؤسسة إعلامية لتقديم المعلومات التي تساعد الجماهير للفهم ، لكن الحديث عن قضية ويكيليكس ليس حديثاً عن مجرد سبق إعلامي وصحفي ، إنما حديثٌ عن رؤية أمريكية للعلاقات بين دول العالم ، حديث عن فوضى دبلوماسية خلاقة تريدها الولايات المتحدة لترتيب أوضاعها وأوراقها ، وتكشف بها أقنعة تساعدها على ترسيخ مفاهيمها

ورؤيتها ، وتعزز مكانتها ، ولن يضيرها أن يُكشف للعالم أن سفاراتها تقوم بجمع المعلومات التجسسية والاستخباراتية ، لأنها تدرك- ربما- أن الجميع يعلم ذلك .

أما عن القادة الذين كشفت بعض عوراتهم جراء تسريبات ويكيلكس ، فهم باعتقادي أمام خيارين أيضا :

إما أن يقوموا باتخاذ موقف صلب أمام الإدارة الأمريكية وسفاراتها ، ويتحفظون على مراسلاتهم ومناقشاتهم معها ، لأنهم لا يستطيعون الاحتجاج لدى الإدارة الأمريكية التي تعلن أنها أكبر المتضررين من تسريبات ويكيلكس ، ويدشنون لبداية علاقة مختلفة مع سفارات وقادة الولايات المتحدة الأمريكية شعارها التحفظ والريبة والحذر .

وإما أنهم لا يستطيعون التعبير عن سخطهم أمام قوة وطغيان الموقف الأمريكي ، وسرعان ما يتجاوزون الأزمة بعد سماعهم بعض عبارات تهدئة الخواطر التي تجيدها الدبلوماسية الأمريكية ، ثم بعد ذلك يتم الفصل تماما بين ملف التسريبات الفاضحة، وبين سائر الملفات الأخرى التي تتعامل الإدارة الأمريكية فيها بنفس الأسلوب والمنطق السابق لتلك التسريبات .

وتبقى الشفافية والمصارحة بالحقائق والوقائع والمواقف لقادة منطقتنا الحلم الكبير لشعوبنا التي استقبلت هذه المعلومات بمزيج من المشاعر المتناقضة .

إلى مستخدم الفيس بوك ...
لا تكن نرجسيا !

كتب أحد مستخدمي الفيس بوك أن أحد أهم إنجازاته في عام ٢٠١٠ م أن أصدقاءه في الفيس بوك وصل عددهم إلى ألفين صديق ، وإن كان لا يعرف أكثر من ثلاثة أرباعهم، إلا أنه يفتخر بأن لديه هذا العدد الكبير من الأصدقاء ، كما كتبت إحدى مستخدمات الفيس بوك مفتخرة أيضا ، أنها في عيد ميلادها لهذا العام الذي نشطت فيه فيسبوكاويا تلقت التهنئة من أربعمائة صديق ، وأنها في كل سنواتها السابقة — التي لم تعلن عن عددها — لم يحدث لها أن وجه لها هذا العدد من الأصدقاء التهاني بمناسبة عيد ميلادها ، وبالتأكيد كان هذا العدد نتاج جهد قامت به طوال العام في إرسال باقات تهنئة لكل هؤلاء حتى تحصل على هذا الكم الذي تتباهى به من الأصدقاء .

وبعض الأشخاص يبرزون شخصيتهم بشكل عنتري ، فصفحته مليئة بالإنجازات التي لا تنتهي ، والمواقف الطريفة والشيقة التي يقوم بتسجيلها بالنص والصورة ليكون بطل المشهد بين جميع الأصدقاء ، فهو كلما زار مجمعا تجاريا ، أو فندقا ، أو متحفا ، أو (كوفي شوب) ، أو حتى شارعا قام بتصوير نفسه في المكان ليكون ضيفا في قائمة اصدقائه ، وربما لا يكتفي بذلك ، بل يشير إلى بعض أصدقائه في صوره ليفرض حدثه وصورته عليهم، وربما لا يكون لهم بصورته أدنى صلة !!، بل إنني قرأت إضافة أحد الأصدقاء يكتب ما حدث له في الحمام (المرحاض) ، ابتداء من لحظة دخوله ، وانتهاء بخروجه ، ومرورا بكلمات الأغنية التي ترنم بها ، والأصوات الموسيقية التي استمع لها !!

البعض الآخر يسجل أشياء دقيقة عن نفسه ، أحدهم ذكر في سيرته الذاتية أنه كانت بينه وبين جيرانه خصومة ، وأنهم ظلمة ، وأنه رفع ضدهم قضية أمام المحكمة ، ولم ينس أن يشبه نفسه بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم حين آذاه جيرانه من الكفار كأبي لهب وأم جميل ، وبالتالي توصل إلى نتيجة أن جيرانهم (من الكفار !!!) كل هذا في السيرة الذاتية ، والغريب أن هذا الشخص يعمل محاميا !

أعتقد أن هذه السلوكيات تشير إلى أننا نحب ذواتنا كثيرا وأننا نحب أن نكون دائما في الواجهة ، مثل وسائل إعلام الدول النامية التي تتصدر أخبار وصور قادتها نشرات الأخبار، مهما بلغت أهمية الأحداث الأخرى ، غير أنه من ألأمانة أن نقول إن هذه النرجسية ليست فقط من اختصاص دول العالم النامي ، حيث كشفت دراسة أعدها متخصصون في علم

النفس الاجتماعي على بعض طلاب جامعات الولايات المتحدة الأمريكية أن الفيس بوك يوفر بيئة مثالية للنرجسيين الذين ينشئون صفحة بعنوان (معلومات عني) يتحدثون فيها عن ذكائهم وعبقريتهم وتفوقهم بشكل مبالغ فيه .

الفيس بوك نافذة إعلامية تمثل القناة الخاصة بكل صاحب حساب فيه ، عليه أن يستخدمه بشكل معتدل ، لا يكثر من الإغراق في الخصوصيات والتفاصيل الدقيقة عن حياته ، حتى لا يعرض نفسه للخطر ، وعليه أيضا أن لا يغرق حتى أذنيه في العلاقات الافتراضية مع أشخاص مجهولي الهوية بالنسبة لديه على حساب العلاقات الاجتماعية الحقيقية أي في الواقع الذي يعيشه ، حتى لا يكون أداة التواصل الاجتماعي عقبة من عقبات التواصل الاجتماعي الحقيقي بين الوالدين أو الإخوة أو الزوج أو الزوجة أو الأبناء .

(زوكربيرج) الملياردير الأسطورة

لم يعد اسم زوكربيرج مجهولا لدى عامة الناس ، فقد صار اسما شعبيا بلامنازع ، ذلك الفتى الذي كان يدرس في جامعة هارفارد الأمريكية ، وكان شديد الولع بالإنترنت، كحال شبابنا في أوطاننا الحبيبة ، لكن الفارق بينه وبين ولع كل الشباب أنه وظف هذا الإدمان للإنترنت توظيفا جيدا أدى لابتكاره موقعا يحقق التواصل بين الناس والأصدقاء في كل مكان ، وأسماه (الفيس بوك) ، وربما لم يكن يعلم زوكربيرج وهويؤسس الموقع في عام ٢٠٠٤ م أنه سيحقق ثروة تقدر بالمليارات ، وأنه سيدخل عالم الأثرياء ليصبح أصغر ملياردير في العالم وهو في مرحلة العشرينيات من العمر ، وليقلب المعادلة التي تبرز الأثرياء بعدما تقدمت بهم السن وبلغوا من الكبر عتيا ، ليصير ذلك الفتي الذي كون ثروة بأسرع مما كونها شخص آخر ، فقد اشترت شركة مايكروسوفت حصة ضئيلة من الفيس بوك بقيمة ٢٤٠ مليون دولار ، بعدما تم تقييم الموقع آنذاك بخمسة عشر مليار دولار .

وقد اختارت مجلة (تايم) الأمريكية مارك زوكربيج ليكون شخصية عام ٢٠١٠م في تقليدها السنوى لاختيار أكثر الشخصيات تأثيرا في العالم ، واعتبرت المجلة أن الموقع غير كثيرا من ملامح التواصل الإنساني لخمسمائة مليون شخص حول العالم ، وهو ما أدى إلى تغيير شكل العلاقات الاجتماعية والتفاعل الإنساني ، وهو أمر لا ينكره متابع ، وبالرغم من أن نهاية عام ٢٠١٠م شهد حدثا هاما كان كفيلا بأن يسحب البساط من تحت أقدام زوكربيج ، وهو تسريبات موقع ويكيلكس الشهير ، الذي اختارته بالفعل بعض استفتاءات وسائل إعلام أخرى ليكون شخصية عام ٢٠١٠ باعتباره قد أحدث ثورة في عالم العلاقات الدبلوماسية ، وثورة في عالم السبق الإعلامي ، وثورة في الوصول إلى الحقائق ، وتلبية الحاجة إلى المعرفة المجردة دون تقييد من الحكومات والأنظمة حول العالم ، إلا أن للفيسبوك تأثير متواصل متراكم ، وأثره على البنية الاجتماعية مستمر ، وفي تنام مطرد ، وهو ما جعل مجلة تايم تختاره كشخصية العام .

ولم يتوقف الأمر عند اختيار زوكربيرج شخصية للعام الذي يوشك أن يودعنا ، فقد تم إنتاج فيلم سينمائي يعرض لسيرة هذا الشاب الأسطورة الذي وظف هواياته توظيفا رائعا، وأدى ابتكاره للفيس بوك إلى إحداث كل تلك التغييرات .

ليت شبابنا يعي هذا الدرس جيدا ، ليته يوظف كل ما لديه من مواهب وطاقات فيما يعود بالنفع عليه وعلى مجتمعه ، ليت كل الذين يدمنون استخدام الإنترنت بتطبيقاته

المتعددة يحاولون فرز المواقع التي يتصفحونها ، فيبتعدوا عن كل ما ليس له طائل ، ويبتعدوا عن كل ما يستنزف طاقاتهم وأوقاتهم ، فالإنترنت يمكن أن يكون وسيلة فعالة للتثقيف وموردا من موارد المعرفة والعلم إذا أحسنا استخدامه بما يتناسب مع تخصصنا ، يمكن أن يكون الإنترنت وسيلة من وسائل تطوير حياة الإنسان ، من خلال الحصول على فرص عمل مميزة ، أو توسيع قاعدة تعامل عملاء جدد لمن يتعاملون مع جمهور مفتوح ، ثم هي قد تكون فرصة لمبدعي البرمجيات ، ومبتكري التقنيات ، ليقوموا بتوظيف الشبكة العنكبوتية لخدمة قضايانا ونهضة حياتنا وتغييرها نحو الأفضل ،وهناك بالفعل نماذج عربية ناجحة في هذا المجال ، ومن يدري ، ربما نسمع قريبا عن (زوكربيرج العرب) !!

ياهو - مكتوب
حين يفكر العرب

إنه الشاب الفلسطيني الأصل سميح طوقان المولود في عام ١٩٦٩ في عمان بالأردن بعدما هاجرت عائلته الفلسطينية التي كانت تعيش في نابلس بعد النكسة ، والحاصل على درجة الماجستير في الهندسة الكهربية من جامعة لندن ، وماجستير أخرى في إدارة الأعمال من فرنسا ، هو الشاب الذي صنع قصة نجاح عربية مبهرة على شبكة الإنترنت ، حيث كان شغوفا بمجال التكنولوجيا ، ولكن الإنترنت في بداياته لم يكن يتيح للقارئ والمتصفح العربي إمكانية التعامل باللغة العربية كثيرا ، فقرر سميح هو وصديقيه حسام خوري ، وفادي غندور ، أن ينشئوا موقعا يهدف لنشر اللغة العربية على الإنترنت ، وفي عام ١٩٩٨م كان البدء التجريبي للموقع من بيت سميح طوقان ، وكان شعار الموقع (افتخر أنت عربي) وسرعان ما سجل خمسة آلاف شخص في موقع مكتوب ، وقفز إلى مائة ألف مستخدم حتى عام ٢٠٠٠م ، حينها قرروا تأسيس شركة مستقلة لإدارة محتوى الموقع وتطبيقاته .

وكانت الخطوة الهامة التي مثلت قفزة في تاريخ موقع مكتوب حين دخلت شركة (هيرمس) المصرية كشريك في مكتوب ، وقامت باستثمار مليونين ونصف المليون دولار أمريكي في الشركة ، وبدءوا في نشر إعلانات لهم في الصحف الورقية والمواقع الإلكترونية، حتى تضاعف عدد المستخدمين عدة مرات ، وقاموا بتدشين حملة (سجل أنا عربي) للإشارة إلى أنهم يقدمون ليس فقط خدمة البريد الإلكتروني بواجهة عربية ، ولكن خدمات أخرى كثيرة كالدردشة ، وبطاقات المعايدة ، والتعرف على الأصدقاء والزواج على الإنترنت ، وإنشاء المدونات الشخصية ، وغيرها من الخدمات ، بعدها قام بتوسيع سعة البريد الإلكتروني ليصل إلى ١٠٠٠ ميجابايت ، ولم يكن أي بريد إلكتروني يقدم هذه السعة البريدية آنذاك ، ثم قامت الشركة بشراء والاستحواذ على عدد من المواقع والشركات الإلكترونية لتمثل في نهاية المطاف أكبر بوابة إلكترونية عربية يستخدمها حوالي ١٧ مليون مستخدم عربي معظمهم من مصر والإمارات والسعودية .

وفي أغسطس ٢٠٠٩م أبرمت شركة ياهو العملاقة اتفاقية استحواذ على شركة مكتوب قيل إن قيمة الصفقة بلغت مائة مليون دولار أمريكي في واحدة من كبريات صفقات الاستحواذ الإلكترونية في منطقة الشرق الأوسط التي لم تعهد مثل تلك الأرقام .

ومؤخرا بدأت تظهر واجهة ياهو تحت اسم (ياهو مكتوب) وتقدم الأخبار وسائر

التطبيقات الأخرى بواجهة عربية ، وصارت ياهو هي مالكة مكتوب ، وهي المتحكمة في محتوى أكبر موقع عربي على الإنترنت .

يرى البعض أن هذا الاستحواذ سيصب لصالح المتصفح العربي الذي سيكون بمقدوره الاستفادة من كل خدمات ياهو من النافذة العربية لها ، بينما يرى آخرون أن مكتوب مشروع إلكتروني عملاق سحب من أيدي العرب ، وأصبح بمقدور ياهو (الأمريكي) المقدرة على الوصول ل١٧ مليون عربي والتأثير فيهم من خلال الأجندة التي تتوافق مع الثقافة والمصالح الأمريكية .

لكن الحقيقة التي تظل مؤكدة أن موقع مكتوب يجسد قصة نجاح عربية مميزة على الإنترنت استحق أن يجني أصحابها من وراء ذلك النجاح ملايين الدولارات ، وهي تجربة ينبغي أن تتكرر في الإنترنت ، وفي غير الإنترنت ، النجاح فقط هو الذي يجبر الآخرين أن يرفعوا لك قبعة الاحترام ، وإذا كانت ياهو التهمت مكتوب ، فليس علينا إلا بناء (مكتوبات) جديدة وعديدة .

صحافة المصدر المفتوح

صحافة المصدر المفتوح هي تلك المواقع الإلكترونية التي تقدم الخدمات الإعلامية المختلفة باستخدام الوسائط المتعددة وتمكن الجماهير من تصفحها دون التقيد بحيز زمني أو مكاني ، ولا توجد لديها مشكلة في المساحة بما يمكنها من نشر كم لا محدود من المعلومات والبيانات ، ويقوم فيه المستخدمون بإنتاج المحتوى ، أو بعضه ، أو التعليق عليه في بعض المواقع .

ويعود مصطلح (الصحافة ذات المصدر المفتوح Open source journalism) إلى أندرو ليونارد Andrew Leonard الذي نحته في عام ١٩٩٩م ، ويحيل إلى أشكال تجديدية من النشر الإلكتروني ، وطيف واسع من المضامين الرقمية التي تأخذ صيغا متعددة .

وعليه فإن إضفاء صفة (المفتوح) على الصحافة الإلكترونية كمصدر من مصادر الحصول على الأخبار والمعلومات يمكن أن يحتوي على عدد من الدلالات :

أولا : أنه مفتوح من ناحية المساحة ، فليس هناك قيود تتعلق بالمساحة المخصصة لنشر الأخبار والمعلومات .

ثانيا : أنه مفتوح من حيث إمكانية وسهولة التعرض له في أي وقت وفي أي مكان ، إذ يمثل إغلاقه أو حجبه أو منعه أو حتى فلترته أمرا معيبا ، وربما مجرما وفق المعايير الدولية التي قد ترتقي بالحق في التعرض للإنترنت إلى مرتبة الحق في الحياة ، أو تجعل الخدمات الإخبارية فيها كالماء والهواء .

ثالثا : أنه مصدر مرن ، يتشارك فيه كل من المرسل والمستقبل في صنع مادته ، من خلال إضافة التعليقات عليه التي ربما تكون في بعض الأحيان اكثر أهمية للقارئ من موضوع الخبر نفسه الذي يدور حوله النقاش ، كما أنه في بعض الأنماط التحريرية المستحدثة يسمح للمستقبل بالمشاركة في إنتاج المادة الإعلامية ، فضلا عن وجود بعض تطبيقات الإعلام الجديد التي تكرس من مفهوم (إعلام المواطن) والذي يقوم على أن يقوم الأفراد بإنشاء وسائل وآليات الإعلام والتواصل مع الآخرين ، كما هو الحال في (الإعلام الاجتماعي) مثل تويتر ، والفيس بوك .

وتشكل المصداقية قضية شائكة في كثير من تطبيقات الإنترنت الإخبارية ، خاصة تلك التي تأخذ طابعا شخصانيا ، حيث لا يقوم (المواطن الإعلامي) بعمليات التدقيق والفرز والفحص التي يقوم بها الإعلاميون المحترفون قبل نشر أو بث وإذاعة المضمون الإخباري

على الجماهير ، ومن هذه المواقع :

١- موقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) الذي يقوم الأفراد برفع الأخبار والتعليقات والصور ومقاطع الفيديو في صفحاتهم الشخصية عليه ، حيث يقوم بعض الأفراد بالمبالغة في وصف الأحداث ، أو التسرع بنقل الشائعات باعتبارها أخبارا وقعت بالفعل ، أو نشر الأمنيات باعتبارها أخبارا مؤكدة ، مثل قيام بعض المحتجين بنشر خبر استقالة وزير الصحة البحريني على صفحاتهم في فبراير ٢٠١١م على خلفية تأخر سيارات الإسعاف في الوصول للجرحى ، وتبين بعد ذلك أنه مجرد شائعة .

٢- موقع (تويتر) ، حيث يقوم بعض الأفراد بكتابة الأخبار في حساباتهم الخاصة على الموقع دون أن تمر بعمليات التأكيد والتثبت من صحة الخبر ، لكن تجدر الإشارة إلى أن الأخبار الواردة في حسابات المؤسسات الإعلامية الكبرى في تويتر تستمد مصداقيتها من مصداقية المؤسسة نفسها ، مثل قناة الجزيرة ، والعربية ، والبي بي سي ، وغيرها .

وهناك تطبيقات أخرى لصحافة المصدر المفتوح نسلط الضوء عليها في مقال قادم إن شاء الله لما لها من أهمية في تشكيل وعي وإدراك الجماهير في العصر الراهن .

المصدر المفتوح في الإنترنت
(موسوعات الويكي)

من التطبيقات الجديدة التي انتشرت على الإنترنت مؤخرا باعتبارها مصدرا مفتوحا للمعرفة موسوعات الويكي ، مثل ويكيبيديا ، حيث يقوم الأفراد بالتشارك في تدوين المحتوى الموسوعي ، و لا يوفر كل المساهمين مصادر لكتاباتهم، وهو ما يجعلها موضعاً للشك في مصداقية محتوياتها .

وذلك بالرغم من احتوائها على كثير من المزايا التي تتمثل في تقديم المعلومات بشكل لا مركزي حول موضوعات واهتمامات متعددة .

ومواقع الويكي بشكل عام تقوم على مبدأ المشاركة الجماعية ، ويسمح لمشتركيه بأن يقوموا بصورة جماعية بتعديل محتوياته ، أو حذفه ، أو الإضافة عليه حسبما يرى المستخدمون أنفسهم ، وأشهرها ويكيبيديا التي تأسست في يناير ٢٠٠١ م بواسطة كل من جيمي والز ولاري سانجر .

ومن نماذج موسوعات الويكي ، مشروع ويكي قاموس الذي بدأ في ديسمبر ٢٠٠٢م، وويكي اقتباس الذي يضم مجموعة من الاقتباسات ، وويكي الكتب ، الذي يقدم الكتب الحرة التي يتم تحريرها تعاونيا ، وويكي جامعة الذي يهدف إلى دعم التعليم الحر ، واستضافة مصادر تعليمية حرة ، ومنها موسوعة (نول) الذي أنشاتها جوجل في ٢٠٠٨ م وتسمح للجميع بكتابة المقالات ونشرها على نطاق واسع وفي أي موضوع .

وتعتبر ويكيليكس من موسوعات الويكي وهي منظمة دولية غير ربحية ، بدأ موقعها في عام ٢٠٠٦ م تحت اسم منظمة (سان شاين) الصحفية ، وتصف مؤسسيها بأنهم منشقون صينيون ، وصحفيون ورياضيون وتقنيون مبتدئون لشركات عاملة في الولايات المتحدة الأمريكية وتايوان وأوربا واستراليا وجنوب أفريقيا ، ومديرها (جوليان أسانج) وهو ناشط إنترنت استرالي ، وقد ذكرت المنظمة أن الهدف من وراء إنشائها فضح الأنظمة القمعية في آسيا والكتلة السوفيتية السابقة ، ودول جنوب الصراء والشرق الأوسط ، ومساعدة أناس آخرين حول العالم ممن يرغبون في الكشف عن سلوكيات غير أخلاقية في الحكومات والشركات .

وكان موقع ويكيليكس قد انطلق في بدايته كموسوعة حرة للتحرير ، ولكنه انتقل تدريجيا نحو نموذج نشر أكثر تقليدية ، ولم يعد يقبل بتعليقات المستخدمين ، واشتهر الموقع بعد

ذلك بنشر مجموعة من الوثائق التي انفرد بالحصول عليها .

وذكر موقع ويكيلكس في يناير ٢٠٠٧ م أن لديه مليون و٢٠٠ ألف وثيقة سرية جاهزة للنشر ، وعن طريقة التسريب يقال أن أحد نشطاء ويكيلكس لديه ملقم يستخدم كعقدة لشبكة تور ، فتمر عليه الملايين من المراسلات السرية ، ولاحظ هذا الناشط أن الحكومة الصينية كانت تتنصت على المراسلات الأجنبية بتلك الطريقة ، لكن جون أسانج مؤسس الموقع نفى هذا الاتهام ، لكن المنظمة تتبع سياسة هامة وهي الحفاظ على سرية مصادرها حتى لا يتعرض أحد ممن يتعاون معهم للعقاب .

وإذا كانت الإنترنت بشكل عام تعتري محتوياتها مشكلات متعلقة بالمصداقية ، وذلك بسبب أن المعلومات المنشورة في الفضاء المفتوح على الشبكة لا تتعرض لأي ضابط ، فإن جزءا من مصداقية المعلومات المنشورة على موقع ويكيلكس والواردة في الوثائق المسربة يتعرض لشبهة عدم المصداقية ، وذلك بسبب :

١- أن هناك غموضا يتعلق بكيفية الحصول على تلك الوثائق ، فبينما تذكر الرواية الرسمية للتسريب أن ضابطا يدعى (برادليماننج) الذي يعمل محللا للمعلومات في الاستخبارات الأمريكية الذي قام بدوره بتحميلها على قرص (CD) يعمل إسم مغنية «جاجا» على أساس أنها أغاني ، ترجح بعض التحليلات أن وراء التسريب الكبيرة لربع مليون وثيقة من وثائق وزارة الخارجية الأمريكية السرية جهاز الاستخبارات الأمريكي نفسه لأهداف سياسية وإعلامية متعددة .

٢- أن عملية نشر الوثائق لم تتم دفعة واحدة وإنما يتم تسريبها على دفعات ، ويقوم حارس البوابة المعلوماتية بعملية انتقاء لبعض الوثائق ، كما يتم حذف بعض الأسماء ،والوقائع ، لما قد يراه إدارة الموقع سببا في إلحاق الضرر بالعاملين في موقع (ويكيلكس) ذاته .

٣- أن عملية النشر في الصحف الورقية والمواقع الإلكترونية لها اتسمت أيضا بالانتقائية الشديدة ، حيث حصلت كل صحيفة على ما يتوافق مع رؤيتها وأجندتها الخاصة بها ، أو برؤية وأجندة الدولة التي تصدر عنها ، أو تمثل سياستها الرسمية .

موقع إلكتروني ثمنه
ثمانية ونصف مليار دولار

من يمكنه أن يتصور أن موقعا إلكترونيا يباع بقيمة ثمانية ونصف المليار دولار أمريكي؟ وما هذا المستثمر الذي يضع مبلغا ماليا كهذا في موقع إلكتروني على شبكة الإنترنت ؟ وهل بوسعه أن يحقق قدرا معقولا من الأرباح من جراء موقع شبكي ؟ هذه التساؤلات وغيرها أثيرت في الأيام الأخيرة بعد نشر خبر يفيد بأن شركة مايكروسوفت العملاقة بصدد إنهاء صفقة لشراء موقع (سكايبي) للاتصالات التليفونية بالبمبلغ المذكور ، وهو أعلى رقم تقريبا لصفقة تعقد في مجال البرمجيات و تكنولوجيا الاتصالات .

و(سكايبي) عبارة عن برنامج تجاري تم ابتكاره من قبل مستثمر سويدي وآخر دانمركي مع مجموعة من مطوري البرمجيات ،بدآ حياتهما العملية بالعمل في شركات صغيرة للبرمجيات ، وكان الطموح والرغبة في تحقيق النجاح وتسهيل الحياة للآخرين دافعا لهما لإنشاء مواقع إلكترونية متعددة منها ما يعمل على تحميل البرامج المختلفة، ومنها هذا البرنامج الشهير (سكايب) أو الشركة العالمية للاتصال عبر الإنترنت ، الذي تأسس في ٢٩ أغسطس عام ٢٠٠٣ م ، ووصل عدد مستخدميه في أكتوبر ٢٠٠٣ إلى مائة ألف مستخدم ، ويمكن مستخدميه من الاتصال هاتفيا عبر الإنترنت بشكل مجاني ، وبتكلفة قليلة في حالة الاتصال بخطوط الهواتف الثابتة أو النقالة ، ويحتل الموقع ١٩٥ في قائمة المواقع الأكثر تصفحا واستخداما على مستوى العالم ، وهو موقع متقدم إذا ما علمنا أن الإنترنت تعج بمليارات المواقع الإلكترونية ، في حين يقع جوجل في المركز الأول يليه الفيس بوك ويوتيوب وياهو ولايف في المراكز الخمسة الأولى على التوالي وفقا لتصنيف إليكسا .

ولم يكن برنامج سكايب في بداياته مجانيا ، بل كانت لمسيرة الموقع محطات متعددة ، كان شعارها البحث عن التطوير المستمر ، وتقديم الجديد دون يأس أو خوف من الإخفاق ، وهو ما ينبغي أن يتحلى به شبابنا العربي الطموح الذي يبحث عن النجاح وتحقيق الأرباح، حيث لم تطرح النسخة المجانية من البرنامج إلا في فبراير ٢٠٠٤ م ، ولم يتوقف أصحاب الموقع عن التطوير بعد الانتشار الكبير والاستخدام الكثيف له ، بل عملوا على إطلاق نسخ محدثة منه تناسب الحواسيب الصغيرة والهواتف النقالة ، وغيرها من التطبيقات التي تهدف لتدعيم ثقة العملاء بالبرنامج وزيادة عددهم حول العالم .

وسكاييبي مثل الماسنجر لكنه يتميز بدرجة أنقى في الصورة والصوت ، وقبل أن تقوم شركة مايكروسوفت العملاقة بالحديث عن صفقة شرائه كانت هناك مفاوضات بين سكايب والفيس بوك على أن يستحوذ الفيس بوك على سكايب مقابل مبلغ يتراوح بين الثلاثة والأربعة مليار دولار ، وهو رقم ضخم ، في ذلك التوقيت كان هناك مفاوضات بين جوجل وسكايب لإنشاء مشاريع مشتركة بينهما ، لكن شركة مايكروسوفت فاجأت الجميع بإنجاز صفقة الاستيلاء على سكايب مقابل ثمانية ونصف مليار دولار أمريكي ، وهي أضخم صفقة إلكترونية من حيث القيمة على الإطلاق ، لموقع يستخدمه ٦٦٣ مليون مستخدم ، منهم ٨,٨ مليون مستخدم يستخدمون الخدمات المدفوعة .

إن من الدروس المستفادة لشبابنا أن النجاح وحده هو الطريق لتحقيق الآمال ، وأن الإبداع والابتكار هما أقصر الطرق لتحقيق النجاح ، وأن مسيرة النجاح بحاجة إلى النفس الطويل ، ولابد أن تتخللها فترات إخفاق لا يدفع لليأس ، بل يدفع للإصرار على النجاح ، والاستمرار فيه .

(سكند لايف) ..
مشروع الحياة الافتراضية المثير (1 - 2)

الفيس بوك عالم افتراضي مثير ، مثله مثل عوالم افتراضية أخرى تحمل قدرا كبيرا من الإثارة ، مثل تويتر ، ومشروع الحياة الافتراضية (سكند لايف) أو الحياة الثانية التي تمكن مرتادي مواقعها وجزرها بممارسة حياة افتراضية تحاكي حياة الواقع إلى حد كبير

والحياة في سكند لايف هي حياة افتراضية ثلاثية الأبعاد ، انطلقت على شبكة الإنترنت عام ٢٠٠٣/م ، وتم تطويرها من قبل شركة ليندن المحدودة ، وهي شركة أمريكية خاصة مقرها سان فرانسيسكو ، ويقول الموقع إن هذا العالم الافتراضي المعروف بالحياة الثانية أنشأه سكانه ، وجذب الأنظار في أواخر ٢٠٠٦م ، وبدايات ٢٠٠٧ م .

وهو العالم الموازي الذي بدأت فكرته كلعبة إلكترونية من ألعاب الفيديو في الإنترنت عام ١٩٩٩م ، ثم تحولت إلى مشروع حياة افتراضية تقوم على محاكاة العالم الحقيقي .

وكان الأمريكي فيليب روزدال قد أسس شركة أسماها (ليندن لاب) في ١٩٩٩م بهدف تقديم خدمة جديدة لزوار الإنترنت ، وهي إمكانية الحصول على أراضي افتراضية ، والقيام بتصميمها ، وبناء منازل عليها ، بحيث يستمتع زائر الإنترنت بمنزله الخاص الذي يبدع فيه كما يشاء ، ثم تطورت لديه الفكرة إلى تصميم موقع خاص يمكن زواره من العيش في حياة افتراضية عام ٢٠٠٣ م .

وتقوم فكرة هذا المجتمع المتكامل في شبكة الويب على أن يقوم الساكن أو المستخدم باختيار اسمه في هذه الحياة بدلا من الحياة الواقعية التي لا يمكنهم فيها اختيار أسمائهم، وكذلك اختيار الشخصية الافتراضية ذات الملامح ، التي قد تكون قريبة من الملامح الحقيقية في العالم الواقعي وقد لا تكون ، ثم يمارس الحياة بكافة تفاصيلها كما هي في النسخة الحقيقية ، فيستطيع المستخدم المشي والطيران والسباحة والتفاعل مع الآخرين بكافة صوره ، بما في ذلك التعاملات المالية ، كما توجد عملة خاصة بسكان عالم الحياة الثانية وهي (الليندن دولار) .

ساكنو الحياة الثانية :

طبقا لتقديرات مارس ٢٠٠٨م فإن ١٣ مليون شخص سجلوا انضمامهم لعالم الحياة الثانية الافتراضي ، بعضهم يضم حسابا غير مفعل ،قضوا فيها أكثر من ٥٠ مليون ساعة ،

وتشير التقديرات في مطلع عام ٢٠٠٩ م إلى أن ١٥ مليون شخص يقضون أوقاتا في الحياة الثانية، وسارعت كثير من الدول في افتتاح سفارات لها في (سكند لايف) ، وتعد السويد أول دولة تقوم بذلك ، كما يوجد العديد من الشركات التي قامت بشراء جزر وتقوم من خلال موقعها بالتسويق لمنتجاتها والبيع بالفعل للعملاء من قاطني الحياة الثانية ، مثل شركة نيسان ، وشركة أديداس ، وتويوتا ، وفنادق ستاروود هوتليس .

وتعد وكالة رويترز العالمية أول وكالة أنباء تقيم لها موقعا في الحياة الثانية ، وتقوم بتقديم المعلومات والأخبارالهامة لقاطنيها والمتعلقة بهذا العالم ، وخاصة النشاط الاقتصادي بها ، وقد عينت الوكالة (آدم باسيك) مراسلها الإعلامي المقيم في لندن ، أو (آدم رويترز) كما أطلق عليه في الحياة الثانية ليكون أول رئيس لمكتب إخباري افتراضي، وتقوم بنشر الأخبار المالية والثقافية لسكان الحياة الثانية ، وتضع روابط أيضا لأخبار العالم الحقيقي .

كما توجد قناة السي إن إن في الحياة الثانية ،وغيرها من المؤسسات الإعلامية والصحفية العالمية .

ولكن ماذا عن الوجود الإعلامي العربي على سكند لايف ؟؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في المقال القادم إن شاء الله .

سكند لايف ..عالم افتراضي مثير (2 -2)

من المواقع والمؤسسات الإعلامية العربية الموجودة في موقع سكند لايف فإن أول مؤسسة تشيد جزيرة في تلك الحياة (إسلام أون لاين) .

وربما يعود قلة نسبة المؤسسات العربية والأفراد العرب في هذا المجتمع الافتراضي كونه – حتى الآن – لا يدعم اللغة العربية ، ولا يحمل خيارات التعامل بها من خلال الواجهة الرئيسية للموقع الذي يضم مجتمع الحياة الثانية .

وقد قامت (إسلام أون لاين) بإنشاء جزيرةافتراضية لها في سكند لايف ، قامت من خلالها القيام بالعديد من الفعاليات الهامة ، منها :

١- أقامت متحفا أسمته (هولوكست فلسطين) ؛ لتوثيق الجرائم الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني منذ عام ١٩٤٨ وحتى «محرقة غزة» بالتجسيد الحي ثلاثي الأبعاد.

وكان مراسل «إسلام أون لاين» في عالم سكندلايف قد قال : «إن هولوكوست فلسطين بعالم سكندلايف لا يسعى فقط لتوثيق الجرائم الإسرائيلية في فلسطين، بل أيضًا لفتح آفاق جديدة للتعريف بالقضية وفضح الانتهاكات الإسرائيلية أمام عالم سكندلايف الذي يسكنه حاليا نحو ١٥ مليون مستخدم، بزيادة شهرية تقدر بنحو ٤٠٠ ألف مستخدم».

ومن الأهداف الأخرى: إحياء ذكرى شهداء محرقة غزة، وبناء ذاكرة يحفظها التاريخ، والتجسيد الحي لآثار الغارات الإسرائيلية على الأسر الفلسطينية.

وتأتي هذه الخطوة في رد على ما أعلنت وزارة السياحة الإسرائيلية عن تدشين متحف لـ«هولوكست النازية ضد اليهود» داخل إحدى الجزر الافتراضية الإسرائيلية؛ وتحتوي الجزيرة أيضا على مجسمات لمواقع وآثار مختلفة في مدينة القدس منها: قبة الصخرة، وحائط البراق الذي يحد المسجد الأقصى من الغرب، وكنيسة القيامة الموجودة داخل أسوار البلدة القديمة في القدس، ومعبد للصلاة.

وتزخر الحياة الثانية بالعديد من الجزر الافتراضية التي شيدت خصيصا «للم شمل» اليهود حول العالم، وداخل هذه الجزر توجد أماكن للترفيه والرقص وممارسة الأنشطة الرياضية الافتراضية، كما توجد أماكن للصلاة ولقراءة التوراة.

٢- قام موقع إسلام أون لاين أيضا بإنشاء ما يمكن تسميته ب(الحج الافتراضي) في جزيرة إسلام أون لاين في سكند لايف ، وذلك لشرح وتبسيط إجراءات الحج والعمرة

ليس عن طريق التلقين ، وإنما عن طريق الأداء الافتراضي للمناسك في موسم الحج، بصحبة أحد المشرفين الشرعيين في عملية تستغرق حوالي الساعة ونصف ، وهو ما يعد استغلالا جيدا لخدمة أهداف دعوية ، وتوظيف التكنولوجيا الاتصالية والعوالم الافتراضية لخدمة القضايا الجادة .

اقتصاد الحياة الثانية :

لا تقتصر الفعاليات والأنشطة في الحياة الثانية على الفعاليات الثقافية والإعلامية ، فهناك الحياة الاقتصادية المتكاملة من بيع وشراء ، وكافة أشكال التعاملات المالية ، ويشهد اقتصاد الحياة الثانية نموا تتراوح نسبته بين ١٠-١٥٪ شهريا ، كما توجد بورصة للأوراق المالية الافتراضية تتم فيها المتاجرة بالدولارات الأمريكية والليندنية ، وبها سياسات نقدية ، وتطبق النظريات الحديثة المتعلقة بالاقتصاد الكلي والجزئي ، ويتم تحويل الليندن إلى دولارات حقيقية في العالم الواقعي ، حيث إن كل ٤٠٠ ليندن يساوي دولارا واحدا ، وقد ناقش أعضاء بالكونجرس الأمريكي ما إذا كانت هذه الأموال تخضع للضرائب.كما أن كثيرا من المطاعم العالمية الشهيرة والشركات الكبرى تقيم بيوتا وأبنية ضخمة في الحياة الثانية للأغراض الدعائية والإعلانية ، فهي حياة اقتصادية متكاملة .

ولكن يبقى التساؤل الهام :

هل بوسع تلك المجتمعات الافتراضية أن تلبي حاجات الإنسان الاجتماعية والثقافية؟ وهل تصيبه بالعزلة الاجتماعية ؟ أم أنها تعمل على كسر حواجز هذه العزلة من خلال التفاعل الافتراضي المتمثل في المحادثة والسفر والانتقال وممارسة كافة أنماط السلوك الإنساني في العالم الواقعي ونقله إلى العوالم الافتراضية ؟

مواقع التواصل الاجتماعي
والحملات الانتخابية

تشير الأرقام والإحصائيات أن عدد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي يتضاعف بشكل كبير ، خاصة في منطقتنا العربية التي شهدت أحداثا سياسية غير مسبوقة في مطلع العام ٢٠١١م ، حتى وصل عدد مستخدمي الفيس بوك عربيا إلى ما يزيد على ٢٠ مليون مستخدم ، منهم سبعة ملايين ونصف في مصر وحدها التي تتصدر الدول العربية في عدد مستخدمي هذا الموقع ، بعد أن زادت نسبة استخدامه في الربع الأول من العام الحالي بنسبة ١٠٨٪ وفقا للتقرير الصادر عن معهد التنبؤ الاقتصادي لعالم البحر المتوسط ، وجريدة الجارديان البريطانية .

كما يبلغ عدد مستخدمي موقع تويتر عربيا إلى مليون ومائة ألف مستخدم وفقا للتقرير العربي الثاني عن الإعلام الاجتماعي الصادر عن كلية دبي للإدارة الحكومية ، يرسلون ما يقرب من ٢٣ مليون تغريدة يوميا ، ويتوزعون ما بين مستخدم نشط ومستخدم صامت يتابع أحدث الأخبار وتعليقات المشاهير دون أن يدون تغريدات خاصة به ، كما أشار نفس التقرير إلى أن أعلى خمس دول عربية استخداما لمواقع التواصل الاجتماعي من حيث نسبة عدد المستخدمين إلى عدد السكان هي الإمارات وقطر والكويت والبحرين ولبنان ، ويقدر عدد مستخدمي فيس بوك في مملكة البحرين ب ٢٧١ ألف مستخدم ، وأن الفئة العمرية التي تقع بين الخامسة عشرة والتاسعة والعشرين يمثلون ٧٠٪ من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي .

كل هذه الأرقام تشير إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي بتطبيقاتها المختلفة يمكن أن تساعد المرشحين في الانتخابات بشكل كبير في الوصول إلى قاعدة عريضة من الشباب والتواصل معهم وإقناعهم بالبرنامج الانتخابي الخاص بكل منهم ، وهو ما قام به البعض حين أنشأ حسابات خاصة أو صفحات خاصة بالحملة الانتخابية يتواصل من خلالها أعضاء حملته الدعائية مع جمهور دائرته الانتخابية ، أو يتواصل هو شخصيا مع الجماهير ويجيب عن تساؤلاتهم واستفساراتهم حول برنامجه الانتخابي ، أو يقوم بنشر إعلانات ممولة على تلك المواقع والوصول تحديدا إلى الجمهور المستهدف .

كما تتيح مواقع التواصل الاجتماعي للمرشح ما هو أبعد من ذلك ، فبإمكانه إنشاء قناة خاصة به على موقع يوتيوب يقوم من خلالها ببث ما يروق له من برامج وتسجيلات مصورة

عن كل ما يتعلق بحملته الانتخابية والفعاليات المتعلقة بها .

والحقيقة إن مواقع التواصل الاجتماعي تمثل سلاحا ذا حدين ، فهي تقدم للمرشح كل هذه الإمكانيات ، لكنها تنطوي على بعض السلبيات ، كأن يقوم البعض بالتعليق السلبي على مفردات البرنامج الانتخابي ، أو يهاجم المرشح ويشكك في نواياه ، بل ويصل الأمر أحيانا إلى التخوين أو السب والقذف وترويج الشائعات المغرضة التي تناوئ جهوده الدعائية ، لذا لابد من وجود فريق متكامل يتابع تدوينات مواقع التواصل الاجتماعي ويقوم بالتعامل معها ردا أو تصحيحا أو حذفا في بعض الحالات .

وتتعرض الانتخابات التكميلية في مملكة البحرين إلى بعض هذه الآثار السلبية في مواقع التواصل الاجتماعي حيث يقوم بعض الأفراد بإنشاء حسابات خاصة بالاعتراض عليها وتخوين من يشارك فيها ، كما يقوم البعض بتهكير بعض الحسابات التي تروج لبعض المرشحين .

ومواقع التواصل الاجتماعي ليست عصا سحرية يمكنها أن تصل بالمرشح إلى النجاح الساحق ، بل هي آلية تواصل ، يمكن أن تكون سببا من أسباب النجاح ، ويبقى أن لقوة البرنامج والمرشح وخبراته وثقافته ووطنيته ومهاراته الإقناعية دور كبير في الوصول إلى عضوية مجلس النواب .

التوحد مع الحاسوب والإنترنت

طرحت سؤالا على مجموعة من الطلاب ، قلت لهم ، لو أنكم في مكان ما وخُيّرتم بين أي من الوسائل الاتصالية التي تحبونها أن تكون بصحبتكم ، وأمامكم اختيار واحد فقط، فماذا تختارون ؟ فلم يجب أحد بالراديو ، وذكر عدد قليل أن يزوَد بجهاز تليفزيون متصل بعدد من الأقمار الصناعية ، وبالنسبة للصحافة الورقية لم يخترها أحد منهم ، أما غالبيهم ففضلوا الحاسوب المتصل بالإنترنت ، أو جهاز هاتف مزود بخدمة الإنترنت على اختلاف أنواعه ، مثل البلاكبيري والآيفون ، وكتب أحدهم أحضر لي حاسوبا وإنترنت واحبسني في أي مكان ، وأنا أتفاعل مع العالم كله من خلال هذه الوسيلة ، وبالرغم من أن عدد الطلاب لم يكن كبيرا ، بحيث لا يرقى السؤال إلى مرتبة الدراسة العلمية ، وقابلية النتائج للتعميم ، إلا أنها تشير إلى أننا أمام جيل تختلف علاقته بوسائل الإعلام والتواصل، وتغيب عن مجالات تفضيلاتهم هذا الإعلام السمعي البصري التقليدي الذي يتآكل دوره في التأثير في المجتمع لصالح الأنماط الجديدة من الاتصال والتواصل .

لقد تجاوز شبابنا – ولم يعد الأمر بالمناسبة قاصرا على الشباب ، فالأطفال لديهم شغف بالحاسوب وبرامجه وألعابه بشكل منقطع النظير ، كما أن للكبار نفس الشغف بالتواصل مع الآخرين افتراضيا – تجاوز الجميع مرحلة ما كان يسميه علماء الاجتماع بإدمان الإنترنت ، إلى ما يمكن تسميته بالتوحد مع الإنترنت وتطبيقاتها المتعددة ، وهو ما يحدث تأثيرات سلبية على تكوين شخصية الأطفال والشباب ، بالرغم من النقاط الإيجابية المتعددة التي يمكن الحصول عليها عبر هذه الوسيلة .

لكن المعدلات الكبيرة التي يقضيها الناس مع الأجهزة الإلكترونية تجعلهم يعيشون (أون لاين) في حياة افتراضية تفترس أوقاتهم دون انتباه ، وتقضي على كثير من مظاهر الحياة الصحية ، والأمر هنا بشكل أخطر مع فئة الأطفال ، الذين ينشغل عنهم آباؤهم وأمهاتهم ، فيعطونهم الأجهزة الإلكترونية ليقضوا وقتا كبيرا مع الألعاب ومشاهدة الأفلام الكارتونية والمواد المسلية ، والغريب أن الآباء والأمهات ربما ينشغلون – وهميا – عن أبنائهم ، وعن تربيتهم وتنشئتهم ، والحديث معهم ، بل واللعب معهم أحيانا كما ينصح خبراء التربية ، ربما ينشغلون بالتجوال في الإنترنت ، وفي مواقع التواصل الاجتماعي ، يتصفحون الأخبار والآراء التي يدونها الجماهير ، ويدونون آراءهم في الأحداث والقضايا التي يهتمون بها .

كما أن عددا من الدراسات تحذر من خطورة بقاء الأطفال فترات طويلة مع الأجهزة

الإلكترونية ، وأشارت دراسة بريطانية إلى أنّ الأشخاص الذين يدمنون ألعاب الحاسوب، قد يشتركون ببعض السمات الشخصية مع المصابين بمتلازمة «اسبرجر»، أحد اضطرابات التوحد .

إننا هنا لا ندعو لعدم التعامل مع التكنولوجيا التي هي سمة العصر الذي نحياه ، ولا ندعو إلى أن يُحرم الأطفال من قضاء أوقات ممتعة أمام الحاسوب وألعابه ، ولكنها الدعوة إلى التعامل بشيء من الحكمة مع تلك الوسائل ، نخطط للاستفادة منها ، بحيث تكون السيطرة منا عليها ، لا أن تنقلب المعادلة فتسيطر هي علينا ، نتوازن في علاقتنا مع التقنيات الحديثة وعلاقتنا بالحياة الحقيقية والواقعية التي تتسم بالتفاعل الأكبر ، وليس التفاعل الافتراضي كما هو الحال مع تطبيقات الإعلام الجديد ، إنها دعوة للتعامل الرشيد مع تقنيات العصر ، لا أن نتوحد معها فتسبب لنا المشكلات .

نصائح هامة لمستخدمي
مواقع التواصل الاجتماعي (1-2)

كثير منا يبدأ في تصفح مواقع التواصل الاجتماعي ، ثم يكتشف أنها سرقت وقته ، وأنه قضى ساعات طويلة وهو يتجول في تويتر وفيس بوك وغيرهما ، يقرأ لهذا ، ويعلق على ذاك، ويدون ملاحظة هنا ، ويبدى إعجابا بتدوينة لأحد الأصدقاء ، والبعض يستخدم مواقع التواصل الاجتماعي في أوقات خاطئة ، كمن يستخدمها أثناء قيادة السيارة ، خاصة في ساعات الازدحام المروري ، أو أثناء التوقف في إشارة المرور ، والبعض ممن يعملون في بعض المؤسسات قد يترك عمله الرئيسي ليتجول بين الحين والآخر في تلك المواقع ، حتى صارت مواقع التواصل الاجتماعي في بعض الأحيان معوقا من معوقات ممارسة الحياة الطبيعية لدى البعض .

وليس الحل إطلاقا في مقاطعة تطبيقات الإعلام الجديد ، أو إلغاء الحسابات الخاصة بنا عليها ، وإنما الحل يكمن في اتباع مجموعة من النصائح والإرشادات التي تحاول اجتناب سلبيات مواقع التواصل الاجتماعي – وهي كثيرة – كما تحاول تدعيم الجوانب الإيجابية – وهي كثيرة أيضا – وصولا إلى استخدام أمثل لها ، ومنها :

أولا : ينبغي التخطيط للوقت الذي يقضيه الفرد أمام تلك المواقع بشكل خاص ، وأمام شبكة الإنترنت بشكل عام ، حتى لا تلتهم الوقت ، ونصل إلى مرحلة ما يسمى ب (إدمان مواقع التواصل الاجتماعي) ، كما ينبغي تحديد هذا الوقت أيضا ، وليس هناك وقت مثالي للتصفح اليومي ، وإنما تحدده طبيعة عمل كل شخص ، ولكن بصفة عامة يمكن تخصيص ساعة أو ساعة ونصف أو ساعتين يوميا ، ويفضل أن تكون مقسمة على فترات تشمل بداية اليوم ووسطه وآخره ، والالتزام بها قدر الإمكان .

ثانيا : تجنب تصفح مواقع التواصل الاجتماعي أثناء قيادة السيارة ، لأنها مسألة في غاية الخطورة حتى لو كان الطريق مزدحما ، واستعض عن ذلك بالاستماع إلى أي مادة مسموعة كالراديو مثلا ، فكثير من الحوادث يكون سببها عدم التركيز الكامل أثناء القيادة، بسبب تشتيت الانتباه .

ثالثا : حاول أن تحدد هدفك من تصفح شبكات التواصل الاجتماعي ، حتى تستطيع تلبيته بشكل سريع ، هل هو معرفة آخر الأخبار ، أو مطالعة حسابك الخاص والمتفاعلين معك عليه والاطلاع على الرسائل ، أو مطالعة ما يدونه الأصدقاء والتعليق على بعض

كتاباتهم ، على أن يكون ذلك مرتبطا بالوقت ، لأنه لو تركت لنفسك أن تعلق على كل ما يكتبه الأصدقاء ربما لا تكفي الأربع وعشرين ساعة في اليوم على ذلك ، ولأن هناك الجديد دائما الذي يكتبونه .

رابعا : احرص على أن لا تسرف في الكتابة عن الأمور الشخصية التي تمثل أدق الخصوصيات ، حتى لا يستغلها البعض استغلالا سيئا ، وحافظ دائما على أسرارك على تلك المواقع ، واحم كلمة السر الخاصة بك ، وخاصة إذا قمت بالدخول عليها من الأماكن العامة مثل حاسوب المطار مثلا ، فعليك أن تقوم بإتمام عملية الخروج بعد التصفح .

خامسا : احرص على أن لا تستخدم شبكات التواصل الاجتماعي في أوقات العمل الرسمي ، لأن ذلك مخالف لعقد العمل بينك وبين المؤسسة ، حتى وإن لم ينص على ذلك، لأن تبديد وقت العمل في التعرف على جديد الأصدقاء هو بالقطع في غير مصلحة العمل، إلا إذا كانت طبيعة عملك تحتم عليك دخول تلك المواقع لممارسة بعض الأمور المتعلقة بالعمل ، كأن تقوم بإضافة الأخبار على حساب المؤسسة في مواقع التواصل ، أو تقوم بالرد على المتفاعلين عبر حساب المؤسسة .

نصائح هامة لمستخدمي
مواقع التواصل الاجتماعي (2-2)

عرضت في المقال السابق بعض النصائح التي يمكن تقديمها لمرتادي مواقع التواصل الاجتماعي وصولا إلى صيغة مثلى لاستخدام فعال وآمن لها ، وهذا المقال استكمال لما سبق إيراده ، ومن هذه النصائح :

سادسا : تجب مراقبة الأطفال والمراهقين ، ومتابعة حساباتهم بين الحين والآخر ، من قبل الآباء والأمهات للإطمئنان على أنهم لا يسيئون استخدام تلك المواقع والشبكات ، وبأسلوب لا يفسر هذه الرقابة بأنه نوع من تقييد الحريات ، أو كبت الآراء ، ويجب تعليم الأبناء على الحرية المسئولة ، ويكون ذلك عن طريق ضرب المثل ، كأن يقوم الأب أو الأم بفتح الحساب الخاص بأحدهما أمام الأبناء ، وتعليمهم طريقة الاستخدام الآمن .

سابعا : يفضل البعض عدم الموافقة على صداقة الأشخاص الذين لا نعرفهم في الحياة الطبيعية أو الواقعية ، وهو أمر محل خلاف ، إذ تمثل الفضاءات الإلكترونية فرصة للتعرف على أشخاص جدد ، قد يشاركوننا في اهتماماتنا ، أو نستفيد منهم ونفيدهم في مجالات مختلفة في الحياة ، لكن بشكل عام يفضل عدم الموافقة على صداقة الذين يدونون بأسماء مستعارة ، دون أن تتوفر لدينا معلومات كافية عن أهدافهم أو توجهاتهم .

ثامنا : إذا قمت بالكتابة في حسابك ، سواء في فيس بوك أو تويتر ، أو غيرهما فعليك أن تكتب ما تراه مفيدا لغيرك ، وليس مجرد ملء مساحة افتراضية شاغرة بأي كلمات ، ربما تكون سببا لضجر أصدقائك ، وعليك أن تعلم أن للكلمة تأثير كبير ، فإن كانت كلمة طيبة تكون سببا في نشر شيئ طيب ذي قيمة ، وإن كان كلاما سيئا أو (خبيثا) فإن عددا لا محدودا من الآثام ستلحق بك ، فالكلمة إما أن تكون لك ، أو عليك .

تاسعا : احرص على أن لا تستخدم عبارات السب والقذف والشتم ، أو الكلام الحاد وأنت تعبر عن وجهة نظرك في القضايا المختلفة ، فالإنسان المتحضر هو الذي يستطيع ضبط سلوكه ، حتى مع معارضيه ، واعلم أن صاحب الموقف القوي لا يلجأ أبدا إلا عبارات السب والقذف ، بينما يلجأ إلى تلك الأساليب الضعفاء والعاجزون عن التعبير عن آرائهم بألفاظ راقية ، ولأن استخدام عبارات السباب تسقطك من عيون أصدقائك ومتابعيك ، وتنال من رصيد الثقة الذي ربما كونته على مدار شهور وسنوات .

عاشرا : إذا قمت بالتعليق على تدوينات أصدقائك فاحرص على أن يكون التعليق

مرتبطا بالموضوع الأصلي ، وتجنب استخدام عبارات النقد اللاذع أو المتهكم ، أو العبارات التي تنطوي على سخرية من الأصدقاء أو كتاباتهم ، واعلم دائما أن هذه مواقع تواصل أي هدفها إقامة علاقات اجتماعية طيبة بين البشر ، فلا ينبغي أن يكون ما تكتب سببا لقطع هذه العلاقات في الحياة الواقعية .

حادي عشر : لا تنقل المعلومات التي لست متأكدا من مصدرها ، حتى لا تقع – ربما دون قصد – في فخ الترويج للشائعات والأخبار المغرضة والكاذبة ، التي ربما يقف وراءها من يخطط للإضرار بالمجتمع ، ويستعملك لتكون معول هدم من معاوله ، واحرص على انتقاء الحسابات التي تتمتع بالثقة والمصداقية للنقل عنها ، وانسب دائما المعلومة إلى مصدرها ، والقول لقائله .

الفيس بـوك الحلال !

كما أن هناك طعام عادي وطعام (حلال) سيكون في يوليو القادم فيس بوك عادي ، و(فيس بوك حلال) ، وفقا لما أعلنته إحدى الشركات التركية من اسطنبول ، التي قررت أن تطرح ما أسمته نسخة إسلامية من موقع تواصل اجتماعي مشابه للفيس بوك في إمكانياته وطريقة التعرف على الأصدقاء ، وطريقة التدوين على حائط الحساب ، والتعليق على حسابات الآخرين ، واختارت له اسم سلام وورلد Salamworld وحددت له شهر رمضان القادم كموعد للانطلاق ، كما قامت الشركة بعمل حملة ترويجية للموقع في فبراير الماضي، واستطاعت الحملة أن تجعل الفكرة حديث الكثيرين ما بين مؤيد ومتحفظ ومعارض ، وتخطط الشركة لاستقطاب خمسين مليون مستخدم في أول ثلاث سنوات، وتعتقد الشركة أن ملياراً ونصف المليار نسمة من المسلمين حول العالم هم جمهورها المستهدف ، وذكرت أن الهدف من إنشاء الموقع هو أن يكون منبرا يشرح من خلاله المسلم رؤيته للأحداث التي يمر بها العالم ، وذلك على أسس التعايش السلمي ووفقا للشريعة الإسلامية .

الغريب أن هناك حماسا للفكرة من قبل الشركة المنفذة للمشروع بالرغم من تشكيك البعض في جدواها ، ونجاحها ، حيث قامت الشركة بافتتاح مقر لها في القاهرة ، وآخر في موسكو ، بالإضافة إلى التخطيط لفتح فروع لها في حيدر آباد بالهند وجاكرتا ونيويورك ، ويقول عبد الواحد نيازوف صاحب فكرة المشروع ، وهو روسي الجنسية : إن هناك حاجة لموقع كهذا بين الشباب المسلم الذي لا يشعر بالارتياح على الفيس بوك ، بسبب وجود صور عارية للنساء ، وبعض الأشياء الأخرى المخالفة للشريعة الإسلامية .

والواقع إن شبكات التواصل الاجتماعي هي كلمة سر النجاح في العصر الراهن، ويمكن القول إننا نعيش الآن في عصر شبكات التواصل الاجتماعي ، التي تستقطب ما يقارب من المليار مستخدم ، وهو ما لا تستطيع أي وسيلة إعلامية تحقيقه ، كما أنها تمثل بيئة خصبة لتحقيق الأرباح بأرقام فلكية ، فمن كان يدري أن شابا عشرينيا يدرس بجامعة هارفارد الأمريكية الذي أنشأ موقع فيس بوك ، سيصبح خلال سنوات معدودة من أثرى أثرياء العالم ، إن لم يحتل مقدمتهم بعد أن طرح مجموعة من أسهم الفيس بوك للتداول في البورصة ، ويذكر أن القيمة التقديرية لموقع فيس بوك كما يشير إلى ذلك الخبراء الاقتصاديون تبلغ مائة مليار دولار .

وتقوم فكرة نجاح مواقع التواصل الاجتماعي على عدد المستخدمين ، فكل مستخدم جديد يمثل إضافة لقيمة الأرباح الطائلة التي يجنيها أصحاب هذه الشبكات من خلال الإعلانات الموجهة التي يضمن أصحابها أنها تصل إلى المستهدفين بالضبط في المنطقة الجغرافية التي يحددونها .

إن الأرقام التي يجنيها أصحاب هذه المواقع الإلكترونية تشير إلى تحول الاقتصاد العالمي إلى (اقتصاد المعرفة) فلم يعد الأغنياء فقط هم الذين يمتلكون المصانع العملاقة، أو الذين يمتلكون طاقات إنتاجية كبيرة ، بل ظهرت طبقة من الأغنياء الجدد الذين يعملون في إنتاج المعرفة ، من يمتلك المعرفة وأدوات إنتاجها هم من يحتلون مواقع الصدارة في الاقتصاد العالمي الآن .

أمل :

هل يمكن أن تشهد بلادنا العربية في الأعوام القادمة شركات عملاقة تعمل في مجال المعرفة وتكنولوجيا المعلومات ، قادرة على الوصول بمنتجاتها إلى الشرق والغرب ، أتراه أملا يقبل التحقيق ؟ أم حلما بعيد المنال ؟!

إعلام المواطن

لكي تكون إعلاميا ؛ لست بحاجة إلى أن يكون لديك مؤسسة ضخمة ، ولست بحاجة إلى الحصول على عضوية النقابات الإعلامية ، كل ما تحتاجه موبايل مزود بكاميرا لتتابع الحدث ، ثم ترفقه إلى المؤسسات الإعلامية الكبرى ، أو إلى مواقع وشبكات التواصل الاجتماعي .

هذا هو الإعلام الذي يمارسه المواطن ، والذي يدشن حقبة جديدة من علاقة وسائل الإعلام مع الجماهير ، حيث لم يعد الإعلام يسير في خط واحد من المرسل إلى المستقبل، وأصبح الإعلام التفاعلي الذي يسير في خطوط متعددة (ثنائي ومتعدد الاتجاه) هو السمة الغالبة لإعلامنا الآن .

وإعلام المواطن هو ذلك النوع من الإعلام الذي يحرره المواطنون الهواة ، الذين تمكنهم الظروف من الوجود قرب الحدث أو في قلب الحدث ، والمواطن الإعلامي هنا ليس بذلك القدر من الاحتراف الذي يمكنه من الإلتزام بحرفية العمل الإعلامي ، وربما ليس بالضرورة على دراية بمواثيق المهنة وتقاليدها ، لكن قيمة ما يقدمه من صور وملفات فيديو مصورة قد تفوق ما يقوم المراسل الرسمي بإعداده لمؤسسته الإعلامية ، وهنا يأتي دور هذه المؤسسات التي لابد أن تخضع هذه الأخبار للتدقيق والفحص قبل أن تقوم بنشرها أو إذاعتها ، حتى لا تتعرض للحرج المهني إذا ما كانت الأخبار والبيانات المرسلة من المواطن الإعلامي غير دقيقة .

وقد سارعت وسائل الإعلام (التقليدية) بفتح قنوات اتصال مع النشطاء الإعلاميين من المواطنين لإمدادها بما لديهم من أخبار ومواد معلوماتية هامة ، فمعظم القنوات التليفزيونية الإخبارية تخصص بريدا إلكترونيا أو أي آلية أخرى للحصول على الأخبار من المواطنين الإعلاميين حتى لا يفوتها بعض الأخبار الهامة التي قد ينفرد المواطنون بها .

فأيٌّ من المؤسسات الإعلامية يمكنها أن تتجاهل الصور الأولى التي تم التقاطها للرئيس الليبي الراحل معمر القذافي بعد القبض عليه عبر كاميرات الهواتف النقالة ، كما أن كثيرا من المواطنين النشطين إعلاميا مثلوا مصادر هامة في أحداث ما عرف بثورات الربيع العربي ، وكان للمدونين المصريين دور كبير في الكشف عن بعض الانتهاكات التي حدثت في بعض أقسام الشرطة ، التي كان لها دور كبير في إثارة اهتمام الرأي العام بها .

وتخصص قناة العربية خدمة (انا أرى) الخاصة باستقبال الملفات المصورة من

المواطنين ، وبدأت الخدمة في فبراير ٢٠١١م ، بهدف تغطية الأحداث في مصر ، لعرضها على قناة العربية والعربية نت ، وذكرت القناة أن الجمهور المصري أرسل أكثر من ١٤٠٠ مقطع فيديو عن أحداث مصر خلال اليوم الأول من تدشين الخدمة ، فكان هناك فيديو من مدينة العريش يظهر فيه تدمير مبنى أمن الدولة بقذيفة «آر بي جي» ثم مظاهرات كبيرة عقب صلاة الجمعة ضمت ١٠ آلاف متظاهر رغم أن عدد السكان بالمدينة لا يتجاوز ١٠٠ ألف شخص، وبمعدل ١٠٠ فيديو لكل ساعة ، كما قامت قناة الجزيرة بإنشاء رابط على موقعها الإلكتروني بعنوان (المواطن الصحفي) يقوم بتلقي الصور والملفات المصورة من المشاهدين لمتابعة أحداث الثورة السورية واليمنية وكافة أخبار الثورات والأحداث الأخرى ، كما تخصص جريدة الوطن باب (فرجان البحرين) لتغطية الأخبار المرسلة من قبل المواطن الإعلامي ، وبالرغم من حاجتها إلى التفعيل إلا أنها تمثل خطوة هامة من الجريدة تقديرا لدور المواطن الإعلامي في التعاطي مع الأحداث .

الفولورز في تويتر حقيقيون
أم (بيض)؟

تشير الأرقام إلى أن مليار تغريدة جديدة في موقع (تويتر) يتم تدوينها في أربعة أو خمسة أيام ، وقد وصل تويتر إلى المليار تغريدة الأولى بعد ثلاث سنوات وشهرين ، وهذا يعني أن نمواكبيرا يشهده موقع تويتر حول العالم ، وقفز ليحتل المركز الثامن عالميا وفقا لتصنيف إليكسا الشهير بعد جوجل الذي يحتل المركز الأول ، ثم فيس بوك ، ويوتيوب ، وياهو ، وبايدو ، وويكيبيديا ، وويندوز لايف بالترتيب ، واكتسب تويتر شهرة واسعة في منطقة الخليج العربي في الفترة الأخيرة ، وأصبح أداة من أدوات التأثير على الرأي العام، وبالتالي التأثير في اتخاذ القرار السياسي ، وقد فطن إلى ذلك العديد من الشخصيات والمؤسسات الرسمية فسارعت بإنشاء حسابات لها على الموقع ، واكتسبت هذه الحسابات شهرة واسعة ، بل وصارت مصدرا مهما من مصادر الحصول على الخبر والمعلومة المؤكدة، ومصدرا مهما من مصادر وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها .

كما ينتشر في عالم تويتر من يمكن تسميتهم بمشاهير مواقع التواصل الاجتماعي، والنشطاء ، والذين ربما يزيد عدد متابعيهم (الفولورز) على المليون متابع ، أو مئات الآلاف من المتابعين ، فما هي دلالات كثرة المتابعين في تويتر ؟

بالتأكيد بعض المغردين يتمتعون بشخصية مؤثرة ، أو يضيف إليهم موقعهم الوظيفي أو مهنتهم قدرا كبيرا من الأهمية ، لكن ليس بالضرورة أنه كلما زاد عدد المتابعين زادت أهمية المتوتر في عالم التغريد الرقمي ، إذ تشير الإحصاءات الرسمية إلى أن أكثر حساب في تويتر حول العالم يحظى بأكبر عدد متابعين هو حساب الليدي جاجا المطربة الأمريكية التي تقوم ببعض الممارسات الإباحية في حفلاتها الغنائية ، حيث يقوم بمتابعتها ٢٤ مليون مغرد وفقا لموقع سوشيال بيكر الذي يتابع أرقام متصفحي أهم المواقع عالميا ، كما أن شاكيرا في المركز السادس و لديها ١٦ مليون متابع ، ويأتي بعدها الرئيس الأمريكي باراك أوباما بحوالي ١٥ مليون متابع .

عربيا هناك بعض رموز الدين الذين يتجاوز متابعوهم مليون فلورز ، كما أن عددا من الحسابات للرياضيين والسياسيين تتجاوز عشرات مئات الآلاف ، ولكن – وهي المعلومة الخطيرة في هذا السياق – ليس كل من زاد عدد متابعيه أنه يحظى بأهمية قصوى ، إذ يعمد بعض العاملين في المجال السياسي والنشطاء إلى شراء المتابعين ، وهناك مواقع

شهيرة تقدم هذه الخدمة نظير مقابل مالي ، فهناك موقع يعرض على المغرد أن يبدأ حسابه بألف متابع مقابل ١٧ دولارا ، وهو موقع Getmorefollows .

وإذا أردت أن يكون عدد متابعيك ٢٥ ألف متابع فإن الموضوع كله لن يكلفك سوى ما يعادل التسعين دينارا بحرينيا ، وهناك موقع آخر يعرض على الراغبين في أن يضيفوا لحسابه خمسة آلاف متابع في خمسة أيام مقابل ٨٠ دولارا أمريكيا ، وهناك عروض وآليات أخرى كثيرة لزيادة المتابعين ، بعضها تقني ، كما أن هناك شركات وأشخاص يقومون بزيادة مدخولاتهم عبر هذه الطريقة .

ولكن من السهولة كشف هؤلاء الذين يشترون المتابعين للمباهاة والرغبة في الشهرة ، فإذا تصفحت اسماء وحسابات متابعيهم تجدها خالية من الصور ، فيما يعرف بانتشار ظاهرة(البيض)لدى المتابعين ، حيث تكون الصورة على شكل البيضة ، كما أن تويتر وضع آلية لحذف هؤلاء المخادعين ، لكن طريقة كشفهم تتسم بالتعقيد .

وزارة التواصل الاجتماعي !

ربما يأتي وقت تسارع فيه الأنظمة والحكومات إلى تخصيص حقائب وزارية تتعلق بمتابعة مواقع التواصل الاجتماعي ، وتقوم بإدارة الحوار عبر شبكة الإنترنت مع المواطنين ، ومع الجمهور الخارجي للتسويق للدولة ومواقفها ، ورؤيتها من القضايا المعاصرة ، وتقوم بخلق وبناء الصور الذهنية الإيجابية ، وتوضيح ما يلتبس من سوء فهم إزاء بعض القضايا ، وذلك بعد ثبوت دور تلك المواقع بشكل كبير في تشكيل الوعي ، وصلاحيتها كوسيط يحمل العديد من الحملات الإعلامية التي يتم التحشيد لها ، وتحقق نتائج سريعة في أوقات قصيرة .

وفي الواقع فإن الدول الغربية التي ليس لديها وزارات إعلام لديها هذه الكيانات التي تتواصل بها مع الشباب والمدونين ونشطاء الإنترنت ، سواءكان هذا الكيان قسما أو إدارة تابعة لوزارة الخارجية ، أو أي وزارة أخرى ، إدراكا منها بأن الوجود في هذه التجمعات الافتراضية كثيفة العدد يحق لها الكثير من الغايات ، بل ويوفر عليها الكثير من الجهد والوقت والمال الذي يمكن إنفاقه في تجمعات ومؤتمرات ومآدب عشاء تحقق نفس الغرض .

أذكر أن الإدارة الأمريكية ومن خلال قسم خاص في وزارة الخارجية الأمريكية والسفارات التابعة لها كانوا يتحاورون مع المدونين من الشباب العربي الساخط على السياسات الأمريكية تجاه العالمين العربي والإسلامي ، خاصة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان ، من خلال حملات منظمة تستهدف تحسين الصورة الذهنية المتردية للولايات المتحدة من جراء تلك الأحداث ، فكانوا يتحاورون مع شبابنا في الوقت الذي تترك أنظمتنا العربية شبابها دون حوار .

إن الأنظمة الحاكمة لم يعد بوسعها الآن أن تسيطر على فضاءاتها الإعلامية كما كان الحال في السابق مهما اتخذت من تدابير ، مما قد يشكل خطرا على الأفكار أو القيم السائدة ، وليس لها أن تراقب كل ما يصل إلى مواطنيها ، فقط أمامها أن تحصن المجتمع من الأخطار التي يمكن أن تفد إليه عبر الحوار والإقناع ، بالحجة والبرهان والحقائق والمعلومات السليمة ، في إطار عملية تشكيل وعي مجتمعي .

إن الدعوات للحوار ليست بالضرورة أن تكون تحت مظلة رسمية ، وليس بالضرورة أن يسبقها حشد إعلامي وسياسي ، فالحوار بين المجتمع بكل مكوناته نظاما وشعبا ليس له وقت محدد ثم ينتهي ، إنها حالة ديناميكية ومتواصلة ، تتطلبها طبيعة الحياة الإنسانية ،

وليس ضروريا أن يكون بوجود الأشخاص المتراصين حول الموائد المستديرة ، فالحوار حالة يمكن أن تكون عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، الذي يمثل وسيطا جيدا وبيئة خصبة لتداول الأفكار ، والنقاش البناء الذي يمكن أن يتم بشكل مدروس وممنهج ، ويحدد له فئات مستهدفة بعد تقسيمها ، ومن ثم تحديد أسلوب الخطاب المناسب لكل فئة وشريحة من هذه الشرائح .

وبطبيعة الحال باعتباري أكاديميا ينتسب إلى مجال الإعلام فأنا منحاز للحريات الإعلامية ، وأن تبقى المؤسسات الإعلامية على اختلاف أنواعها بعيدة عن رقابة الأنظمة الحاكمة ، بل أتفق مع رؤية أن يظل الإعلام بلا وزارة رسمية ، لكنني أقترح على الأنظمة في بلادنا أن توجه جهودها المخططة والمدروسة إلى حيث يقضي الشباب وكل فئات المجتمع أوقاتا كثيرة ، بدلا من هذه الجهود العشوائية التي نراها في مواقع التواصل الاجتماعي ، والتي يفيد بعضها ، وقد يضر البعض الآخر ضررا عاما يتناول المجتمع ؛قيمه ، وثقافته ، وتقاليده .

نائب الرئيس الأمريكي مستهجنا ، لأنه كان ضد تيار الضمير العالمي والرأي العام العالمي ، ويعني تصريحه أنه يعبر عن الإدارة الأمريكية التي يقبع أوباما على قمتها .

- تشير التقارير إلى أن نسبة استخدام القتل الممنهج في باكستان وأفغانستان لاستهداف الأشخاص وقتلهم بواسطة الطائرات بدون طيار تضاعفت – حتى – عن فترة بوش، وهو ما انتقدته الأمم المتحدة بشدة ، واعتبرته متنافيا مع القوانين الدولية وحقوق الإنسان ، التي على رأسها الحق في الحياة .

إذن فما الذي قدمه أوباما للعالم الإسلامي غير الخداع ، والكلمات البراقة ، والتصنع بأنه يقيم جسورا مع هذا العالم الذي يمثل خُمس سكان الكرة الأرضية تعدادا، إن هذا البريق الإعلامي الذي صاحب خطابات أوباما إلينا ما هي إلا شكل من أشكال التسويق والدعاية السياسية التي تمارسها الإدارة الأمريكية ، ويمارسها أوباما نفسه ، وهو ما يعرف بنظرية الحقن تحت الجلد ، يخدر الجماهير ، ويدغدغ مشاعرهم بمعسول الكلام حتى يحصد جوائز السلام(حصل أوباما على جائزة نوبل للسلام) ، ثم يعود إلى الخداع والمراوغة مرة أخرى ، ولكنك يا سيد أوباما لا تستطيع أن تخدع بعض الجماهير كل الوقت، كما أنك لن تستطيع خداع كل الجماهير بعض الوقت .

أعرف أن هناك سؤالا صعبا ربما يطرح نفسه في هذا السياق : ماذا فعل أبناء العالم الإسلامي نفسه ؟ ولماذا ينتظرون من غيرهم أن يقرروا مصائرهم ؟ وأدرك أن الإجابة على هذا التساؤل إشكاليةً في حد ذاته .

الفصل السادس

الولايات المتحدة .. وحيد القرن



لعبة (أوباما) مع العالم الإسلامي

بات واضحا من موقف الرئيس الأمريكي باراك أوباما من القرصنة البحرية التي مارستها إسرائيل على أسطول الحرية مؤخرا أن خطب أوباما الكثيرة الموجهة إلى العالم الإسلامي ما هي إلا خدعة كبيرة ، وأن أحاديثه الناعمة الموجهة إلى المسلمين ما هي إلا تكتيك ، وأن الخطوط العريضة للسياسة الأمريكية واحدة لا تتغير ، وثابتة كما الجبال الرواسي في تأييد إسرائيل على طول الخط .

وكان باراك حسين أوباما قد أتى إلى القاهرة في مثل هذه الأيام من العام الماضي ليلقى خطابه إلى العالم الإسلامي من جامعة القاهرة ، وسبقته حملة إعلامية قوية ، تسوق إلى أن أوباما يريد أن يفتح صفحة جديدة مع العالم الإسلامي ، وقوطع بتصفيق حاد ـ كعادة العرب مع الرؤساء والحكام ـ حينما تلا كلمات من القرآن الكريم ، وحين نطق بلكنة أمريكيةٍ تحية الإسلام ، وقبل خطاب القاهرة كان قد ذهب إلى البرلمان التركي وألقى خطاباً موجها أيضا إلى العالم الإسلامي من هناك ، ويبدو أن الحملة الإعلامية المصاحبة لخطاب تركيا لم تعجبه ، فقرر إعادته من القاهرة !

وبعد عام من خطاب القاهرة ، ماذا فعل أوباما ؟؟ أقول لكم ماذا فعل أوباما :

- رفض أوباما أن يدين عملية القرصنة البحرية التي ارتكبتها إسرائيل في أعالي البحار مع سفن كسر الحصار الظالم على غزة ، واكتفى ـ بقلبه الرحيم ـ بالأسف على مقتل بعض النشطاء !
- رفض أوباما أن يكون هناك تحقيق دولي نزيه لتلك الأحداث ، وطالب إسرائيل أن تقوم هي بهذا التحقيق ، لتنوب عن العالم في تحقيق العدالة !
- رفضت إدارة أوباما مجرد عملية الإدانة بقرار من مجلس الأمن للسياسات الإجرامية التي تقوم بها إسرائيل .
- ناشد أوباما ـ شخصيا ـ أعضاء سفينة (ريتشال كوري) الأيرلندية التي تأخرت لبضعة أيام عن أسطول الحرية أن يقوموا بتسليم السفينة ، وتسليم أنفسهم إلى إسرائيل ، وهو ما يعني إعطاءه الضوء الأخضر لإسرائيل أن تكرر نفس تجربة القرصنة البحرية عليها ، وهو ما تم بالفعل .
- أيد نائب أوباما عمليات القرصنة البحرية الإسرائيلية على سفن كسر الحصار علنا ، حيث كان تصريح بايدن نائب الرئيس الأمريكي مستهجنا ، لأنه كان ضد تيار الضمير

العالمي والرأي العام العالمي ، ويعني تصريحه أنه يعبر عن الإدارة الأمريكية التي يقبع أوباما على قمتها .

- تشير التقارير إلى أن نسبة استخدام القتل الممنهج في باكستان وأفغانستان لاستهداف الأشخاص وقتلهم بواسطة الطائرات بدون طيار تضاعفت ـ حتى ـ عن فترة بوش، وهو ما انتقدته الأمم المتحدة بشدة ، واعتبرته متنافيا مع القوانين الدولية وحقوق الإنسان ، التي على رأسها الحق في الحياة .

إذن فما الذي قدمه أوباما للعالم الإسلامي غير الخداع ، والكلمات البراقة ، والتصنع بأنه يقيم جسورا مع هذا العالم الذي يمثل خُمس سكان الكرة الأرضية تعدادا، إن هذا البريق الإعلامي الذي صاحب خطابات أوباما إلينا ما هي إلا شكل من أشكال التسويق والدعاية السياسية التي تمارسها الإدارة الأمريكية ، ويمارسها أوباما نفسه ، وهو ما يعرف بنظرية الحقن تحت الجلد ، يخدر الجماهير ، ويدغدغ مشاعرهم بمعسول الكلام حتى يحصد جوائز السلام (حصل أوباما على جائزة نوبل للسلام)، ثم يعود إلى الخداع والمراوغة مرة أخرى ، ولكنك يا سيد أوباما لا تستطيع أن تخدع بعض الجماهير كل الوقت، كما أنك لن تستطيع خداع كل الجماهير بعض الوقت .

أعرف أن هناك سؤالا صعبا ربما يطرح نفسه في هذا السياق : ماذا فعل أبناء العالم الإسلامي نفسه ؟ ولماذا ينتظرون من غيرهم أن يقرروا مصائرهم ؟ وأدرك أن الإجابة على هذا التساؤل إشكاليةً في حد ذاته .

بن لادن .. وحقوق الإنسان في الولايات المتحدة

تحاول الولايات المتحدة أن تسوق لنفسها صورة راعية حقوق الإنسان حول العالم ، ولكن الطريقة التي أنهت بها حياة أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة أعطت المجال واسعا للتساؤل عن حقيقة الإيمان الأمريكي بقضايا الحريات الإنسانية .

فهل الولايات المتحدة بالفعل داعية الحقوق الإنسانية في العالم ؟ أم أن سجلها الحقوقي يشوبه الكثير من النقاط السوداء ؟ وهل حديثها المتكرر عن الحالة الحقوقية في العالم ينبع من إيمان حقيقي بتلك القضية ؟ أم أنها تستخدم تقارير انتهاكات حقوق الإنسان للضغط على الدول غير الحليفة لها ؟

وفي المواجهة بين الولايات المتحدة وبين الصين في السنوات الأخيرة ، كانت حقوق الإنسان وسيلة ضغط سياسية على الأخيرة ، وجريمة قتل العمال والطلبة في ميدان السلام السماوي الصيني في ١٩٨٩م عبارة تتردد كثيرا في الخطاب الأمريكي ، وهو الأمر الذي فطنت إليه الصين مؤخرا من خلال قرارها بمواجهة الولايات المتحدة بنفس الأسلوب، وهو إصدار تقرير حقوقي في العاشر من أبريل الماضي تتحدث فيها عن أن الولايات المتحدة رفضت الانضمام إلى كثير من الاتفاقيات الدولية المعنية بحقوق الإنسان ، فلم تصدق الولايات المتحدة على العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أو معاهدة منع جميع أشكال التمييز ضد المرأة كما انها لم تصدق أيضا على العهد الخاص بالأشخاص ذوي الإعاقة والذي صدقت عليه ٩٦ دولة حتى ألان، بحسب التقرير.

كما تحدثت الإدارة الصينية عن فضائح التعذيب في جوانتامو وفي سجن أبي غريب بالعراق ، كما تحدث التقرير عن خضوع الإنترنت لقيود صارمة من الحكومة ، وأنها في حين تدعو إلى حرية الإنترنت في العالم فإن لجنة الأمن الداخلي والشئون الحكومية في مجلس الشيوخ قامت في ٢٤ يونيو ٢٠١٠ م بالموافقة على حماية الإنترنت باعتباره من الأصول الوطنية ، ما يعطي الحكومة الفيدرالية «القوة المطلقة» لإغلاق الانترنت فى ظل إعلان حالة طوارئ وطنية .

وأشار التقرير الحقوقي الصيني أيضا إلى اضطهاد الأقليات في الولايات المتحدة اقتصاديا ، حيث تزيد نسبة الفقر بين الأقلية الأفريقية ، وتعاني الأقليات بحسب التقرير تفاوتا كبيرا في مستوى التعليم وفي برامج الرعاية الصحية .

وهكذا تحولت المسألة الحقوقية إلى وسيلة من وسائل الضغط السياسي ، وآلة من آلات تحقيق المصالح ، كما أن عددا من المنظمات الحقوقية لا تنقل الصورة الحقيقية لبعض الوقائع أو تقوم بتحريفها ، ثم تقوم بعض القوى الكبرى بتوظيفها للضغط على الدول التي كتبت عنها المنظمات هذه التقارير الحقوقية .

ويضاف إلى السجل الأمريكي الحقوقي الأسود طريقة تعاملها مع جثة أسامة بن لادن التي أعلنت عن قتله في باكستان قبل أيام ، ليس دفاعا عن زعيم تنظيم القاعدة ، الذي ربما يكون قد أضر بصورة الإسلام أكثر مما نفعها ، ولكن أي إنسان مهما بلغت درجة إجرامه له حق·وقه الآدمية كإنسان ، وأبسطها أن يدفن وفقا لدينه الذي مات عليه ، لا أن تلقى بجثته لتكون طعاما للأسماك والحيتان ، وقد أدان الأزهر الشريف الطريقة التي تعاملت بها الولايات المتحدة مع جثة بن لادن ، واعتبرها تمثيلا محرما وغير لائق بالإنسان أيا كانت حياته أو جرائمه ، لأن كرامة الميت دفنه ، فهل بهذه الطريقة تحاول الإدارة الأمريكية أن تخفي شيئا عن رواية قتل بن لادن كما يشكك البعض ؟ أم أن عقدة الخوف منه لا تزال تسيطر على الإدارة الأمريكية حتى بعد وفاته ؟

قراءة في خطاب أوباما (1)
حول أحداث البحرين

دائما ما تكون خطابات الرئيس لأمريكي باراك أوباما الموجهة إلى العالمين العربي والإسلامي محاطة بهالة كبيرة من الاهتمام الإعلامي والسياسي ، ودائما ما يسبقها تسويق جيد للخطاب بالطريقة الأمريكية التي تجيد تسويق أفلام هوليود لتحقق ملايين الدولارات من جيوب المشاهدين حول العالم ، حيث يتم الإعلان عنها بفترة ليست قصيرة حتى يحلق الكتاب والمحللون والمتوقعون بخيالهم في ماذا سيقول أوباما ، وما أهم المفاجآت التي سينطوي عليها خطابه ، وما هي أكثر العبارات والجمل التي ستكون مخيبة للآمال .

ووسط هذه الهالة الإعلامية ، ألقى الرئيس الأمريكي باراك أوباما خطابه من وزارة الخارجية الأمريكية الموجه إلى العالم العربي وشمال أفريقيا والشرق الأوسط يوم الخميس الماضي التاسع عشر من مايو الجاري ، مبتدءا حديثة بعبارات إطراء لوزيرة خارجيته هيلاري كلينتون ، وعلى غرار طريقة الأفلام الأمريكية أيضا التي تبدأ بداية مشوقة مثيرة للانتباه بدأ أوباما خطابه بالدعابة ، حين وصف وزيرة خارجية بلاده بأنها حققت مستوى قياسيا من الطيران والتحليق فوق سماء الكرة الأرضية ، وأنها حققت مليون ميل من الطيران المتكرر وهي تحمل رسالة الدبلوماسية الأمريكية !

وسأحاول الوقوف أمام بعض المعالم الرئيسية التي تحدث عنها أوباما الذي يسوق لنفسه على أنه داعية الأمل والسلام في العالم ، كما كان داعية التغيير في الولايات المتحدة حين قرر الأمريكيون إيصاله إلى سدة الرئاسة الأمريكية .

ولن أبدأ بالتعليق على خطابه بما بدأ به ، بل سأبدأ بما ذكره في ثنايا حديثه عن مملكة البحرين ، والأحداث التي درات وتدور فيها ، حيث تنوع حديثه ما بين الإشارات الإيجابية والسلبية ، وما بين الإشارات المباشرة وغير المباشرة .

أما عن الإشارات الإيجابية فأولها الإشارة إلى أن البحرين شريك استراتيجي طويل الأمد للولايات المتحدة الأمريكية ، وأن الولايات المتحدة ملتزمة بأمنها ، وبالرغم من أن كثيرا من سهام النقد توجه إلى الإدارة الأمريكية بسبب موقفها الذي يتسم بالرعونة حينا ، وسياسة مسك العصا من المنتصف حينا آخر ، إلا أن التأكيد على الشراكة بين البلدين ، والتأكيد على حرصها والتزامها بأمن البحرين تبقى له دلالاته الإيجابية ، حتى ولو لم يتجاوز ذلك التصريحات الإعلامية ، كوننا نتحدث عن رئيس دولة عظمى شئنا أم لم نشأ ،

ولها علاقات متشابكة مع أطراف كثيرة في مناطق العالم ، وفي مقدمتها المنطقة العربية ومنطقة الخليج العربي .

ومن إشاراته الإيجابية أيضا أنه أعطى تحليلا دقيقا لما حدث في مملكة البحرين ، حيث أشار أن إيران حاولت استغلال الاضطرابات والاحتجاجات لتنفيذ مخططاتها وأطماعها التي تضمرها على المستوى السياسي ، وتعلنها بشكل فج على المستوى الإعلامي .

كما أنه دافع عن التدابير والإجراءات التي اتخذها النظام البحريني حماية للأمن واستتبابا لدولة لقانون ، حيث أشار إلى أن حكومة البحرين لديها مصلحة مشروعة في الحفاظ على دولة القانون ، وهي قراءة يمكن وصفها بالقبول للأحداث التي أتت عقب محاولة لشل القانون ، كما أن هناك عدد من الإشارات الإيجابية غير المباشرة حيث أورد أوباما في خطابه أمثلة لشعارات ترفع في القاهرة وصنعاء ودمشق وبنغازي وتونس دون أن يورد شعارات أخرى في حالة البحرين ربما ليقينه أن البون شاسع بين ما نادي به المحتجون هناك ، وما حدث من شعارات خالفت كل الوقائع في مملكة البحرين ، غير أن الإشارة إلى الزج برموز المعارضة السلمية في السجون ، كما قال ، مثلت سياسة التناقض الأمريكية خير تمثيل ، فالإشارات الإيجابية السابقة تتعارض مع ما ختم به حديثه عن البحرين !! هذه هي أمريكا المحيرة ! والمتناقضة !

وللحديث بقية

قراءة في خطاب أوباما (2)
أحداث البحرين في الخطاب الأمريكي

كما احتوى خطاب الرئيس الأمريكي باراك أوباما الذي وجهه إلى العالم العربي والشرق الأوسط على إشارات إيجابية عن البحرين فإنه احتوى على بعض الإشارات السلبية التي تحدث فيها عن المعارضة (السلمية) وعن الزج برموزها في السجون ، على النحو الذي تمت الإشارة إليه في المقال السابق ، ومن المهم أن نورد السياق الذي أورد فيه تلك الإشارات ، حيث كان الحديث عن أن الولايات المتحدة لابد أن تتحلى بالمصداقية وهي تتحدث عن رياح التغيير في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، وأ ن تعترف بأن عددا من حلفائها لم يقوموا بتنفيذ المطالب الأمريكية الداعية إلى التغيير والتعبير عنه بالآليات السلمية ، واستند إلى حالة اليمن للتدليل على هذا الطرح ، كما ألمح إلى أن ذلك يحدث وإن كان بشكل جزئي في البحرين .

إن قراءة أوباما للأحداث في البحرين اتسمت بالعمومية والتناقض ، العمومية : إذ تحدث عنها في إطار الحديث عن رياح التغيير التي هبت على كثير من الدول العربية من خلال قيام الشعوب بأكملها بالتظاهر والاحتجاج مطالبين بالتغيير لضمان مستقبل أفضل للجميع ، لكن توصيف الأحداث في البحرين يمكن وضعها في خانة قيام تظاهرة فئوية أرادت إقصاء شريحة كبيرة وهامة في المجتمع البحريني والتي مثلها تجمع الوحدة الوطنية أو تجمع الفاتح ، وأرادت فرض إرادتها فوق إرادة الجميع وفوق إرادة القانون نفسه كما رصد ذلك الكثير من المتابعين ، وتقاطعت في تلك الصورة الأيادي الإيرانية التي خططت أو على الأقل حاولت تصعيد الأحداث لاستغلالها لتحقيق المطامع القديمة الجديدة ، ليس في البحرين وحدها ، وإنما في منطقة الخليج العربي الغني بالنفط .

والعجيب أن خطاب أوباما نفسه أشار لهذه الأطماع ، وأشار إلى خصوصية الموقف في أحداث البحرين ، كما أشار إلى حق الدولة في الحفاظ على الأمن وسيادة القانون .

لقد ألقى أوباما باللائمة على المصداقية ، وهو يبرر إيراده لتلك الإشارات ، وكأنه لن يكون متحليا بالمصداقية وهو يتحدث عن حق الشعوب في تقرير مصائرها إذا لم يقم بتوجيه تلك العبارات للمشهد البحريني ، وهو يثير بذلك علامات استفهام متعددة حول مفهوم المصداقية وفقا لقاموس الدبلوماسية الأمريكية ، فالمصداقية كل لا يتجزأ ، فلا يكفي وأنت تحاول بناء الثقة مع الشعوب العربية أن تتذرع بالمصداقية في جانب ، وتضرب

بها عرض الحائط في الجانب الشرقي للبحر المتوسط حيث توجد أعقد القضايا العربية وأقدمها ، وهي قضية الصراع العربي الفلسطيني التي لن أتحدث عنها هنا بالتفصيل في خطاب أوباما بقدر ما أود الإشارة إلى ما كان ينبغي أن تربط قيمة المصداقية به في السياسة الأمريكية .

إن المصداقية في الحديث عن المشهد البحريني أن تنأى بالخطاب السياسي عن مناورة هذا الطرف أو ذاك ، أن تذكر الحقيقة دون تناقض ، أن تتخلى عن سياسة الإمساك بالعصا من المنتصف ، ولذلك كان من تجليات الخطاب الأوبامي وحديثه عن الحالة البحرينية أن امتلأت صفحات الفيسبوك وتويتر اقتباسات منه ، وكل يأخذ منه ما يتوافق مع وجهة نظره ومنطقه في النظر للأحداث ، كما أن كل طرف أيضا كانت له مجموعة من المآخذ عليه ، وذلكم لأن عباراته المرنة أدت إلى إمكانية تفسيرها بكل الوجوه ، وهو ما أوقع الخطاب في التناقض .

قراءة في خطاب أوباما (3)
الرؤية الأمريكية للتغيير في العالم العربي

احتفى الخطاب الذي وجهه الرئيس الأمريكي باراك أوباما إلى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بموجة التغيير الديمقراطي التي شبهها بموجة التغيير التي حدثت في شرق أوربا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق ، وسقوط حائط برلين في تسعينيات القرن الماضي التي فسرها المحللون الرأسماليون آنذاك بأنها انتصار للرأسمالية ، وأنها نهاية التطور الإنساني في نظريات الإدارة السياسية والاقتصادية للدول ، وانتشرت مقولة فرانسيس فوكوياما عن نهاية التاريخ كما لم تنتشر مقولة من قبل مصاحبة لتلك الأحداث ، فهل ما حدث ويحدث من هبوب رياح التغيير من خلال بروز الإرادة الشعبية للمجتمعات العربية ورفضها لأدوات الفساد ورموزه ومجالاته شبيه فعلا بموجات التحول الديمقراطي في أوربا الشرقية ؟

الحقيقة أننا لا يمكن فصل الخطاب الأمريكي عن الثورات العربية عن محاولة توظيفها من قبل الدبلوماسية الأمريكية التي قامت بالتسويق لنفسها على أنها الداعمة الأولى لإرادات الشعوب ، وراعية الحق الأخلاقي في تقرير الشعوب لمصائرها بالرغم من أن الإدارة الأمريكية الحالية هي التي كانت تتحالف مع بعض الأنظمة التي سقطت أو في الطريق إلى السقوط ، كما لا يخفى على أي محلل سياسي ، وهي نوع من الانتهازية السياسية التي لا تغيب كثيرا عن ملامح السياسة الأمريكية تجاه قضايا الشرق الأوسط الحالية .

واستمرارا لفصول هذه الانتهازية قام أوباما بالربط بين الانتصار الأمريكي على تنظيم القاعدة باغتيال زعيمه أسامة بن لادن وبين تلك الثورات ، حين ذكر أن العنف الذي انتهجته القاعدة لم يستطع أن يحقق التغيير ، ولم يدر أن العنف الذي انتهجته الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان نجح في التغيير ، ولكنه تغيير ارتدادي إلى الخلف ،سقط بسببه آلاف الضحايا ، وتغيرت على إثره موازين القوي في الأقاليم التي تنتسب إليها هاتين البلدتين .

ولم ينس أوباما وهو ينظر للمرحلة الجديدة أن يبرئ ساحة الغرب الذي زعم أنه أنهى الحقبة الاستعمارية للمنطقة منذ ما يقارب النصف قرن متجاهلا كل الوجود العسكري في المنطقة العربية لجيوش الولايات المتحدة وقواعدها المنتشرة في أكثر من بلد تنتمي

للمنطقة التي يوجه الحديث إليها ، بل وزعم أن القادة المستبدون يتركون فقط الحرية لشعوبهم ليلقوا باللائمة على المشروع الصهيوني في المنطقة العربية ، في اختزال غريب لقضية الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية ، وفي تنصل واضح من الدور المعيب الذي وقفته الإدارات الأمريكية المتعاقبة من قضية فلسطين ، وإشهارها سلاح الفيتو في مواجهة أي قرار يدين الممارسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة .

وتصل المراوغة الأمريكية ذروتها حين تحدث عن دولة فلسطينية تولد من رحم الأمنيات العربية بوجود كيانها على حدود ١٩٦٧، وشرط ذلك بمبادلة أراضي بين الإسرائيليين والفلسطينيين ، وبالرغم من هذا القيد إلا أن إسرائيل هبت لمقاومة رؤية أوباما ، مما اضطره في مؤتمر منظمة الإيباك اليهودية الأمريكية يؤخر قدما ، وهو يشرح للوبي الصهيوني كيف أن هذه الدولة الفلسطينية على حدود ٦٧ ستكون مشروطة بتبادل الأراضي الذي لا يتم إلا بموافقة إسرائيل ، وأن فلسطين الوليدة ستكون منزوعة السلاح ومقلمة الأظافر ، ولن يكون لها حدود مع العرب الأشرار !!وبالرغم من ذلك رفض الإسرائيليون واليهود الأمريكان رؤية أوباما للدولة الفلسطينية لتتعثر هذه الرؤية على وقع التصريحات الإسرائيلية .

إن خطاب أوباما عن أحداث الشرق الأوسط جاء وكأننا في منطقتنا العربية نبحث عن أيديولوجيا توحدنا ، وعن نسق فكري يمثل غطاء نظريا لتحولاتنا السياسية والاجتماعية !!

الدعاية الأمريكية حول العالم

أبرع دولة في العالم في الدعاية هي الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث تحاول التأثير على الرأي العام العالمي ، بأن يتبنى نفس وجهة النظر الأمريكية للأحداث حول العالم باعتباره الموقف العقلاني المتوافق مع الأعراف الدولية ، والمتوافق مع المواثيق الدولية ، وأهمها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، حيث تروج الولايات المتحدة أنها دولة (حقوقية) ، ولحقوق الإنسان ـ وربما الحيوان أيضا ـ مساحة واسعة في قاموسها السياسي والثقافي، وتروج أيضا لدعمها لما تسميهم ب(الحقوقيين) حول العالم ، في حين أن أبسط حقوق الإنسان ـ وهو الحق في الحياة ـ مهدر على أيدي القوات الأمريكية في مناطق متفرقة حول العالم ، في العراق ، وأفغانستان ، واليمن ، وأي مكان توجد به عناصر تنظيم القاعدة وطالبان ، وكل من يضمر الشر لها .

وتاريخيا لم تقم دولة في تاريخ البشرية بعملية الإبادة الجماعية باستخدام القنبلة النووية سوى الولايات المتحدة الأمريكية التي دمرت هيروشيما وناجازاكي في الحرب العالمية الثانية ، وتسبب في أكبر كارثة بيئية لم يشهد لها التاريخ مثيلا ، وبالرغم من ذلك استطاعت الدعاية الأمريكية عبر آلتها الجبارة أن تجعل العالم ينسى كل هذه المآسي، وقامت بالتسويق للولايات المتحدة على أنها بلد الأحلام وبلد الحريات ، والدولة التي تساعد المظلومين حول العالم من أجل سواد عيونهم ، وليس من أجل سواد النفط القابع في طبقات أراضيها !!

وتنتهج الولايات المتحدة في دعايتها أسلوبا متفردا ، ومختلفا عن الدعاية التي كان الاتحاد السوفيتي السابق ينتهجها والتي كانت قائمة على نظرية رد الفعل ، ومختلفا عن الدعاية النازية التي اعتمدت على مدرسة التحليل النفسي لفرويد ، أما الدعاية الأمريكية فإنها تخلط بين الدعاية ووسائل التثقيف والتوعية ، حيث تتوجه إلى النخبة المؤثرة في كل دولة ، وتنشر مراكزها الثقافية وجامعاتها التي تقدم خدمات ثقافية وتعليمية ، وتجعلها بؤرا يتمحور حولها النشاط الدعائي الذي هو ليس بالضرورة دعاية مباشرة ، وليس بالضرورة دعاية سياسية .

وقد تعاملت شخصيا ـ منذ سنوات ـ مع إحدى هذه المؤسسات التي كان من المفترض أنها تقدم دورات منتظمة في مهارات اللغة الإنجليزية ، لكن المحاضر – وهو أستاذ جامعي أمريكي – دائما ما كان يشرد بحديثه ليتحدث عن الثقافة الأمريكية ، والعظمة الأمريكية

، لدرجة أنه جاء بخريطة الولايات المتحدة ذات يوم ، وجعل يعرفنا بكل ولاية على حدة ، وكان الغطاء طبعا تنمية حصيلة المتدربين اللغوية ، والقدرة على تناول سائر الموضوعات باللغة الإنجليزية .

ونحن هنا لا ننكر الأدوار الجيدة التي تقوم بها المراكز الثقافية للدول المتقدمة في بلادنا ، أو الجامعات الأمريكية والألمانية وحتى الروسية التي انتشرت في أقطارنا العربية ، لكننا في معرض تنوير الرأي العام بأدوار أخرى تقوم بها تلك المؤسسات الثقافية في عقول شبابنا ، ونطرح تساؤلا حالمًا : هل يمكن إنشاء جامعة عربية في واشنطن ونيويورك وبرلين وباريس ولندن وغيرها من العواصم ؟ وهل يمكننا رؤية المراكز الثقافية العربية وهي تنتشر في عواصم العالم ومدنها الشهيرة ، لتعلم مرتاديها لغتنا العربية ، ونرى إقبالا كبيرا على مراكزنا حول العالم مدفوعا بصورة ذهنية جذابة حول العرب والدول العربية ؟

لقد ساعد الولايات المتحدة في دعايتها السياسية وتسويقها لصورتها المرتبطة بأنها (أرض الأحلام) وسائل إعلامية كونية ، وتقدما اقتصاديا ، وعسكريا، وسينمائيا ، لا نسطيع عزله عن مقومات نجاح الآلة الدعائية الأمريكية .

الفصل السابع

على ضفاف السياسة



هل ستكون إسرائيل عضوا في جامعة الدول العربية ؟؟

هل تستغربون هذا السؤال ؟؟ هل ستكون إسرائيل يوما عضوا في جامعة الدول العربية؟ وهل القمة العربية الأخيرة التي عقدت في مدينة سرت الليبية والتي خرجت ببيانات قوية تركت فرصة سانحة لإعادة طرح هذا السؤال ؟؟ وهل تعلمون أن شيمون بيريز رئيس إسرائيل والحائز على جائزة (نوبل للسلام) !! نعم ليس هناك خطأ مطبعي .. أن بيريز طلب ذات يوم من الدول العربية أن تقبل بوجود إسرائيل عضوا في تجمعهم الإقليمي ، حتى لو أدى الأمر إلى تغيير مسمى الرابطة الإقليمية إلى كيان (شرق أوسطي) جديد ، وأما عن جائزة السلام التي أخذها بيريز لمن خانته ذاكرة الأحداث فقد أخذها عن تحطيمه للبنان في قانا في عملية شهيرة سميت بخريف الغضب ، استحق جائزة نوبل للسلام عن آلاف البيوت التي هدمها ، عن تكسير عظام الأطفال في فلسطين ولبنان ، عن مباركته لتجريف آلاف البيوت للمدنيين الفلسطينيين ، استحق جائزة السلام عن آلاف أشجار الزيتون التي قامت جرافاته الغادرة باقتلاعها حتى لا يكون هناك رمز للسلام غير سلامه الذي يفهم ، استحقها عن مباركته لإصدار عشرين ألف أمر هدم لمنازل العرب الفلسطينيين في القدس الشرقية ... ولتذهب مشاعر الفلسطينيين الذين يحلمون بأن تكون مدينة السلام هذه عاصمة لدولتهم التي ربما لن تظهر إلى الوجود إلا بعملية ولادة قيصرية إلى حيث تذهب، ولتذهب من ورائهم مشاعر مليار ونصف المليار مسلم من الذين يقدسون القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين إلى حيث ما تذهب .

بالله عليكم ألا يستحقون جوائز السلام التي نعرف والتي لا نعرف ؟؟ألا يستحقون أن نفتح لهم أبواب جامعتنا العربية مرحبين ؟

في مؤتمر القمة العربية الأخير في سرت الليبية قام عمرو موسى أمينها العام ليذكر أن السياسة هي فن الممكن ، وأننا نحن العرب بإمكاننا أن نفعل الكثير ، بإمكاننا أن نكون فاعلين لا مفعولا بنا على طريقة قاعدة النحو الشهيرة ، بإمكاننا أن نخلق تكتلات إقليمية ودولية يمكنها من التعاون مع عدالة قضايانا ، ولن يحرم عالمنا من منصفين يشتاقون للحق والعدل ، ويصرخون في وجه الظلم والبغي ،

في مؤتمر القمة الأخير قام رجب طيب أردوغان بوصف الحماقات الإسرائيلية في القدس بالجنون ، وأنها تشعل ليس القدس وحدها ، وإنما فلسطين كلها ...بل تشعل العالم

الإسلامي بأسره ..فكان رجلا حينما يعز الرجال ...

اقترح الرئيس اليمني أن يكون هناك اتحاد عربي يحل محل الجامعة العربية ، على غرار الاتحاد الأوربي ، وكأن العرب الذين تجمعهم قواسم مشتركة كثيرة ، عامل اللغة، وعامل الثقافة ، وعامل التاريخ المشترك ، وعامل المصير المشترك ، وعامل الجغرافيا ... كلها لم تشفع لوحدة قوية تأخرت كثيرا أن يبزغ فجرها ...أوربا التي أنهكتها الحروب الطاحنة توحدت اقتصاديا وسياسيا ، بالرغم من أن هناك نيفا وثلاثين لغة بين دولها، وقوميات وعرقيات متعددة ....أهي الإرادة الغائبة إذن ؟؟؟ أم ماذا يحول دون وحدة حقيقية بين أبناء لغة الضاد .

لمست في أجواء القمة العربية الأخيرة نوبة استيقاظ ... حتى لوكان بالتصريحات والكلام ... فما لايدرك كله لا يترك كله ...وذلك بسبب جدية المخاطر التي تحدق بأمة تملك سر قوتها ... وتملك مجدا تليدا لا أقل من أن تتواصل حلقاته.. قبل أن تكرر إسرائيل طلبها الانضمام إلى جامعة الدول العربية .

الرئيس الفلسطيني
خادم المسجد الأقصى

لا يوجد وصف مرادف لمنصب قيادي في العالم مثل الوصف الذي يقترن بملك المملكة العربية السعودية ، حيث لا يذكر اسمه إلا مقترنا بلقب (خادم الحرمين الشريفين) ، وهو نوع من التكريم والتشريف يناله كل ملك سعودي ، كما شرف الله تلك البقعة من العالم باحتضانها بيت الله المعمور بالخلائق التي تهوي أفئدتهم إليه استجابة لدعوة أبينا إبراهيم عليه السلام ، ولا شك أن ملوك ورؤساء وحكام البلدان الإسلامية يغبطون خادم الحرمين الشريفين على هذا اللقب ، كما يغبط كل مسلم في العالم كل من يحمل جواز سفر سعودي ، عليه شعار التوحيد ، يمكنه من أداء الحج والعمرة في أي وقت يشاء .

وإذا كان الإسلام لا يقدس مسجدا معينا ، ولا يأمر المسلمين بشد الرحال إلي المساجد ، لأن الأرض كلها مسجدا وطهورا ، ولأن العبرة بما في قلب المسلم ، إلا أن هذه القاعدة لها استثناء ورد في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا (أي المسجد النبوي) ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » فإنني أطالب من خلال هذا المقال أن يقتدي رئيس فلسطين الحبيبة بخادم الحرمين الشريفين في المملكة العربية السعودية ، ويخلع على نفسه لقب (خادم المسجد الأقصى) فهو شرف غير مستثمر سياسيا كما في حالة الحرمين المكي والمدني ، وفي اعتقادي أن المسلمين الآن في تحديد علاقتهم بالمسجد الأقصى يحتاجون إلى ما هو أكثر من مجرد لقب ، لكن هذه الفكرة لو تحققت لترتب عليها ما يلي :

١ - تذكير أي شخص يتولى رئاسة السلطة الفلسطينية الآن ، أو يتولى رئاسة الدولة الفلسطينية المتعثرة ولادتها على أيدي الأمريكان والصهاينة في المستقبل ، بأن عليه واجبا يتعلق بالأمة الإسلامية كلها ، وهي الحفاظ على المسجد الأقصى ، وخدمته ، وأن مهمته الرئيسية تهيئة السبل ، إن عاجلا أم آجلا ، أمام من يرغب من المسلمين من زيارته دون أن يطبع في جواز سفره الخاتم الإسرائيلي البغيض .

٢ - إحياء مكانة المسجد الأقصى لدى ملايين المسلمين حول العالم ، الذين سيسمعون لا شك كثيرا في نشرات الأخبار لقب خادم المسجد الأقصى الرئيس الفلسطيني ....، وتذكيرهم الدائم بأن هناك مكانا يستحق من القداسة والإجلال ما يجعلهم يسعون دائما من أجل تحريره لأنه منتهى إسراء النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ومبتدى

معراجه إلى السماء ، وهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين .

٣ ـ بتقديري أنه إذا تم ذلك الأمر فستكسب القضية الفلسطينية نقطة هامة من نقاط القوة في حلبة الصراع المحموم وغير المتكافئ بين الأطراف الفاعلة ، وهي النقطة المتصلة بالمد الشعبي ، المتمثل في دعم الجماهير للمسجد الأقصى ، ومساندتهم لخادمه .

٤ ـ سيعطي هذا الأمر بلا شك الرئيس الفلسطيني نوعا من التكريم والتشريف ، ليكون عوضا عن مواقف الضعف والضغوط السياسية التي تتعرض لها القيادة الفلسطينية من الإسرائيليين أو الوسيط الأمريكي غير النزيه في أحيان كثيرة .

فهل سيكون محمود عباس أبو مازن هو أول من ينال شرف لقب (خادم المسجد الأقصى) ؟؟ ، باعتباره ثالث المقدسات الإسلامية ؟ أم سيؤجل بانتظار (قائد) يخلع على نفسه هذا اللقب ؟

(الإسلاموفوبيا)
وقراءة في محاولات حرق القرآن

كان يوم السبت الماضي ١١ سبتمبر يوما عصيبا لعدة أسباب ، أولها أنه يمثل الذكرى السنوية التاسعة لهجمات ١١ سبتمبر التي مثلت نقطة فاصلة في التاريخ المعاصر ، ونقطة فارقة في التأريخ للأحداث ، حيث ظهرت الكتابات التي تؤرخ للأحداث بما قبل ١١ سبتمبر ، وما بعدها ، وثانيها : لأن هذا اليوم كان الموعد الذي حدده القس جونز المعتوه لإعداد (حفلة) لحرق المصحف الشريف ، بالرغم من أنه اعترف أنه لم يعرف شيئا عن القرآن، ولم يقرأ فيه شيئا ، والإنسان كما هو معلوم عدو ما يجهل ، ولو أنه كلف خاطره وقرأ شيئا من آياته الحكيمات لأيقن أن هذا الكتاب كتاب سلام وحب ، وصلاح وإصلاح، لكن الميديا الغربية وآلتها الجبارة لا تسوق إلا صورة نمطية عن المسلمين وكتابهم المنزل من الله تعالى على رسولنا الكريم .

إن ظاهرة (الإسلاموفوبيا) أو الخوف من الإسلام بدأت تستشري في المجتمعات الغربية كسريان النار في الهشيم ، وتشير كلمة (الإسلاموفوبيا) إلى الخوف والهلع المبالغ فيهما وغير المبررين من الإسلام والمسلمين ، وهي ظاهرة غربية المنشأ يتم الترويج لها بين الحين والآخر من قبل قادة الرأي وصانعو القرار في المؤسسات الغربية للترويج لصورة ذهنية نمطية وغير حقيقية عن الإسلام والمسلمين لتكون ذريعة للتحامل عليهما ، وللضغط على الأقليات المسلمة في البلدان الغربية في مواجهة المد الإسلامي المتنامي في تلك المجتمعات بالرغم من كل محاولات النيل والتشهير بالدين الإسلامي ورموزه ، وهي حقيقة يعترف بها من يؤمن بنظرية المؤامرة أو لا يؤمن بها ، ويتعرف عليها كل راصد لتصريحات بعض المسئولين في الغرب ، وبعض الممارسات والتدابير التي يتم من خلالها التضييق على الأقليات المسلمة ، أو حتى التعرض لهم بالإيذاء المباشر أو غير المباشر .

ويدخل الإعلام طرفا في مثل تلك الأحداث ، حيث سلطت الأضواء على القس ومؤتمراته الصحفية ، حتى صار حديث الإعلام في كل مكان ، وهو تحليل البيت الأبيض لشخصيته أنه باحث عن الشهرة على حساب احترام الأديان ، لكن تحذير البيت الأبيض لم يكن من أجل سواد عيون المسلمين ، وإنما حرصا على أرواح الجنود الأمريكيين الذين يحاربون (الإرهاب) في أفغانستان ، وحرصا على المصالح والسفارات الأمريكية حول العالم .

وكان تراجع القس الأمريكي عن (حفلة) حرق المصحف مقابل التراجع عن إقامة

مركز قرطبة الإسلامي المزمع إنشاؤه قرب مكان مركز التجارة العالمي الذي انهار ، لكن كثيرا من الذين تستهويهم الشهرة والأضواء حاولوا تقليد هذا القس الموتور ، وقام البعض بالفعل بحرق عدة صفحات من القرآن الكريم ، وتم إرفاق هذه المقاطع في موقع يوتيوب .

والسؤال الذي يجب أن نسأله لأنفسنا الآن كمسلمين : لماذا يحاول خصوم الإسلام حرق القرآن الكريم ؟ هل هو الحقد الأعمى ؟؟ أم العنصرية الدينية البغيضة ؟ أم أن الحريات الدينية في بلد تفخر بأنها بلد الحريات بدأت تتهاوى وتترك مكانا واسعا للتطرف؟ وأيا كان الدافع فإن الحقيقة المؤكدة أن قوة المسلمين تكمن في هذا الكتاب الخالد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، إنه مصدر القوة والعزة والتقدم لنا ، ومهما حاول أعداؤه النيل منه فإن الله تعالى تكفل بحفظه ، وقال (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

تونس .. والرهانات الغربية الخاسرة

الإطاحة بزين العابدين بن علي على أيدي الثوار التونسيين يمثل فترة جديدة من فترات تعامل الشعوب مع حكامها المستبدين ، وتمثل انهيارا لحاجز الخوف وعدم الثقة في إحداث التغيير لدى الشارع العربي ، وربما يشير إلى أن الحقبة القادمة ستكون لتلك الشعوب التي تمتلك الإرادة لإحداث التغيير نحو الأفضل ، ولدفع الحكومات والأنظمة لأن تقدم مصالح شعوبها وتنمية بلدانها على مصالح تثبيت دعائم الحكم وتقديم قرابين الطاعة والولاء للقوى الغربية التي تظن أنها تحميها من شعبها .

والذي حدث في تونس يشير في قراءته الأولية إلى عدة أمور :

أولا : أن الأنظمة التي تستمد شرعيتها من إعلان ولائها للمعسكر الغربي لا تأوي إلى ركن شديد ، وإنما ترتكن إلى وهم وسراب ، فالرئيس التونسي الهارب زين العابدين بن علي كان لديه تفاهمات ومصالح وتحالف مع فرنسا والولايات المتحدة والمجتمع الغربي ، وكان الغرب يرى في تونس النموذج الحداثي الذي يتقاطع مع الثقافة والمصالح الغربية .

ثانيا : أن اللغة الوحيدة التي يفهمها الغرب في التعاطي مع الأنظمة العربية هي لغة المصالح ، وأقصد هنا المصالح الغربية وحدها ، فبالرغم من زعمهم بأنهم رعاة الديمقراطية والحرية إلا أن تلك النظريات سرعان ما تتهاوى إذا لم تحقق لهم ديمقراطيات الدول النامية ـ إن وجدت ـ مصالحهم الخاصة ، وعوضا عن ذلك يقومون بدعم بعض الأنظمة الاستبدادية التي تحقق لهم مصالحهم ، وتنفذ استيراتيجياتهم .

ثالثا : أن الغطاء السياسي الذي يقدمه الغرب لأنظمة غير ديمقراطية هو غطاء هش ، سرعان ما يكشف عورات النظامين إذا ما هبت رياح التغيير الشديدة كما حدث في الشقيقة تونس ، فكم من المرارة والغصة التي يمكن تخيلها لدى بن علي وهو يجوب مطارات أوربا ليهبط في إحداها هربا من شعبه الثائر ضده ، وفي حين استعدت بعض الدول الخليجية لاستقباله ، وفتحت له المملكة العربية السعودية بابا يواري فيه عجزه وعواره ، وفي حين صرح القذافي بعدم رضاه عن الطريقة المهينة التي أخرج بها رفض ساركوزي الحليف الأقوى له أن تهبط طائرته على أرض فرنسا ، بل وأبلغ ابنته التي كانت تقيم في إحدى فنادق باريس أن وجودها ووجود أي شخص من عائلة الرئيس التونسي المخلوع غير مرحب به ، كما أبدى أوباما إعجابه بشجاعة وكرامة الشعب التونسي على حد قوله انطلاقا من لغة المصالح ، ولغة الواقع الجديد الذي فرضته إرادة أشقائنا في تونس الخضراء .

رابعا : يمكن قراءة التخوف الغربي غير المعلن من المستقبل السياسي في تونس ، لأن الغرب سرعان ما يكفر بالحرية والديمقراطية إذا ما وصل الإسلاميون مثلا إلى السلطة ، أو كان لهم وجود فاعل فيها ، وسرعان ما يندد بالنظام إذا خرج عن عباءة الغرب ، لذلك سارعت فرنسا في بدايات العملية السياسية في تونس بالقول بأن لديها علم بالتطورات الدستورية الجارية ، كما قد يفهم من عبارات الثناء الأمريكية للشعب التونسي ، والتصريحات البريطانية بأنها كانت توجه الانتقاد الدائم لبن علي على أنها لون من ألوان التزلف للشعب، واستثمار للأجواء الاحتفالية الشعبية لمحاولة بناء علاقة طيبة مع النظام الجديد .

خامسا : أغرب المواقف التي ترى أن كل انتصار شعبي عربي هزيمة لها هو موقف الكيان الإسرائيلي الذي أعرب وزير بنيته التحتية عن تخوفه أن يصل الإسلاميون للحكم ، وصرح رئيس وزرائه أن ما حدث في تونس يدل على أن إسرائيل تعيش في (بيئة غير مستقرة) !!

شروط الانتخابات الحرة والنزيهة

تقوم نظرية (الانتخاب الطبيعي) للعالم البريطاني تشارلز داروين على نظرية التطور والارتقاء ، حيث يشير الاصطفاء الطبيعي إلى العملية التي تقوم بتفضيل سمة وراثية لتصبح أكثر شيوعا في الأجيال اللاحقة ، أما السمات المورثة غير المفضلة فتصبح أقل شيوعا ، فالكائنات الأسرع عدوا أو الأقوى هي الأقدر على البقاء ، وإنتاج أجيال لاحقا من النمط المفضل ، وذلك في رحلة هذه الكائنات للكفاح من أجل الحياة .

وإذا كانت هذه هي نظرية الانتخاب الطبيعي في علم الأحياء فإن المفهوم لا يختلف كثيرا عن الانتخاب في عالم السياسة ، وذلك لأن مفهوم الانتخاب في لغتنا العربية يشير إلى الاختيار والاصطفاء والانتقاء ، حيث جاء في لسان العرب : انتخب الشيء أي اختاره ، والنخبة ما اختاره القوم منهم .

وفي علم السياسة فالانتخابات لا يتفق الباحثون لها على مفهوم محدد ، إلا أنهم يتفقون على أنها أداة مهمة من أدوات الحصول على مجتمع ديمقراطي ، فالديمقراطية هي مجموعة من الإجراءات والمؤسسات التي يستطيع الأفراد من خلالها المشاركة في عملية صنع القرارات السياسية عن طريق التنافس في انتخابات حرة ، فالانتخابات بذلك هي إحدى أدوات الديمقراطية ، وإحدى تجلياتها في الوقت ذاته .

وإذا كانت كل المجتمعات سواء كانت ليبرالية أم شمولية تستخدم الانتخابات في قاموسها السياسي ، فإن واحدا من علماء السياسة هو(ديفيد باتلر) قد حدد شروطا ستة لأن تكون الانتخابات فعالة وحرة ونزيهة :

أولا : حق التصويت العام لكل المواطنين البالغين

ثانيا : دورية الانتخابات وانتظامها

ثالثا : عدم حرمان أي جماعة من تشكيل حزب سياسي أو جمعية سياسية ، والترشح للمناصب السياسية

رابعا : حق التنافس على كل مقاعد المجالس التشريعية

خامسا : حرية إدارة الحملات الانتخابية على وضع لا يحرم فيه القانون ولا وسائل العنف المرشحين من عرض آرائهم وقدراتهم ولا الناخبين من مناقشة تلك الآراء

سادسا : تمكين الناخبين من الإدلاء بأصواتهم وسط جو من الحرية والسرية وفرز الأصوات وإعلانها بشفافية وكذا تمكين المنتصرين من مناصبهم السياسية حتى وقت

الانتخابات التالية .

وبالنظر إلى هذه الشروط نجدها متوفرة في الحياة السياسية البحرينية ، حيث نص القانون على أن لكل مواطن بحريني حق التصويت في الانتخابات لا يستطيع أحد أن يحرمه من ذلك الحق ، كما أن دورية الانتخابات متحققة منذ التجربة الديمقراطية التي قادها جلالة الملك في العهد الإصلاحي ، كما ن حرية تشكيل الجمعيات السياسية مكفول لكل طوائف المجتمع ، إلى آخر مواصفات واشتراطات الانتخابات الحرة والنزيهة .

وإذا كانت الانتخابات التكميلية التي تجرى في مملكة البحرين هي انتخابات جزئية ، وفاز عدد من المترشحين بالتزكية في بعض الدوائر ، فإن بقية الدوائر بحاجة إلى حسم هذه المعركة الانتخابية الشريفة من خلال صناديق الاقتراع ، فعملية التصويت سلوك إيجابي ينم عن رقي وتحضر وإيمان بالحق في ممارسة الحقوق السياسية التي يكفلها الدستور والقانون .

ولا نجزم بأن الانتخابات وحدها كفيلة بخلق المجتمع الديمقراطي المنشود ، ولكنها تشكل لبنة من لبنات المجتمع الديمقراطي السوي ، والذي لا تتشكل ملامحه بدون تلك الانتخابات .

الديماجوجية السياسية

جاء في قصة الفيلسوف اليوناني القديم (بروتاجوراس) الذي كان بارعا في فن الجدال والخطابة ، أنه كان له تلميذ يدعى (أواثلس) وقد اتفق معه تلميذه أن يعلمه الأول فنون الجدال والبلاغة والخطابة مقابل مبلغ من المال ، يدفع التلميذ نصفه مقدما ، ويدفع النصف الثاني حينما يتمم تخرجه ، ويزاول العمل ، ويكسب أول قضية يترافع فيها أمام القاضي والمحكمة ، حيث كان تعلم مهارة الخطابة والجدال مؤهلة له للترافع أمام القضاء عمن يمثلون أمامه ، لكن التلميذ (أواثلس) بعدما تعلم فن الجدل والبلاغة والخطابة وجه أول سهامه إلى معلمه ، ولم يترافع في أي قضية أمام القضاء ، فرفع أستاذه عليه دعوى يطالبه فيها ببقية أجره ، وقال : إن ربح أواثلس الدعوى فهو ملزم بدفع بقية الأتعاب بناء على الاتفاق المعقود بينهما ، وإن خسر التلميذ الدعوى فهو ملزم بدفع بقية الأتعاب بحكم المحكمة ، وتلك مقدمة كبرى في علم المنطق ، أما المقدمة الصغرى فأواثلس إما أن يكسب الدعوى أو يخسرها ، والنتيجة أنه يجب عليه دفع الأتعاب في أي من الحالتين .

فلم يكن من التلميذ الذي تعلم الجدال وفنونه إلا أن واجه أستاذه بمنطق آخر حين قال : إذا ربحت الدعوى لا يتوجب علي أن أدفع شيئا بناء على حكم المحكمة ، وإذا خسرت الدعوى لا يتوجب علي أن أدفع شيئا بناء على الاتفاق المعقود بيننا ، وتلك مقدمة كبرى ، أما المقدمة الصغرى فهي إما أن أربح الدعوى أو أخسرها ، والنتيجة أنني لا يتوجب عليّ أن أدفع شيئا في كلتا الحالتين ..ويقال إن القاضي حار في كيفية الفصل بينهما فاضطر إلى تأجيل الدعوى مائة عام !!

الجدير بالإشارة أن هذا الفيلسوف وتلميذه كانا من طائفة تدعى (السوفسطائيون) الذين كان بمقدورهم إثبات الشيء ونقيضه في آن واحد ، ويعتمدون على الازدواجية المتناقضة ، التي تؤدي بدورها إلى التضليل السياسي والأخلاقي ، وقد تصادم فكر أفلاطون وأرسطو وسقراط مع فكر السوفسطائيين ، واعتبر الفلاسفة السابقون ما يفعله السوفسطائيون نشر للفساد الاجتماعي والأخلاقي والسياسي .

ورغم مرور آلاف السنين على نشوء تلك المدارس الكلامية التي تتلاعب بالكلام ، والمنطق ، والحقيقة ، إلا أن أي مجتمع لا يخلو من هؤلاء الذين يمارسون هذه الديماجوجية السياسية التي تقوم بتضليل الجماهير ، ويمارسون التغيير والتبديل في السياسات والآراء والمواقف تبعا للمصلحة والمنفعة ، فالانتخابات النيابية إن شاركنا فيها فهي رمز

للديمقراطية ، ووجه من وجوه تمثيل الشعوب ، وإن لم نشارك فيها فهي باطلة لا تمثل المجتمع تمثيلا حقيقيا ، بل ويدعون الآخرين إلى مقاطعتها .

والديماجوجية هي مجموعة الأساليب والخطابات والمناورات والحيل السياسية التي يلجأ إليها بعض الساسة لإغراء الشعب أو الجماهير بوعود كاذبة أو خداعه وذلك ظاهرياً من أجل مصلحة الشعب أو الجماهير ، وعملياً من أجل الوصول إلى الحكم ، و قد اعتاد الكثير من السياسيين اللجوء لاستخدام أساليب السفسطة واللعب على مشاعر ومخاوف الشعوب، ويعتبر بعض السياسيين أفضل من غيرهم وربما محترفون في ذلك ، وعليه فهي خداع الجماهير وتضليلها بالشعارات والوعود الكاذبة ، والقدرة على اتخاذ الموقف ونقيضه ، وإقناع الجماهير بصحة هذا الموقف في الحالتين ، وهذه بعض ألاعيب السياسة .

هل نحن مع توجيه
ضربة عسكرية لإيران ؟

بعد التقرير الذي أصدرته الوكالة الدولية للطاقة الذرية عن الأنشطة النووية الإيرانية ـ وقبله في واقع الأمر ـ كثرت التصريحات التي تنادي بتوجيه ضربة عسكرية استباقية لإيران ، كونها تهدد السلم والأمن الدوليين ، وكانت تسريبات لمضمون التقرير الذي أعد عن الأنشطة النووية الإيرانية إلى صحيفة (ستاندارد) النمساوية قد أزعجت السلطات الإيرانية ، واتهم ممثل إيران لدى الوكالة (علي أصغر سلطانية) مدير الوكالة شخصيا (يوكيا أمانو) بأنه مسئول عن ما أسماه الاختراق الأمريكي والغربي للوكالة ، وأن التقرير ومحتوياته التي سربت تنطوي على كثير من الأكاذيب .

والتقرير وإن كان لا يشير صراحة إلى امتلاك أدلة قاطعة على المسار العسكري للأنشطة النووية في إيران ، إلا أنه لا ينفي أن هناك شواهد وأدلة يمكن الوثوق فيها على أن هناك أبعادا عسكرية محتملة للبرنامج النووي الإيراني ، وأن عدم التعاون الإيراني مع الوكالة ، وعدم تنفيذ البروتوكول الإضافي لمعاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية كانا سببين رئيسيين لجعل الوكالة غير قادرة على التأكد بشكل قاطع من عدم وجود مواد أو أنشطة نووية غير معلن عنها .

غير أن التقرير أشار إلى معلومات لدى الوكالة تفيد بأن إيران بدأت بتنفيذ أنشطة مرتبطة بإنتاج قنبلة نووية في أواخر عام ٢٠٠٣ م ، وأن هناك احتمالا قويا لعدم توقف هذه الأنشطة حتى الآن .

وكان نتانياهو رئيس وزراء الكيان الإسرائيلي قد صرح لقناة (فوكس نيوز) أن إسرائيل تعد لتوجيه ضربة لعدد من المنشآت النووية في أصفهان وقم ، وضرب عدد من معامل جامعة طهران ، واغتيال عدد من العلماء الإيرانيين ، واعتبر أن إيران تمثل التهديد الإرهابي الرئيسي ، كما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإقامة أكبر مناورة عسكرية مشتركة مع إسرائيل والتي ستستمر لمدة اسبوعين كما تم الإعلان عن ذلك ، والغرض منها اختبار مدى القدرات الإسرائيلية لصد أي هجوم محتمل عليها ، وخاصة استخدام لرصد الصواريخ الأرض ـ أرض ، واستخدام تكنولوجيا الرادار(إكس)التي تستخدم لرصد الصواريخ القادمة من على بعد مئات الكيلومترات .

وكثرت التكهنات بأن حربا وشيكة يتم الإعداد لها الآن بين إيران والمجتمع الغربي ، وفي

ظل هذه الظروف رفضت طهران المعلومات الواردة في التقرير ، وقال نجاد إن إيران لن تتراجع قيد أنملة عن البرنامج النووي الإيراني ، في خطوة اعتبرت تحديا للمجتمع الغربي وتصعيدا للغة الحوار بين إيران من جهة و المجتمع الدولي من جهة أخرى .

على المستوى العربي ، كان يمكن لإيران أن تجد من يساند قضيتها لو لم تنتهج هذا النهج العدائي تجاه الدول العربية ، والعبث بمعتقداتهم إلى الحد الذي أوصل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر وغيره من علماء المسلمين أن يحذروا من خطورة النشاط الإيراني لنشر المذهب الشيعي بين المسلمين السنة ، نحن لا نتمنى لإيران – وهي دولة مسلمة في نهاية المطاف – أن تقوم إسرائيل – وهي العدو الحقيقي للعرب والمسلمين – بتوجيه ضربة عسكرية إليها تدخل المنطقة برمتها في حسابات معقدة قد يضيع معها الأمن لسنوات عديدة ، نحن كمسلمين وعرب لن نشمت في إيران إذا ما ووجهت بعدد من الإجراءات التي يبدو أنها لن تفلت منها ، ولكننا نهيب بها أن تتعلم من أخطائها ، وأن تقيم علاقات حسن جوار مع جيرانها الذين وجهت لهم سهامها ، بدلا من أن توجهها إلى العدو الحقيقي .

هل تستطيع إيران حقا
إغلاق مضيق هرمز؟

أثارت تصريحات إيران بأن إغلاق مضيق هرمز أسهل من شربة ماء ردود فعل واسعة، كونها تمثل منحىً مختلفا في السياسة الإيرانية التي دأبت على المراوغة وإطلاق المبارزات الكلامية خلال السنوات الماضية ، فهل حقا تستطيع إيران أن تغلق مضيق هرمز الذي لا يتجاوز عرضه الخمسين مترا ، والذي تمر منه ناقلات النفط من ثمان دول تطل على الخليج العربي إلى العالم الغربي؟ وتمر منه أكثر من ٤٠ ٪ من احتياجات العالم للنفط ، وتعبره سفينة عملاقة محملة بالنفط كل عشر دقائق؟ أم أنها تعبير عن شعور بالإحباط السياسي نتيجة لكثرة الضغوط الغربية على إيران ، وأهمها العقوبات الاقتصادية التي أفقدت الريال الإيراني حوالي ٤٠٪ من قيمته أمام الدولار في الشهر الماضي فقط .

أعتقد أن إيران (تغامر) سياسيا بمثل هذه التصريحات غير المحسوبة ، فهي تدرك قبل أي طرف أن خطوة كهذه بإمكانها أن تقلب الطاولة عليها ، وتكون مقدمة لحرب لا قبل لها بها ، حيث أن هذه التصريحات العدائية ليست فقط موجهة إلى الغرب ، بل تتناقض مع المصالح والسيادة العربية والخليجية ، وبالقطع فلن يسمح أي طرف لإيران أن ترتكب هذه المغامرة .

عمليا عملية إغلاق المضيق سهلة التنفيذ بالنسبة لإيران ، لكن تبعات هذه الخطوة هي ما لا يقوى على مواجهته النظام الإيراني ، فالمسألة حيئذ لا تتعلق بالعنتريات الكلامية بقدر تعلقها بالمنطق والأعراف السياسية ، وإيران تدرك أن الغرب ربما يتمنى أن تقدم إيران على تلك الحماقة ، حتى تتوفر لها ذريعة قوية لإقامة تحالف دولي يقوم ب(تحرير) المضيق ، واحتلال شريط ساحلي في الأراضي الإيرانية لتأمين حركة الملاحة الدولية في المضيق ، وانتهازها فرصة لتوجيه ضربات موجعة للأحلام العسكرية الإيرانية .

وقد أدركت إيران الآثار السلبية لتلك التصريحات ، فحاولت التهدئة ، والتراجع خطوة إلى الخلف حينما شعرت أن تصريحاتها ألبت عليها الرأي العام العربي والدولي ، وحينما أدركت أن روسيا والصين (الحليفين الرئيسيين لإيران) لن يكون بمقدورهما مساندة إيران في حرب خاسرة مع أطراف المجتمع الدولي .

وتدار معركة كلامية أخرى بين كل من إيران والولايات المتحدة فيما يمكن تسميته بـ (صراع الإرادات) ، حيث ترغب إيران في بسط سيطرتها على الخليج العربي بنفطه

ومضيقه ، في ظل رفض عربي مباشر لتلك الإرادة ، وفي ظل إصرار غربي على تأمين هذه المنطقة الاستيراتيجية من العالم ،من خلال إعلان الولايات المتحدة عن إعادة حاملات الطائرات الأمريكية إلى منطقة الخليج العربي ، وهو ما جعل مسئولي إيران يعلنون أنهم سيتخذون (إجراءات) إذا ما عادت حاملات الطائرات الأمريكية .

إن هذه التصريحات الإيرانية المتعاقبة التي تصعد فيها لهجتها ماهي إلا تنفيس عن الظروف الاقتصادية الخانقة التي بدأت تظهر آثارها بعد تدافع الإيرانيين على تحويل عملاتهم الوطنية إلى الدولار والعملات الأجنبية الأخرى بعدما تراجعت العملة الوطنية ، نتيجة للعقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران ، والتي هي نتاج لسياسات إيرانية لا تجيد قراءة الواقع ، سياسة تحاول تجميع الأعداء ، لا كسب الأصدقاء ، وتراهن على تقدم محسوب ومرصود على الصعيد العسكري ، وبضعة مناورات على ضفاف المضيق .

عروبة وأمن الخليج

هل الهوية العربية لدول الخليج العربي مهددة ؟ وهل أمنه في خطر ؟ هذان هما السؤالان البارزان اللذان حاول مؤتمر (عروبة وأمن الخليج العربي) الذي أقامته جمعية الوسط العربي الإسلامي السياسية أن يجيب عليه ، من خلال مجموعة من ورقات العمل التي ألقيت في المؤتمر ، وحضره كثير من الباحثين والمعنيين بالشأن السياسي والأمني الخليجي والعربي .

أما عن الهوية العربية لدول مجلس التعاون الخليجي ؛ فإنها ليست محل نقاش ، حتى إن بعض الحاضرين تحفظ على التسمية ، لكن الواقع يشير إلى محاولات مستميتة من بعض القوى الإقليمية ، ومن يدور في فلكهم ، لطمس هذه الهوية ، وخلق هوية سياسية جديدة للبحرين ، هؤلاء هم الذين لا يحبون الجهر بالقول بعروبة الخليج ، وإذا ظهر أحدهم في وسائل الإعلام ، فإنه يكتفي بذكر الخليج دون وصف ، حفاظا على علاقته مع تلك القوى ، لكن الأغلبية الكاسحة من الشارع البحريني لديها عقيدة راسخة بأن مملكة البحرين ، وقد أعزها الله بالعروبة والإسلام ، لن تكون مجردة من هويتها يوماً ، ولن تعمل إلا في محيط إقليمها العربي الخليجي ، والتي تمثل هي وحدة مهمة من وحداته السياسية .

وأما عن الأمن الخليجي فإن أحدا لا يمكنه تغافل الأحداث التي مرت وتمر بها المنطقة العربية فيما عرف بالربيع العربي ، وتداعيات تلك الأحداث على المنطقة بأكملها ، خاصة بعد محاولات القوى الإقليمية والدولية تحقيق أكبر استفادة ممكنة من هذه الأحداث لتحقيق مآربها ، حدث ذلك مع إيران والولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ، فإيران حاولت تصوير نفسها أنها راعية ما أسمته بالصحوات الإسلامية المشروعة ، وأن نجاح تلك الثورات يمثل نجاحا للثورة الخومينية في إيران ، بل وامتداد لها ، وكادت بعض الشعوب أن تخدع بهذا المنطق إلى أن جاءت الثورة السورية وكشفت سوءة المواقف السياسية الإيرانية من الربيع العربي ، وبينت تناقضات المنطق السياسي الإيراني الذي يرتكن لمحددات طائفية بالأساس ، ويغذي الاحتقان الطائفي في المنطقة العربية .

وحدث الشيء ذاته مع الولايات المتحدة الأمريكية التي حاولت استخدام نفس المنطق الإيراني في تحقيق المكاسب السياسية الوهمية ، وحاولت تسويق نفسها أنها الراعي الرسمي لرغبات الشعوب العربية الطامحة إلى الحرية ، والداعم لها ضد الأنظمة الديكتاتورية ، ونسيت ـ أو تناست ـ أنها كانت الراعي الرسمي لكل الأنظمة العربية التي سقطت ، وأنها

كانت الصديق المقرب لبن علي ومبارك وصالح الذين انقلبت عليهم .

أما إسرائيل فإنها تدعم كل ما يمزق مجتمعاتنا ، فهي أكثر المستفيدين من إشعال نيران الفتن الطائفية في بلادنا ، وأكثر الرابحين من الصراع السني الشيعي في المنطقة العربية ، لأنها تدرك أن كل ضعف يصيب الجسد العربي والإسلامي ، يتحول إلى مكمن قوة لديها ، وبعضنا للأسف يستميت من أجل تحقيق مزيد من الفرقة بين صفوفنا ، دون أن ينتبه إلى أن مزيدا من تشتتيت مجتمعاتنا ما هو إلا تحقيق لأهدافهم ، وأن تقويض أمننا تكريس لتحقيق أمنهم وأمانيهم بالسيطرة الكاملة على مقدراتنا .

تلكم كانت بعض الأفكار التي اعتملت لدي أثناء وبعد متابعتي لجلسات مؤتمر عروبة وأمن الخليج العربي الذي جاء في توقيت هام ، دون أن يفوتني الإشادة بقيادات وأعضاء جمعية الوسط العربي الإسلامي التي قامت على تنظيم المؤتمر .

هل حقا لإيران دورٌ في العدوان الإسرائيلي على غزة ؟

أشارت بعض التقارير والتحليلات الإعلامية مؤخراً إلى وجود علاقة ما بين قيام الكيان الإسرائيلي بتوجيه ضرباته الوحشية على غزة مؤخرا ، وبين قيام حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بفك ارتباطها مع الحليف الإيراني والسوري ، وفسر البعض الضربات الإسرائيلية بأنها تدبير إيراني للانتقام من حماس التي نقلت مقرها من دمشق ، ووقفت مع المقاومة السورية ضد نظام بشار الأسد ، من خلال إعلان إسماعيل هنية خلال خطبته في الجامع الأزهر حيث قال « تحية إلى الشعب السوري البطل الذي يسعى إلى الحرية والديمقراطية » وذلك في جمعة إنقاذ الأقصى ونصرة الشعب السوري في ٢٤ من فبراير الماضي .

والواقع أن الربط بين العدوان الإسرائيلي على غزة وبين الانتقام الإيراني من حماس يحتاج لمزيد من المناقشة للأسباب التالية :

أولا : يصور هذا الربط إيران وكأنها قادرة على التحكم في أطراف الصراع ومعادلاته في منطقة الشرق الأوسط ، وأنها ليس فقط تستخدم بعض الأطراف والأحزاب العربية، وبعض النشطاء في مجال حقوق الإنسان ، بل إن لديها القدرة على استخدام إسرائيل نفسها لتحقيق أهدافها ، بالرغم من أن الواقع يقول بأن إيران دولة محاصرة دبلوماسيا ، وتعاني من أزمة اقتصادية طاحنة بعد عدد من العقوبات على المؤسسات الاقتصادية بها ، وبعد تراجع العملة الإيرانية لمستويات قياسية في الشهور الماضية .

ثانيا : أن العدوان الإسرائيلي السافر على غزة لم يفرق بين (جهادي) أو (حمساوي) ، كما لم يفرق بين شيخ وطفل ، ولا بين رجل وامرأة ، بالرغم من التصريحات الإسرائيلية باستهداف خلية تابعة لحركة الجهاد الإسلامي ، كما أن طبيعة الكيان الإسرائيلي الغدر ، وليس بحاجة إلى ضغط من إيران ولا من غيرها .

ثالثا : أنه على افتراض أن إيران بإمكانها أن تبدأ صراعا في فلسطين بين الحركات الفلسطينية وإسرائيل ، لكنها لا تستطيع التحكم في مسارها ، ولا يمكنها التنبؤ بغايتها ، كما أن سؤالا بالإمكان طرحه : هل يمكن إيران بالفعل تحقيق أهدافها بالتغطية الإعلامية على الثورة السورية ، من خلال سحب البساط الإعلامي منها ، لتحتل القضية الفلسطينية الواجهة السياسية والإعلامية ، وتتوارى أحداث سوريا بما يمكن نظام الأسد من ممارسة

المزيد من القمع لتصفية الثورة ، لكن إيران تدرك جيدا – على افتراض صحة التحليل – أن صراعا مع إسرائيل في هذا التوقيت تصعب محاصرته ، وقد يعود بانتكاسة قوية على ما كان يسمى بـ (محور الممانعة) ! المتمثل في حزب الله البناني ونظام الأسد في سوريا .

رابعا : أعتقد أن الصراعات التي تديرها إيران خارج حدودها ما هي إلا محاولات تنفيس يائسة عن الضغوط الداخلية ، والتي تنبع من العامل الاقتصادي بالأساس ، والضغوط الدولية الناتجة عن أمرين :

- الطريقة التي تدير بها إيران ملف الطاقة النووية ، والتي لا تروق للقوى الغربية .
- الموقف المساند لنظام الأسد باستماتة ، وآخرها قافلة الطائرات المحملة بالمساعدات العسكرية والغذائية والتي وصلت إلى الأسد عبر الأجواء العراقية ، فيد إيران ملطخة بالدماء السورية ، وكل ما تفعله من إثارة للقلاقل هنا أو هناك إنما هو تنفيس عن الإخفاق في انتشال النظام السوري من مستنقع الدم النازف هناك .

الحرب الطائفية الباردة

هل ما يحدث بين السنة والشيعة في العالم الإسلامي يمكن تصنيفه على أنه حرب باردة بين مذهبين ؟ أم أن التوصيف الدقيق له أنه حرب بين كيانات سياسية تستخدم المعتقد المذهبي للترويج لأيديولوجيتها السياسية ؟ وهل حقا يمكن توصيف العلاقات بين إيران ودول الخليج العربي والعراق وتركيا ومصر وغيرها من الدول على أنها (حرب طائفية باردة) ؟

في البداية لابد أن نعرف الحرب الباردة ، حتى يمكننا الحكم على ما يحدث في إقليمنا ، حيث عرفت الحرب الباردة كمصطلح يستخدم لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق منذ فترة الأربعينيات حتى التسعينيات من القرن الماضي ، وانتهت بتفكيك الاتحاد السوفيتي إلى عدة دول أشهرها روسيا التي ورثت كثيرا من مظاهر القوة العسكرية والدبلوماسية عن الاتحاد السوفيتي السابق ، واعتبرت هذه النهاية نجاحا للولايات المتحدة في صراعها مع المعسكر الشرقي بأكمله .

وإذا ما طبقنا هذا المفهوم على ما يحدث في بلادنا فإننا سنجد صراعا وتوترا بين الكيانات السياسية التي تستخدم المعتقد المذهبي للترويج لأفكارها ، وتحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من مصالحها ، حتى ولو تعارضت مع الآخر المسلم الذي ينتسب لمذهب آخر .

وما يثبت صحة هذا التحليل أن المسلمين الأوائل كان فيهم السني والشيعي والمعتزلي والأشعري وغيرهم ، وذلك وقت أن كان المسلمون رواد الحضارة ومصدرها ، واعتبر هذا الاختلاف مظهرا صحيا من مظاهر التنوع الفكري ، حيث كان الخلاف عقليا وفلسفيا ، ولم يكن عقديا ، بحيث لم يشكك أحدهم بإيمان الآخر ، أو على الأقل لم يشهر سيفا في وجه أحد بدعوى اختلافه معه في الرأي أو المعتقد ، أو المذهب .

إذن فقضية الصراع متعلقة بإرادة السيطرة والهيمنة ، وامتلاك القوة ، وهذا كله جيد إذا ما وجهت هذه القوة إلى الأعداء الحقيقيين للأمة الإسلامية ، أما إذا كانت الرغبة في السيطرة والهيمنة موجهة إلى بعض الدول المسلمة ، وهو ما تفعله إيران على سبيل المثال، فإن المستفيد الأول من هكذا صراع هم الأعداء الحقيقيون للمسلمين ، الذين يريدون تشتيت الجهود ، وتمزيق الصف ، ويفهم في هذا السياق تغذية بعض الأطراف الغربية للصراع السني الشيعي ، لأنه يحقق لهم كل أهدافهم ، كما يؤيد هذه الرؤية ما ذكره

ليبرمان وزير الخارجية الإسرائيلي من أن الخطر الحقيقي والعدو الحقيقي لإسرائيل مصر وليست إيران ، على اعتبار أن ما تقوم به إيران من تدخل في شئون دول الخليج العربي ، واحتلال لبعض أراضيها ، وما تشنه من حملات إعلامية على العرب ، إنما هو متوافق مع المصالح والأهداف الإسرائيلية التي يسعدها اتساع هوة الخلاف بين المسلمين، لأنهم حينذاك سينشغلون بمعاركهم الداخلية ، ولن يكون لقضايا مثل تحرير القدس ، أو مساندة القضية الفلسطينية ، وجود على قائمة أولوياتهم .

إن ما يحدث في بلادنا من حرب طائفية باردة تستخدم فيها المنابر والمآتم والقنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية على اختلاف مسمياتها لهو أمر بالغ الخطورة ، وإذكاء هذه النزاعات عبر التصريحات والممارسات السياسية غير المسئولة يطيل أمد هذه الحرب غير المعلنة ، ويقدم لأعدائنا الحقيقيين فرصة ذهبية للتخلص منا جميعا ، بعد أن تخور قوانا ، وتستنزف مواردنا .

من ضد الاتحاد الخليجي ؟ ولماذا ؟

سؤالان مهمان : من هم الذين يقفون في وجه فكرة قيام الاتحاد الخليجي الذي أعلن عن البدء بأولى مراحله ؟ ولماذا يرفضون فكرة الوحدة التي هي مصدر القوة ، و مبدأ أصيل من مبادئ الدين الإسلامي ، حيث يقول الله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) فلماذا يرفض البعض تحقيق مبدأ إسلامي هام ، وهم الذين يعلمون أن في الاتحاد قوة ، فهل يريدون لدول الخليج العربي بشكل عام ، ومملكة البحرين بشكل خاص أن تكون ضعيفة ، وإذا كانوا يريدون ذلك بالفعل فلصالح من يكون هذا الضعف ؟

وفي محاولة تقديم إجابة على السؤالين الرئيسين الواردين في عنوان هذا المقال يمكن القول بأن من يغضبه فكرة الاتحاد الخليجي ينقسمون – في تصوري – إلى ثلاثة أنواع :

أولا: العدو الحقيقي للعرب والمسلمين ، والذي لا يروق له أن يرى مظاهر الوحدة بين الدول العربية أو بعضها ، ولا يعجبه أن تنشأ منظومة سياسية واقتصادية وعسكرية فاعلة يكون لها دورها المؤثر في القرارات التي تتعلق بهذه المنطقة الهامة من العالم ، وأقصد بهذا العدو: الكيان الصهيوني ، ومن يسانده من القوى الغربية العالمية التي لا تتحمس لفكرة قيام اتحاد فيدرالي أو شبه فيدرالي بين دول الخليج العربي ، خاصة في ظل تقارير تفيد بتخصيص ميزانيات ضخمة لتسليح جيش الدول الخليجية بأحدث المقاتلات والمعدات العسكرية .

ثانيا : إيران التي ليس فقط تخشى من قيام الاتحاد الخليجي ، بل وتحاول بشتى الطرق تعويق عملية الاتحاد ، من خلال آلة الإعلام التي تسبح في فضاء المنطقة العربية، وتضم أكثر من أربعين قناة فضائية تليفزيونية ، وعدد من الصحف التابعة لها ، وذلك من خلال تسمية الأشياء بغير مسمياتها ، كالقول بإدماج البحرين أو تذويبها في المملكة العربية السعودية ، وتدرك إيران أن قيام كيان سياسي كهذا الكيان من شأنه إثارة قضية الجزر الثلاث الإماراتية التي تحتلها إيران ، ومن المؤكد إن إيران من السهل عليها التلاعب بهذا الملف إذا ما كان الطرف الآخر دولة واحدة هي الإمارات ، أما إذا كان الطرف الآخر يمثل قوة سياسية وعسكرية واقتصادية بحجم الكيان الذي سيجمع دول الخليج العربي فإن كثيرا من موازين القوى ستختلف في التعامل مع هذا الملف .

ثالثا : بعض الذين يرتبطون بشكل أو بآخر مع إيران ويدافعون عن توجهها العام في المنطقة من سكان الخليج العربي حتى وإن لم يصرحوا بذلك ، والذين يقومون بحملات

إعلامية وسياسية لتعويق فكرة الاتحاد الخليجي ، وهم بالمناسبة لم يكتفوا بالحملات الإعلامية والسياسية ، بل أطلق بعضهم التهديدات باتخاذ إجراءات تصعيدية إذا ما تم الإعلان عن قيام الاتحاد الخليجي !

أما سؤال لماذا ، فبالنسبة لإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية التي من المتوقع أن لا ترحب بإعلان الاتحاد ، أو ربما تقوم بانتقاده ، فإنه يهدم لديهم نظرية (فرق تسد) التي ما برحوا يستخدمونها مع كل بقاع العالم العربي والإسلامي ، وأما إيران فتعترض على الاتحاد لأنه سيعمل على الإخلال بموازين القوى في المنطقة ، ويجعل موقفها أضعف مما كانت عليه من قبل ، وهما تبريران مفهومان ، أما التبرير غير المفهوم فهو أن ترفض بعض القوى التي تعيش في بلدان الخليج العربي هذا الاتحاد !

غالبية البحرينيين يؤيدون الاتحاد

(نحن من اهل الشيعة الشرفاء نؤيد الاتحاد الخليجي قلبا وقالبا ونريد العيش بأمان نحن وأبناؤنا) كانت العبارة السابقة إحدى تعليقات القراء على مقال لي سابق عن الاتحاد الخليجي ، فصلت فيه القول عن أنواع الذين يعترضون على تحقيق هذا الحلم ، وفي الحقيقة لم تفاجئني العبارة التي علق بها القارئ الكريم على المقال ، فأنا أعلم الكثيرين من أبناء الطائفة الشيعية الكريمة الذين يؤمنون حتى النخاع بعروبة هذا الوطن ، ولا يرون له امتدادا سوى في عمقه الخليجي والعروبي ، دون أن تمتد أعناقهم شرقا لتصافح الأحلام الإيرانية ليس بابتلاع البحرين وحدها ، ولكن السيطرة على أجزاء كبيرة من الأراضي العربية .

تتضح الأحلام الإيرانية وتدخلاتها في الأراضي العربية البحرينية التي لم يسجلها تقرير السيد بسيوني من خلال تصريحات متعددة ، بعضها فج تفوح منه رائحة الكراهية والبغضاء ، مثل تلك التي صرح بها بعض نوابهم ومسئوليهم بأن البحرين من حق إيران وليست من حق المملكة العربية السعودية ! ، وكأن البحرين لابد لها أن تكون تابعة لأحد ، أو هكذا يصورون ، ويسير خلفهم مجموعات من الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، لكن الرد عليهم أن البحرين دولة عربية مستقلة ذات سيادة ليست من حق إيران ولا السعودية، ولا من حق أحد ، فلها إرادتها المستقلة ، وشعبها الحر الذي يقرر ما يشاء ، بما في ذلك قرار الاتحاد مع الظهير العربي ، والامتداد الخليجي الطبيعي لها كدولة عربية خليجية .

ومن الخطأ الجسيم أن نضع الطائفة الشيعية الكريمة كلها في سلة واحدة ، حيث يوجد الكثيرون من أمثال هذا القارئ الكريم الذي علق مؤيدا للاتحاد الخليجي ، لأنه - وغيره الكثيرون - يعلمون أن لو - لاقدر الله - تسلطت إيران فستحصد الأخضر واليابس ، وستمارس عنصريتها التي اشتهرت بها مع غير الفرس ، حيث أن ساستهم يعتقدون - كما كان هتلر يعتقد أيام ألمانيا النازية - أنهم شعب الله المختار ، وبالتالي يستحقون تمييزا على سائر الأجناس والشعوب .

وفي لقاء لي بأحد رجال الدين الشيعة الذين أعتز بمعرفتهم ندد لي بما يقوم به البعض من حرق للإطارات ، وإغلاق للشوارع ، وتلويث للهواء النقي الذي يستنشقه الأطفال ، وقال لي بالحرف الواحد : إن هؤلاء يتاجرون بالدين ، ولما كان في جلستنا رئيس تحرير إحدى الصحف اليومية الهامة في مملكة البحرين ، اقترحت على الأخير أن يقوم بتقديم هذه

النماذج الرافضة لعنف الشوارع عبر الإعلام والصحافة ، واقترحت أن يتم حوار صحفي فورا تسجل فيه هذه الآراء التي أنا على يقين أنها لدى قطاع عريض من الناس ، ولكن المفاجأة أن هذا الشيخ اعتذر برفق ، متعللا بأنه لو تم حوار كهذا فإن بيته وعائلته سيكونان تحت التهديد !

ومما ذكره لي الشيخ الوقور أنه حينما كان يدرس في مدينة (قم) كان الشيوخ الإيرانيون ينظرون إلى العرب نظرة دونية !! ، بالرغم من أنهم ينسبون لدراسة العلوم الشرعية ، التي تحث المسلمين على المساواة بينهم ، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح .

وغالبية أفراد المجتمع البحريني - شيعة وسنة - يؤيدون الاتحاد الخليجي قلبا وقالبا ، ويؤيدون الخطط الرامية إلى الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي التي بوسعها أن تصل بالبحرين إلى تجاوز المرحلة الراهنة ، ويريدون أن يعيشوا بسلام وأمان .

الفصل الثامن

هموم عربية



الأسد .. وبيت العنكبوت

يظن الرئيس السوري بشار الأسد أنه يأوي إلى ركن شديد ، وهو يحتمي ببعض البلدان والأحزاب التي يواجه بهم شعب سوريا العظيم ، ما بين قتل جماعي ، وتشريد وتهجير ، حتى صار السوريون لاجئين في تركيا والأردن فرارا من الموت من قبل النظام ، والذريعة هي الحفاظ على دولة ما يسمونه بـ (الممانعة) ، ألا تبا لهذه الممانعة التي تقتل شعبا بأكمله، وتبا للممانعة إذا كان ثمن الحفاظ عليها تشريد شعب كريم كالشعب السوري الشقيق .

ثم ماذا تعني كلمة الممانعة ، ولماذا يسوق النظام السوري لنفسه بأنه حامي حمى المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي ، هل هي وسيلة من وسائل الدعاية السياسية تلوكها وسائل الإعلام لتجميل صورة النظام السياسي ؟ إن كل عربي ومسلم في أي دولة (يمانع) مهادنة المحتل الإسرائيلي ، وكلنا نقاوم صلفه وغروره وظلمه لإخواننا في فلسطين ولبنان، بل والجولان الذي لم تستطع (دولة الممانعة) على مدى نصف قرن تقريبا أن تحررها بممانعتها ومقاومتها للمد الصهيوني في الأراضي العربية ، ولكننا في الوقت ذاته نمانع أن يلقى الشعب السوري هذا المصير المؤلم ، على يد نظام وصفته بعض الدوائر الإعلامية والسياسية بأنه يماثل نظام القذافي في ليبيا .

فعلى من يراهن النظام في سوريا ؟ هل على قوات الباسيج الإيرانية التي تقتل أبناء سوريا تقتيلا في خطوة أدانتها القوى السياسية الدولية ، كالاتحاد الأوربي والولايات المتحدة وتركيا ، واعترف بها بعض علماء الدين الإيرانيون ، وأصدروا فتاوى بتحريم مساندة النظام السوري الذي يقتل ويشرد شعبه ، أم على قوات حزب الله اللبناني الذي نُجِلُّه من موقفه من قضية مقاومته للمحتل الإسرائيلي ، وندينه بشدة من موقفه مما يحدث في سوريا الآن .

لقد وقف زعيم حزب الله الشيخ حسن نصر الله وهو يتحدث عن مؤامرة تتعرض لها سوريا ، وعن جهود الإصلاح التي يقوم بها النظام السوري في نفس الخطبة التي ادعى فيها أن قتلا يمارس ضد الشعب البحريني كل يوم !! ألهذا وصل التناقض في المواقف السياسية، أن يدافع عن القتل في سوريا ، ويزعم أن هناك قتلا يوميا في البحرين ؟؟

لقد بات جليا أن غطاء سياسيا ولوجستيا وميدانيا يقدم إلى النظام السوري ممن ارتكن إليهم ، وهو بذلك يذكرني بمثل ضربه الله تعالى في القرآن الكريم بمن اتخذوا من

دون اللّه أولياء ، واستندوا إلى غير الحق والعدل ، مثل العنكبوت التي اتخذت لنفسها بيتا يحميها مصنوع من الدوائر الكثيرة ، والخطوط المعقدة ، لكن هذا البيت هش لا يستطيع الصمود طويلا ، فأمام أول ريح تقضي على معالمه ، لأنه أوهن البيوت (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)

ثم يأتي بعد ذلك وليد المعلم وزير خارجية سوريا ليقول في مؤتمر صحفي : سننسى أن هناك قارة في الكرة الأرضية اسمها أوربا ، وسنتجاهل وجودها ، ردا على عقوبات أقرها الاتحاد الأوربي على النظام السوري ، فهل سينسى أيضا أن هناك جارة مسلمة اسمها تركيا ، وهل سينسى النظام السوري أن هناك عالما إسلاميا وعربيا يتعاطف مع قضية الشعب السوري ويدعمه ، وهل بوسع النظام السوري أن ينسى أن هناك ضميرا عالميا إنسانيا يرفض كل تلك الانتهاكات ، أشك في ذلك ، فإن نسوا فإن التاريخ لا ينسى .

الأسد .. ورهاناته الخاسرة

يخطئ بشار الأسد حينما يراهن على استبعاد الخيار العسكري أمام المجتمع الدولي كما حدث في ليبيا استنادا إلى ما تزعم الحكومة السورية أنه توازن للقوي الإقليمية ، بحكم طبيعة العلاقة بين دمشق وطهران من ناحية ، ودمشق وحزب الله من ناحية أخرى، واستنادا إلى ما يظن أنها ورقات سياسية يمكن بها أن يلاعب جميع الأطراف المعنية بالموقف المتأزم في سوريا .

فعلى من يراهن النظام السوري للاستمرار في ممارسة القمع الوحشي تجاه شعبه طيلة هذه الفترة الزمنية ، يفتح فيها السجون للحبس والتعذيب والتنكيل ، ويستبيح دماء الشعب السوري الشقيق ، ويحاصر فضاءهم الأرضي بالدبابات وكأنها ساحة حرب لم يشعلها بهذه القسوة على هضبة الجولان المحتلة منذ نكسة ١٩٦٧م ، وكأن بشار يطبق مقولة الشاعر (أسد عليّ وفي الحروب نعامة) ، فهو أسد على شعبه ، أما أمام إسرائيل التي تحتل أرضه و تستحق أن يجيش لها الجيوش ، ويعد لها الخطط ، فهو ساكن لا يتحرك.

ثم إن المستقبح في مواجهة الشعب السوري من قبل نظام الأسد الذي يترأسه بشار، وشقيقه ماهر الأسد ، الذي يسيطر على الحرس الجمهوري ، والرجل القوي في سوريا كما يشاع عنه ، أنهم يستخدمون كل شيء وأية وسيلة لتحقيق غاية واحدة ، وهي بقاء عائلة الأسد في الحكم ، يستخدمون حتى الزوارق الحربية لإسكات أفواه الشعب السوري في واحدة من عجائب النظام السوري في معركته للبقاء في السلطة .

فهل تراه يراهن على هدوء موجة الغضب والاحتجاج العارمة أمام وحشية القمع ، هل يراهنون على الزمن ، بمعنى أنه كلما طال أمد الأزمة كلما كانت هناك فرصة لتسوية الأزمة ؟ أم يراهن على الدعم الإيراني غير المحدود لقواته ومواقفه ؟ أم يراهن على الموقف الروسي الباحث عن دور متآكل مخالف لأي موقف تتبناه الولايات المتحدة الأمريكية؟

وربما يكون الرهان أيضا على الصمت العربي العجيب ، بالرغم من أن التقارير تشير إلى تشابه في الموقف السوري والموقف الليبي قبيل اتخاذ قرار أممي بدعم عربي بالتدخل العسكري في ليبيا ، إن لم يكن المشهد السوري الآن أكثر سوءا وضبابية من المشهد الليبي قبيل التدخل الدولي ، فهل حقا يمسك بشار ومعاونوه بعدد من الخيوط والأوراق ؟ كما صرح أحد أبواقهم الإعلامية بأن لدى سوريا أوراقا يمكن بها أن تلاعب العالم ، وقال إن ورقة سوريا في الخليج العربي هي تحريك النزاع السني الشيعي ، وبعد ذلك تم توجيه اللوم

لذلك الإعلامي بحجة أنه كشف الأوراق السورية التي لا ينبغي أن تكشف أمام الإعلام .

أم يراهن على عدم الضغط الأمريكي بقوة وكثافة كما كان الحال في كل من مصر وليبيا ، استنادا إلى أن الولايات المتحدة لا تهتم إلا بتوفير الحماية والأمن لإسرائيل ، وهو ما يتحقق في ظل وجود بشار الأسد في الحكم في سوريا ، بالإضافة إلى ورقة المصالح والمساومات الأمريكية الإيرانية ؟

والأمر المؤكد أن الثورة السورية التي استطاعت الصمود أمام كل هذه الوسائل الوحشية زهاء الستة شهور ، وهذه الروح الأبية التي ترفض القهر والإذلال هي فرس الرهان ، وهي وحدها التي بوسعها أن تقلب جميع الأوراق التي يتلاعب بها النظام السوري لتجبر جميع الأطراف على احترام إرادة الشعب السوري الشقيق .

محاصرة النظام السوري عربيا

خوفا من الدول العربية أن يتكرر السيناريو الليبي الباهظ التكلفة - إنسانيا وماديا - في سوريا ، وحرصا على دماء الإخوة السوريين قامت الجامعة العربية باتخاذ حزمة من القرارات الشجاعة والغير مسبوقة في تاريخ العمل السياسي الجماعي العربي ، من خلال وقف التعامل مع البنك المركزي السوري ، ووقف تمويل المشروعات العربية على الأرض السورية ، ووقف تمويل أي تعاملات تجارية حكومية ، ووقف رحلات الطيران بين دمشق والعواصم العربية ، و مراقبة أي تحويلات مالية باستثناء تحويلات العاملين بالخارج والموجهة إلى أسرهم ، لأن العقوبات موجههة أساسا إلى النظام وليس إلى الشعب السوري الذي تأتي كل هذه القرارات في إطار محاولات إنقاذه من حمام الدم المراق في الأراضي السورية .

والسؤال المهم الذي يطرح في هذا السياق : هل ستكون هذه العقوبات فعلا ناجحة في إثناء النظام السوري عن مواجهة شعبه بكل هذا العنف ؟ أم أن الأسد وحكومته قادرون على تجاوز آثار هذه العقوبات ، بل وتفريغها من مضمونها ، من خلال الاستعانة بالجارتين اللتين لم تصوتا لصالح قرار العقوبات (العراق ، ولبنان) خاصة وأن تنفيذ هذه القرارات يكون سياديا ، بمعنى أن لكل دولة الحق في تنفيذ أو عدم تنفيذ القرارات ، وقد أعلنت العراق صراحة أنها لن تنفذ هذه القرارات ، فهل يجد النظام السوري مخرجا لتلك العقوبات من خلال المنفذ العراقي واللبناني ؟

بتصوري ؛ حتى لو حدث ذلك ، فإن أهمية هذه القرارات لا تكمن في طريقة تنفيذها ، بل في مجرد صدورها من الجامعة العربية وبموافقة تسع عشرة دولة عربية عليها ، إنها تمثل محاصرة للنظام السوري ، وتضيق الخناق عليه ، وتزيد من عزلته في محيطه الإقليمي العربي ، فضلا عن كونها تمثل غطاء شرعيا لعزلة دولية سبقت العزلة العربية للنظام في سوريا ، وقد تكون غطاء شرعيا لمحاولات تدخل عسكري بدت نذره في الأفق في حالة ما إذا تمادى النظام في دمشق بالتنكيل بالمتظاهرين ، وسرّع وتيرة سفك الدماء .

والمؤكد أن وتيرة الأحداث وتتابعها سيكون للنظام السوري الدور الحاسم فيه ، فالملاحظ أن القرارات العربية تأخذ شكلا متدحرجا ، تُصعد فيه المواقف ، بناء على درجة استجابة النظام السوري أو مماطلته في تنفيذ المطالب العربية أو الالتفاف عليها ، ومن المحتمل إذا ما استمر نزيف دماء الشعب السوري أن يقدم العرب في نهاية المطاف الغطاء

الشرعي – وربما يشاركون – في عمليات عسكرية تنهي حكم الأسد في سوريا .

إن أمام نظام بشار الأسد الآن فرصة ثمينة ليجنب سوريا مخاطر سياسية وعسكرية واقتصادية كبيرة ، بقرار شجاع يحقن دماء الشعب السوري ، لكن مجريات الأحداث والتصريحات الصادرة عن رموز النظام لا تنبئ بقرب هذه الخطوة ، ولا تزيد من احتمالية حدوثها في القريب العاجل ، فهم يتحدثون عن (خذلان عربي) وعن (تكيف) بشكل أو بآخر مع العقوبات العربية ويقللون من تأثيرها على قدرة النظام في البقاء .

وربما تكون الأجواء مهيأة لمبادرة من أي طرف يمكنها أن تقدم الضمانات بعدم إراقة مزيد من الدماء ، وتقدم حلا للأزمة الراهنة ، ويمكن أن تلعب دولة مثل الجزائر أو روسيا أو أي دولة أخرى دورا ما في هذه المبادرة ، وكلما زادت الضغوط الإقليمية والدولية زادت احتمالية القبول بالمبادرة المحتملة .

ويكثر الهَرْجُ في عالمنا ..

في بلدان كثيرة من عالمنا الإسلامي يكثر الهرج ، في سوريا يكثر الهرج ، حيث المئات بل الآلاف يفقدون أرواحهم بلا ذنب اقترفوه ، شيوخا ونساء وأطفالا وشبابا ، في مصر كثر ويكثر القتل ، حيث يحصى الذين قضوا بالمئات ، ولم تعد حرمة حياة الناس مصانة ، ولم يعد لحياتهم أو مماتهم كثير وزن ، في السودان يقتل الناس في النزاعات المسلحة والقبائل المتناحرة على النفط والثروات بالعشرات والمئات دون أن يسمع بهم أحد ، وفي العراق تحصد العمليات الإرهابية والتفجيرات عشرات بل مئات الأرواح ، لا تفرق بين أحد منهم ، وفي ليبيا ..حدث ولا حرج ..آلاف الأرواح التي زهقت دون إحصاء دقيق ، من الطرفين أنصار القذافي والثورار ، وفي أفغانستان تحصد الطائرات التي تسبح في الفضاء بلا طيار كل من تشتبه فيه الإدارة الأمريكية أنه إرهابي ، وتنتهك حرمة الحياة دون تأييد من المجتمع الأفغاني ولا حتى الحكومة الأفغانية ..فما الذي يحدث في عالمنا ؟؟

في معاجم العربية يقولون إن الهَرْج هو وقوع الناس في الفتن ، والاختلاط ، والقتل ، والفوضى ، وأصله من هرج الرجل في الحديث أي خلط فيه ، وفي حديث لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول فيه :»لن تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، ويظهر الجهل ، و يكثر الهرج « قالوا : وما الهرج يا رسول الله ، قال : « القتل القتل » .

وأعتقد أن هذا ما يفسر هذه الدماء التي تسفك في كل يوم بالرغم من أن حرمة الدماء أعظم من أي حرمة ، فقد وقف نبي الإسلام سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم أمام الكعبة المشرفة ، وهي من أعظم الحرمات عند الله ، وقال لها ـ في الحديث الذي أورده النسائي في سننه ـ مخاطبا الكعبة المشرفة : »ما أطيبك وأطيب ريحك ، و ما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ، ماله ودمه وأن لا نظن به إلا خيرا « .

ومعنى ذلك أن الإسلام كدين ينظر إلى أن انتهاك حرمة حياة مسلم واحد أعظم انتهاكا لحرمة الكعبة المشرفة ، ولكن هذا المعنى هل هو موجود في عالمنا الإسلامي ؟

للأسف نرى في عالمنا من يتشبث بموقعه الرئاسي ، بعد سقوط آلاف القتلى من بني شعبه ، دون أن يراعي حرمة لدمائهم ، أو احترما لحياتهم وإرادتهم ، ويهدد بأن زلزالا يترقب الجميع لو أسقط من منصبه ، وأنه سيبقى رئيسا ولو على جماجم شعبه ، وجثثهم التي يواريها الثرى .

نرى في عالمنا من يستخفون بحياة البشر ، من لديهم الاستعداد لقتل المجموعات حتى يظل في نشوة السلطة التي يريد ، نرى قيمة متدنية للإنسان في كثير من أقطارنا ..فهل تحققت نبوءة رسول الله فينا ، وهل تلك علامة من علامات الساعة ؟

هل نرى الشيوخ الذين يضللون عوام الناس عن فهم صحيح الدين ؟ بعضهم يبرر القتل ويستبيحه كما يفعل مفتي سوريا ، وبعضهم يتربح باسم الدين ويتاجر به ، ويدفع الشباب ليقتلوا أنفسهم باسم الدفاع عن الدين ، و العقيدة ؟

نتمنى أن يصبح احترام الإنسان عندنا مقدما على كل شيء ، وأن نفعل نظرة ديننا لحرمة دماء الإنسان الذي كرمه الله تعالى .

لماذا تدافع روسيا عن سوريا؟

الأزمة في سوريا أزمة إنسانية بكل المقاييس ، لكن دولا ومنظمات وأحزاب ما في العالم لا ترى في تلك الأحداث إلا ما يخدم مصالحها ، ويحقق أهدافها ، ولعل الموقف الروسي واحد من تلك المواقف الغريبة تجاه الأحداث في سوريا ، حيث خالفت الإجماع العربي تقريبا ، كما تناطح الإرادة الدولية التي قررت التعامل مع الأحداث السورية بالمنطق الإنساني ، حيث لا يمكن لنزيف الدم السوري أن يستمر بهذه الوتيرة التي فاقت كل حد .

والسؤال الذي يطرح نفسه : ما تفسير الموقف السوري من أحداث سوريا ؟ والإجابة عن هذا السؤال لا تعدو إلا أن تنحصر في عدة أمور :

أولا : المصالح الاقتصادية الروسية ، حيث تبلغ الصادرات الروسية إلى سوريا وفقا لبيانات ٢٠١٠م مليارين ومائة ألف دولار أمريكي ، وبما يعادل ١٣ ٪ من إجمالي الواردات السورية التي بلغت ١٦,٩ مليار دولار ، وتشير كثير من التقارير أن نسبة كبيرة من الواردات السورية هي أسلحة ومعدات حربية ، وإن كانت هناك ندرة في المعلومات الصحيحة المتعلقة بحجم الصفقات العسكرية بين الجانبين ، بينما تمثل الصادرات السورية إلى روسيا ١,٠٪ من إجمالي صادرات سوريا التي تبلغ حوالي ١٣ مليار دولار .

وأمر آخر هو الاتفاقية التي أبرمت بين روسيا وسوريا في منتصف التسعينيات من القرن الماضي ، والتي أسقطت ٧٥٪ من ديون سوريا للاتحاد السوفيتي السابق ، وبقيت النسبة المتبقية لتقوم روسيا بتنفيذ بعض المشروعات الاستثمارية في سوريا

أما عن الاستثمارات الروسية داخل سوريا فتصل إلى حوالي ٢٠ مليار دولار أمريكي يتركز معظمها في قطاعي الطاقة والسياحة ، ويعني سقوط النظام الأسدي في سوريا تهديد مستقبل هذه الاستثمارات ، وضياع عائد الصادرات الروسية إليها .

ثانيا : المصالح العسكرية ، وتتمثل اساسا في حجم مبيعات سوريا من الأسلحة والعتاد العسكري إلى سوريا ، كما أن لروسيا قاعدة عسكرية هامة في سوريا ، في مدينة طرطوس الساحلية ، وهي القاعدة الوحيدة للأسطول الروسي خارج الأراضي الروسية ، والغريب في الأمر أن إيران قامت بتوقيع اتفاقية مع نظام الأسد لإقامة قاعدة عسكرية بالقرب من مدينة اللاذقية !

ومعنى سقوط نظام الأسد - الذي يبدو أن بوادره لاحت بقوة في الأفق - ربما انتهاء الوجود العسكري الروسي في المنطقة ، كما أنه يقضي على الأحلام الإيرانية بإقامة قاعدة

عسكرية على الأراضي السورية .

ثالثا : المصالح السياسية : وهو الجانب الذي لا يمكن فصله عن الجانبين السابقين، ولكن البعد السياسي الأبرز في قضية سوريا أن روسيا تحاول مجابهة النظام العالمي ، وممارسة حق الفيتو على القرارات الأممية المتعلقة بسوريا في معركة البحث عن دور عالمي لروسيا ، وإثبات أنها عضو فاعل ومؤثر على الساحة الدولية ، وبالرغم من أنها فشلت سابقا في إثبات هذا الدور الفاعل والمؤثر في قضية ليبيا على سبيل المثال إلا أنها تحاول أن ترمم التآكل الذي لحق بصورتها كدولة قوية ومؤثرة على المستوى الأممي .

لكن الأطراف الدولية تدرك أنه بالإمكان تحييد الموقف الروسي في حالة ما إذا تم تعويض مصالحها عبر ملفات كثيرة ، مثل ملف انضمام روسيا لمنظمة التجارة العالمية التي تعطيها ميزة الدولة الأولى بالرعاية في منظمة يبلغ عدد أفرادها ١٥٥ دولة ، وهو ما يعود بالنفع على اقتصاد روسيا ، وهي وسيلة من وسائل ترويض روسيا في المرحلة المقبلة .

ما يحدث في سوريا
جرائم ضد الإنسانية

ما يحدث في سوريا ليس فقط مجرد قمع للثوار ، وليس فقط اعتداء على حياة السوريين ، ما يحدث في سوريا جريمة منظمة للقتل والإبادة لكل من يختلف مع منطق النظام السوري ، ولكل من يعترض على وجود خلايا حزب الله اللبناني ، ولكل من يعترض على الدعم الإيراني والروسي والصيني لنظام سقط منذ شهور ، غير أنه يقاوم بيأس ، ويقتل بشَرَه ، ما يحدث في سوريا هو (جرائم ضد الإنسانية) .

فماذا يسمى إذن إطلاق النار على عشرات الجنود الذين انشقوا عن الجيش ، ورفضوا إطلاق رصاصهم على المدنيين في حمص عاصمة الثورة السورية ، وفي إدلب ، ودرعا في يوم واحد ؟

وماذا يسمى قصف المنازل بالقاذفات والأسلحة الإيرانية والروسية حتى تتهاوى على من بداخلها ؟

وماذا يسمى إذن انشطار جثة طفل ليس له ذنب إلا أن له قائدا ينتمي إلى جبهة الممانعة؟ ويبني مجده التليد عبر تصفية هؤلاء السوريين الأحرار ؟

فهل فعل أعداء العرب بنا كما يفعل هؤلاء (القادة) ؟؟ هل يتنافس الأسد مع شارون وبيريز في قتل أكبر عدد ممكن من الأطفال ؟ وفي عدد المجازر الجماعية ؟ وحتى هؤلاء لم يصل عدد ضحاياهم ما وصل في سوريا ، خمسة آلاف شهيد سوري كما تؤكد بينات الأمم المتحدة ، ويتضاعف الرقم وفقا لبيانات أجهزة رصد أخرى !!

لماذا يرفض النظام السوري دخول وسائل الإعلام العالمية والعربية ؟ ولماذا يسمح فقط لقناة العالم ومثيلاتها بإقامة مسرحيات برامجية تأييدا للنظام في دمشق ؟ لتركز على مظاهرات التأييد التي يُدفع فيها الموظفون دفعا لحمل صور بشار ، وإلا سيواجهون مصيرا مجهولا في غياهب السجون ، أو يواريهم الثرى .

فهل يصمت الضمير الإنساني حيال هذه المجازر ؟ وهل يظل العالم يقف موقف المتفرج أمام تمادي النظام في القيام بحملات القتل المنظم ، والإبادة الجماعية لمدن وقرى لا ترفع قرابين الولاء لبشار ؟

وماذا عسى جامعة العرب أن تفعل ؟ بعد فشل مبادرتها أمام عناد النظام ، وبعد إفشال مضمونها من أطراف إقليمية ودولية ؟ حين أظهرت كاميرات التليفزيون الرسمي في كل

من سوريا وإيران مراسم التوقيع على اتفاقية التجارة الحرة بين الدولتين لتفريغ العقوبات العربية من مضمونها .

ماذا فعل العرب إزاء روسيا التي ما زالت تمد النظام في دمشق بالسلاح والذخائر؟

فلتعطهم الجامعة العربية مهلة لقتل ما تبقى من إخواننا السوريين ، وإذا انتهت المهلة فليعطونهم مهلة أخرى -جريا على عادة العرب في الكرم - وليذهب أمينها العام إلى العراق ليتوسط في إقناع دمشق بأهمية المبادرة العربية ، لتعلن سوريا - بعد طول مراوغة - أنها ما كانت لتوقع على بروتوكول لجنة مراقبة الأوضاع إلا بعد الانصياع لتعديلات دمشق التي رأي الكثيرون أنها تفرغها من مضمونها ، فهل يمكن للمراقبين العرب أن يوقفوا حمامات الدم السورية ؟؟ أشك أن النظام سيتعاون مع هؤلاء المراقبين ، لأنه ليس مشغولا بهذه اللجنة ، إذ تبث شاشات تلفازه كل يوم صور المناورات العسكرية التي تجريها ما بقي من قواته ، لاختبار قوتها في صد هجوم محتمل قد يشن عليه في أي وقت .

وأمام العجز العربي ، والتواطؤ الإيراني ، والدعم الروسي ، والصمت العالمي ، فإن مزيدا من دماء الأبرياء في سوريا تنهمر في شوارعها ، ولم يعد لهم مغيث إلا الله ، وكفى به ناصرا .

الأسد يأمل أن يظل رئيسا لسوريا حتى 2028م

يبدو أن لبشار الأسد مواقف كثيرة مع الدساتير ، لعل آخر فصولها ما قام به من مسرحية إعداد دستور جديد لسوريا ، يمكنه من الحكم لمدة ستة عشر عاما قادمة ! ، حيث ينص التعديل الدستوري الجديد على أن تكون فترة الرئاسة سبع سنوات (العرف العالمي ٤ سنوات) ، على أن لا تزيد عن دورتين رئاسيتين على أن يتم تفعيل هذه المادة بعد انتهاء الفترة الحالية التي تنتهي في ٢٠١٤ ، وبهذا سيكون بمقدور بشار الأسد أن يبقى رئيسا حتى ٢٠٢٨م ، أو هكذا يأمل .

وقد تم إجراء التصويت على وقع أصوات القذائف والطلقات النارية ، ولحق بركب شهداء الثورة السورية في يوم التصويت مائة شهيد ، وكان الإقبال إما معدوما أو محدودا في غالبية المناطق السورية ، الأمر الذي يعني أن عملية التصويت هي عملية مسرحية يقوم بها بشار الأسد حتى يثبت لنفسه ولحلفائه في كل من طهران وموسكو وبكين أنه ماض في طريق الإصلاح ، وهو ما وصفته الدوائر السياسية والإعلامية ب(المهزلة) ، وصورته جريدة الإندبندنت البريطانية على أنه خديعة ، وقسمت صفحتها الرئيسية إلى قسمين ، قسم وضعت فيه استعراض الأسد وزوجته وهو يصوت لصالح الدستور في محاولة لجذب كاميرات الميديا التي أرهقتها دماء القتلى وأنات المصابين ، وكتبت تحتها كلمة (الوهم) ، وقسم آخر أوردت فيه صورا لشوارع سوريا وهي ممتلئة بمظاهر الدمار والخراب والدخان، والمتظاهرين والشهداء ، وكتبت تحتها كلمة (الواقع) في إشارة جيدة من جانب الصحيفة إلى أنها تحاول تقديم الحقيقة والواقع بكل تفاصيله وزواياه .

ومن الطبيعي أن تجذب عدسات وسائل الإعلام حمام الدم النازف في سوريا أكثر مما تجذبه مسرحية الدستور التي تمثل لنظام الأسد آخر ورق التوت التي تخفي سوءة النظام، ودمويته في التعامل مع ثورة شعب أراد أن ينتصر لمستقبله ، وينهي عقودا من الاضطهاد والطائفية .

وفي الدستور السوري الجديد نقرأ أشياء من مثل : يقوم رئيس الدولية بتسمية رئيس الوزراء ونوابه والوزراء ونوابهم ، وله حق إعفائهم من مناصبهم ، كما أنه من حق الرئيس أن يحل مجلس الشعب بقرار معلل يصدر منه ، ويتولى رئيس الجمهورية سلطة التشريع خارج دورات انعقاد مجلس الشعب ، أو أثناء انعقادها إذا اقتضت الضرورة ذلك !

كما ينص الدستور (الإصلاحي المعدل) على أن رئيس الجمهورية غير مسئول عن الأعمال التي يقوم بها أثناء مباشرته لعمله إلا في حالة الخيانة العظمى ، وتجري محاكمته - حينذاك - أمام المحكمة الدستورية العليا التي تتكون من سبعة أعضاء ، يقوم هو بتعيينهم بحكم كونه رئيسا للمجلس الأعلى للقضاء !

هذه نماذج من مواد الدستور الجديد الذي اكتفى من الديمقراطية بالأشكال الديكورية، لكن جوهره يكرس الاستبداد ، ويحاول إضفاء شرعية زائفة على نظام يترنح ، ليُستغل في ترسيخ مزيد من مظاهر الاستبداد ، كما تم تعديل الدستور لبشار حين توفي والده حافظ الأسد في العام ٢٠٠٠م ليكون سن الترشح للرئاسة ٣٤ عاما بعد أن كان ٤٠ عاما ليستطيع بشار خلافة والده في (الإقطاعية) السورية ! ، والآن بعد أن تعدى بشار الأربعين ، أعيد سن الترشح للرئاسة في التعديل الجديد ليصير أربعين عاما !

ما الفرق بين نظام الأسد وإسرائيل ؟

لا فرق بين النظام الوحشي في دمشق الذي يقتل إخواننا السوريين ، وبين الكيان الإسرائيلي الذي يقتل إخواننا الفلسطينيين في غزة ، بل إن جريمة نظام الأسد ربما تفوق جريمة الكيان الإسرائيلي ، حيث يبلغ عدد ضحايا بشار الأسد ونظامه أكثر من تسعة آلاف شهيد ، وآلاف المصابين والمهجرين قسرا ، والمشردين في البلدان المجاورة لسوريا ، في حين استشهد في الحرب على غزة ٢٠٠٨، ٢٠٠٩ ألف وأربعمائة شهيدا .

وقد بلغت حماقة النظام الأسدي مبلغا خطيرا في الأيام الماضية ، حيث اكتشفت عدسات الإعلام مذابح جماعية لأسرتين كاملتين في حي بابا عمرو تم ذبحهم بدم بارد أغلبهم من النساء والأطفال ، كما أن الإجرام وصل مداه حينما قامت كتائب الأسد المعروفة بالشبيحة بوضع الألغام على كل من الحدود التركية واللبنانية ، ليرسم ملامح ديمقراطية النظام المتهاوي في سوريا ، ويترك للمواطنين الاختيار بين موتين : إما ذبحا على يد الشبيحة بالسكاكين والمدافع الإيرانية الروسية الصينية ، وإما بالألغام إذا ما حاولوا ـ يائسين ـ الفرار من جحيم الوضع في سوريا !!

حتى أكثر الدول إجراما وعدوانا وانتهاكا للقواعد الإنسانية تسمح بمرور الإمدادات الغذائية إلى المدنيين الأبرياء ، والمستلزمات والأدوية الطبية إلى الجرحى والمصابين ، أما النظام السوري فقد تجاوز كل تلك القواعد ، ليعلن عن قواعد جديدة وقوانين جديدة تتفنن في قتل الشعب ، وإغلاق جميع منافذ الحياة في وجهه ، لأنه يحاول استرداد كرامته السليبة .

إن كل تأخير في محاولات التوصل لحل الأزمة السورية لا يدفع ثمنه إلا الأبرياء من المدنيين والأطفال والنساء الذين لا ذنب لهم إلا أنهم عاشوا حقبة الأسد ، الذي ينظر إلى السوريين وكأنهم فرائس (جمع فريسة) له الحق في أن ينهش لحمهم ويمتص دماءهم ، طالما أن القانون الدولي عاجز عن اتخاذ القرار ، بفعل قوانين المصالح التي لا يجيد العرب حساباتها للأسف ، فكانت النتيجة أن إجماع الدول العربية على إدانة النظام الأسدي غير ذي قيمة أمام المصالح الروسية والصينية وأمام الضغط الإيراني بكافة أشكاله وصوره .

وأتصور أن النظام الأسدي في سوريا لن يستطيع أن يكمل مسيرة القتل ، مهما بلغت فصول مسرحيته التي يقوم على إخراجها مخرج إيراني بارع ، قادر على الحصول على جوائز الأوسكار ، ومهما افتعل أحداثا بظنه أنها ستلهي وسائل الإعلام عما يحدث على

الأرض ، مثل الدستور الجديد ، تلك المزحة الثقيلة ، ومثل الإعلان عن انتخابات برلمانية في مايو القادم ، الذي يطمح أن يصل إلى ذلك التاريخ وهو لم يزل رئيسا بعد !

ولست أدري كيف يدرك أن بإمكانه أن يعبر هذا المأزق الذي أوصل سوريا إليه بنفسه ، كيف يمكنه أن يتصور أنه سيظل رئيسا لأبناء القتلى وأحفادهم وأقاربهم ، كيف يمكنه أن يحكم شعبا يرفض الاستسلام لقهره ، كيف بإمكان النظام القائم في سوريا الآن أن يتصور أن بإمكانه تحقيق المزيد من الإصلاح المزعوم ؟ وأن تجرى انتخابات برلمانية ورئاسية ، وينسى الناس شهداءهم ، وينسى المهجرون أوطانهم ؟

حالة واحدة فقط هي التي يمكنه فيها أن يستمر رئيسا حتى ٢٠٢٨م كما يطمح وفقا لتعديلات الدستور الأخيرة ، وهي أن يقوم باستبدال الشعب السوري بشعب آخر ، وربما يساعده في عملية الاستبدال حلفاؤه في طهران ، وبكين ، وموسكو !

هل سلمت الولايات المتحدة
العراق لإيران ؟

في شهر يوليو الماضي ، وبعد انتهاء عام جامعي ، سألت صديقي العراقي الذي يعمل معي في نفس الجامعة التي أعمل بها : هل ستقضي الأجازة الصيفية وتقضي شهر رمضان المبارك في العراق ، فأجابني بأسى : إنه لم يعد لنا مكان في العراق الآن ، أتجول في كل الأوطان عدا بلادي ! وأزور كل الأماكن ، وليس لي أن أتنسم عليل الفرات ، وكأن الوطن ضاق بنا بعد أن مهدت الولايات المتحدة العراق لإيران وقدمته لها على طبق من ذهب، ليعبث فيها رجال استخباراتها ، يفجرون ويدمرون ويقتلون ، ولينفذ ساستها ما تريده طهران من اعتقال وتضييق وتهميش .

تذكرت هذا الجزء من الحوار الذي دار بيني وبين صديقي الأكاديمي العراقي بعد قراءة الأخبار الواردة من محافظة صلاح الدين ، التي قامت الحكومة المركزية العراقية باعتقال عدد كبير من الأكاديميين والنخبة المثقفة هناك ، والتهمة الجاهزة التي وجهتها لهم : الانتماء إلى حزب البعث المنحل !!، والاعتقاد بالأفكار البعثية ! وحين تقدمت المحافظة بطلب إلى الحكومة المركزية لاستقلال صلاح الدين ماليا وإداريا ، وجعلها إقليما مستقلا ، وذلك وفق الدستور العراقي الذي تم إقراره ، وأنشئ بموجبه الإقليم الكردي الذي يتمتع باستقلال مالي وإداري ، ولكن الحكومة المركزية بقيادة المالكي رفضت هذا المقترح ، والأغرب أن منطق الرفض كان الخشية من إقامة كيان يضم البعثيين ، وأن الإقليم الجديد ذو أبعاد طائفية (إشارة إلى السنة الذين يمثلون سكان محافظة صلاح الدين) .

والأمر المؤكد أن السكان العراقيين السنة يعانون من أشكال التمييز ضدهم ، يحدث ذلك في صلاح الدين وفي الرمادي ، وفي غيرها من المناطق ، فهل قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتحرير العراق من نظام صدام حسين ، لتلقي بالعراق في عباءة إيران ؟ وهل قامت العمليات العسكرية بقلب المعادلة بين السنة والشيعة في العراق ؟ كل هذه تساؤلات مشروعة في ظل وجود فاعلين جدد في الساحة السياسية الإقليمية تجعل من تشكيل حكومة عراقية تستغرق وقتا طويلا بين شد وجذب بين القوى السياسية الفاعلة في العراق ، وتستلزم زيارات مكوكية لعناصر ورموز الأطياف السياسية المختلفة في العراق إلى طهران والرياض ، إنها تساؤلات مشروعة مع انسحاب القوات الأمريكية من العراق ، وتغيير خارطة القوى السياسية مع قرب انهيار النظام السوري المدعوم إيرانيا ، وتأجيج نزاعات طائفية في

منطقة الخليج استفادة من تمدد النفوذ الإيراني في العراق وسوريا ولبنان .

من حق العراقيين السنة أن يكون لهم دورهم القائد في تقرير واقع ومستقبل بلدهم، ومن حق العراق هذا البلد العريق أن يعود كما كان مركزا للإشعاع الثقافي والأكاديمي في دول المشرق العربي، وأن يعود –موحدا – إلى رحاب الأمة العربية كأحد أهم البلدان القوية والمؤثرة فيها ، وأن يتقلص كل نفوذ في العراق أمام النفوذ العربي ، الذي تتلاحم فيه كل المذاهب والمعتقدات تحت راية العراق العربي المسلم الموحد ، وأن تعود العقول المهاجرة إلى حضن وطنها الحبيب ، تساهم في تشكيل ملامح العراق المستقبل ، دون إقصاء أو تهميش .

إن غالبية المشكلات التي يجترها العراق الآن نابعة من طأفنة العمل السياسي ، والارتماء في أحضان إيران التي تحلم بامبراطورية فارسية – لن تتحقق – في منطقة الخليج العربي .

العراق .. وأكذوبة 2011م .. والإقصاء السياسي

الأخبار الواردة من العراق تشعر بالقلق ، وتعطي رسائل سلبية على ما سيؤول إليه الوضع في العراق بعد إعلان الولايات المتحدة رسميا نهاية الحرب في العراق ، وليس القلق مرده إلى انسحاب القوات الأمريكية ، بل الحالة السيساسية العراقية الراهنة التي يسودها التقسيم ، ولم يكن مشهد إنزال العلم الأمريكي ورفع العلم العراقي إلا مشهدا للاستهلاك الإعلامي التي اختفى خلفها العديد من الإشكاليات التي تعترض طريق هذا البلد العربي الهام ، حيث اعتبرت جريدة (الفورين بوليسي) الأمريكية أن انتهاء الحرب في العراق ثاني أكبر كذبة في العام ٢٠١١م ، ضمن قائمة تتضمن أشهر ١٤ كذبة في العام الذي يشرف على الانتهاء ، وأتت في المقدمة إعلان الغرب المتكرر أنه سيكون حاسما في الاجتماع المقبل لحل الأزمة المالية في منطقة اليورو .

وكان السبب في اعتبار المجلة الأمريكية الإعلان عن انتهاء الحرب في العراق أن هذا الانسحاب ما هو إلا مرحلة من مراحل الحروب الأمريكية في المنطقة ، وأن مرحلة فقط قد انتهت ، وتعقبها مراحل أخرى ، كما اعتبرت المجلة أن نجاح القوات الأمريكية في العراق يمثل أكذوبة أخرى ، وذلك بسبب أن العراق يعاني من التقسيم وغياب الممارسات الديمقراطية .

والغريب في الأمر أن الذين يهللون الآن لرحيل القوات الأمريكية عن العراق ، رافعين شعار الانتصار المزعوم ، هم الذين هللوا لدخول القوات الأمريكية ، وهم الذين تحالفوا معها لإسقاط النظام البعثي هناك ، لكنهم نسوا أن التاريخ لا يُنسى ، وليس معنى ذلك أننا كنا مع دخول القوات الأمريكية للعراق ، أو ضد خروجهم منها ، على العكس من ذلك ، فأي يد تعبث في أرض العراق غير مرحب بها أيا كان ثوبها أو لون بزتها .

الآن العراق تودع المحتل الأمريكي - على افتراض حقيقة ذلك - وربما هي في خطر تمدد النفوذ الإيراني بشكل غير مسبوق ، ومساندة فصيل سياسي ضد آخر ، بما يضر بالعملية السياسية ، ويجعل المستقبل السياسي للعراق غامضا في ظل طلب كثير من المحافظات الاستقلال المالي والإداري مثل الإقليم الكردي ، وهو ما يعني زيادة تفتيت الدولة العراقية، مع ضرورة دراسة الأسباب التي أدت لظهور تلك الدعوات الآن .

والأمر المؤكد أن هناك تصدعا سياسيا ينذر بالعواقب الوخيمة إذا ما لم يتم تدارك

الأمور ، حيث اتهم رئيس الوزراء نوري المالكي نائب الرئيس العراقي والقيادي في القائمة العراقية طارق الهاشمي بالضلوع في عمليات إرهابية ، وهو ما أدى إلى اعتقال مدير مكتبه وبعض حراسه بنفس التهمة ، بل ووصل الأمر إلى استصدار قرار قضائي بمنع الهاشمي (نائب رئيس الجمهورية العراقية) من السفر .

ويبدو أن كثيرين لن يسلموا من حملة الإقصاء التي يشنها نوري المالكي المدعوم إيرانيا لكل خصومه السياسيين ، حيث طلب المالكي من البرلمان العراقي أن يسحب الثقة من صالح المطلق نائب رئيس الوزراء على خلفية تصريحات إعلامية قال فيها إن المالكي أسوأ من صدام ، وأن الولايات المتحدة تركت العراق بيد ديكتاتور لا يؤمن بمبدأ تقاسم السلطة، ويسيطر على قوات الأمن في البلاد ، وقام باعتقال المئات خلال الأسابيع الماضية ، لكن البرلمان لم يفعل ذلك لعدم اكتمال النصاب .

فهل تشهد الأيام القادمة حل حكومة المالكي نظرا لهذه الأزمات السياسية المتلاحقة؟ وما هو مصير التعايش بين الفصائل السياسية بعد الانسحاب الشكلي للولايات المتحدة من العراق ؟

القمة العربية في بغداد ..
فرص النجاح والفشل

من المفترض أن تعقد قمة الدول العربية القادمة في بغداد يوم التاسع والعشرين من شهر مارس المقبل ، وفقا لما قرره رؤساء وملوك الدول العربية الذين قرروا أن يجتمع العرب على مستوى القادة بشكل سنوي ، ولكن القمة المزمع عقدها في بغداد الشهر المقبل تحاط بتساؤلات كثيرة ، و شكوك حول إمكانية انعقادها ، كما تثار إشكالية حول مكان انعقادها بسبب تصريحات نسبت لرئيس الوزراء العراقي نوري المالكي ، الذي صرح لإحدى القنوات الخاصة العراقية (الرشيد) بأنه « يأمل في مشاركة بشار الأسد في قمة بغداد ، أو من ينوب عنه ، وقال إن العراق يفضل ان تكون هناك مشاركة سورية لانها تفتح صفحة للحوار بعيدا عن التدخل وعن اثارة اجواء طائفية، وحيث انه لا مصلحة لاحد في ان يتدهور الوضع اكثر في سورية » .

وهذه التصريحات تمثل خرقا لقرار جامعة الدول العربية بتعليق عضوية سوريا بالجامعة احتجاجا على القمع الدموي للشعب السوري والذي راح ضحيته ما يقارب العشرة آلاف شهيد سوري وفقا لناشطين ، بالإضافة إلى آلاف المعتقلين والمشردين في الخيام التي أعدت للاجئين السوريين ، والغريب أن المالكي تساءل : إن كان قرار الجامعة العربية بتعليق عضوية سوريا ينطبق على مستوى الرؤساء أم فقط على مستوى مندوب سوريا لدى الجامعة العربية ، بالرغم من وضوح القرار بتعليق كافة أشكال التمثيل السوري الأسدي في اجتمعات المنظمة العربية ، وهل يتصور المالكي قمة يتشارك فيها الأسد الملطخة يديه بالدماء ليصافح بها العرب الذين صوتوا عربيا وأمميا لرحيله ، وتسليم سلطاته لنائبه في خطة عربربية شجاعة لمحاولة إنهاء المآسي الإنسانية في سوريا ؟ بالإضافة إلى أن تصريحات المالكي تمثل خرقا لإجماع عربي بسحب الثقة والشرعية من نظام الأسد ، كما أن حديثه عن فتح صفحة جديدة للحوار مع سوريا بعيدا عن إثارة أجواء طائفية أمر مستغرب في ظل سياسة إقصاء طائفية تمارسها حكومة بغداد ، آخر تجلياتها إحالة طارق الهاشمي نائب الرئيس العراقي للمحاكمة غيابيا بتهمة التخطيط ل ١٥٠ عملية إرهابية !

وحين هددت الرياض بنقل مكان انعقاد القمة إليها ، أو استبدالها بقمة مصغرة في الرياض ، قام أحمد بن حلي نائب الأمين العام لجامعة الدول العربية بزيارة إلى بغداد وأكد هناك أن الجامعة العربية ملتزمة بتعليق كافة المشاركات السورية في فعاليات الجامعة

بما فيها التمثيل على مستوى القمة ، لينهي اللغط حول تلك القضية ، وكانت العراق قد صوتت ضد تعليق عضوية سوريا بالجامعة العربية .

وحسنا فعلت الدول الخليجية حين اشترطت لحضور القمة العربية المقبلة في بغداد شرطين ، أولاهما أن توافق العراق كافة الدول العربية في قرارها الخاص بالأزمة السورية ، بما فيها الامتناع عن دعوة بشار الأسد للمشاركة في القمة لأنه فقد شرعيته ، والتصويت على سحب شرعية الحكومة السورية ، والثاني معالجة ملف الوحدة الوطنية في العراق ، وتم إرسال الشرطين عبر رسالة حملها وفد إماراتي للحكومة العراقية ، فهل تستجيب بغداد لهذ الشروط أملا في إنجاح القمة العربية ؟ وتنجح في اختبار إثبات أن العراق جزء مهم من الجسد العربي ، أم أن حسابات أخرى ستفرض منطقها وتؤدي إلى إفشالها ؟ هذا ما ستجيب عنه الأحداث في الفترة القادمة .

السودان .. النكبة العربية القادمة

ليس من قبيل التشاؤم أن نذكر القراء الأعزاء أن الساحة العربية السياسية الراهنة تمر بنكبات وانتكاسات عديدة ، وأن كل نكبة دخل العرب فيها لم يخرجوا منها !!، منذ نكبة فلسطين ، وهي الانتكاسة العربية الكبرى التي سلبت فيها رقعة عزيزة من تراب الوطن العربي ، وانتهاء بنكبة احتلال العراق التي خلفت مآس عديدة ، وأحالت العراق إلى بحر يسيل من الدماء ، وعمقت روح الفرقة الطائفية بين شعوب المنطقة كلها ، وأحيت شرارة الفتنة النائمة بين السنة والشيعة ، فلعن الله من أيقظها ، ومرورا بعدد من النكبات في اليمن ولبنان وعدد من الأقطار العربية الأخرى .

ويبدو أن الوطن العربي على اتساع خارطته لا يجيد فن وأد الفتن قبل ظهورها ، ولا يتقن مهارة احتواء الخلافات التي تنذر بمزيد من النكبات ، فهناك مقدمات واضحة للنكبة القادمة في السودان ، وهي نكبة شطره إلى دولتين إحداهما في الشمال ، وأخراهما في الجنوب ، وكل الأحداث والتصريحات تمثل عدا تنازليا لبدء حدوث النكسة في يناير القادم ، لكن أحدا لا يحرك ساكنا ، وكأنما العرب لا يعنيهم الأمر ، أو وكأن السودان يقبع في ذيل الكرة الجنوبي في أوقيانيا !! أو أنه في كوكب آخر ليست لنا به – كعرب – أدنى صلة .

لا أدري لماذا جال بخاطري أن أشبه السودان كالتفاحة التي يسيل لعاب الجميع ليقضمها بأنيابه الحادة ، السودان الذي يمتلك من الخيرات ما لا تحلم به دول عديدة مجتمعة ، فكم من دولة تتمنى أن تتوفر بها المياه العذبة الصافية التي يتمتع بها نهر النيل الذي يشطر السودان شرقا وغربا ، ويسير بزهو من جنوبه إلى شماله ، يحمل الخير كلما حل أو ارتحل ، ويضيف إلى أرض السودان خصوبة نادرة تكفي لإطعام كل أبناء العروبة لو وجهت الاستثمارات الزراعية العربية إليها .

لكن المتربص بأرض السودان ، يعد العدة لحفل كبير يقام في يناير القادم ، ويسن سكاكينه المسمومة ، ليضرب التفاحة ضربة واحدة قوية يهشم بها تماسكها ، ويشطرها إلى شطرين متباعدين ، حتى يلتهم الآن شطرا مليئا بالثروة النفطية ، ويؤجل الشطر الآخر لحفلة أخرى ربما تكون في عقد قادم ، ريثما ينتهي من وليمة النصف الجنوبي، وادخارا لغذاء وليمة قادمة .. إذن فالبترول هو الصيد الثمين الذي يمكن للغرب أن يتحصل عليه بعد أن رمي في مياه السودان الشقيق ، وفي المياه العربية كلها طعم الاستفتاء

على انفصال الجنوب ، إن أنوف حكام الغرب متخصصة في شم البترول العربي في أعماق باطن الأرض، ولعابهم لا يسيل إلا للثروات الطبيعية التي حبى الله تعالى بها من لايقَدِرون نعمة الثروات ، ولا يملكون وسائل حمايتها ، كما هو الحال في هذه اللعبة الإلكترونية التي يظهر فيها الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش وبجواره صورة للدولار ، وكلما حركت الدولار بالماوس اتجهت أنفه نحوه .

فيا أيها العرب المبجلون .. هل أنتم جاهزون للإعلان عن النكبة الجديدة ؟ هل جهز كل واحد منكم بيان الإدانة من الآن ؟؟ هل أعددتم البيانات الإعلامية التي تعلنون فيها وقوفكم إلى جانب السودان الموحد ؟ وأنكم ضد الأطماع التي تهدف لتقسيمه ؟؟ أم أن البعض الآن يسمي أسماء السفراء العرب في دولة جنوب السودان الصديقة ؟!!

السودان ..والمشهد العربي المأزوم

لا أدري ما التسمية الصحيحة لما يحدث في السودان منذ الأحد الماضي ، أهي عملية استفتاء على تقرير المصير في النصف الجنوبي من السودان ذي الأغلبية المسيحية والغني بالثروات النفطية ؟ أم هي عملية استلاب أمريكية برعاية أممية لاستقطاع جزء من أراضينا العربية ؟ في ظل غيبة كاملة للوجود العربي في المشهد السوداني الفريد .. إن من يرى المروحيات الأمريكية وهي تنقل أوراق وأجهزة الحواسيب المستخدمة في عملية الاستفتاء على (تقرير المصير) قد يشك للوهلة الأولى أن هذا الاستفتاء يتم في إحدى الولايات الأمريكية (المتحدة) ، ومن يبحث في وجوه المسئولين في جنوب السودان (رعاة الاستفتاء الذي يستمر لأسبوع كامل !) ، ويجد الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر ، ومركزه ، ومرشح الرئاسة الأمريكي الأسبق جون كيري ، وكلينتون ، وحتى الممثل الهوليودي جورج كلوني وغيرهم من الشخصيات الأمريكية السياسية والقساوسة والممثلون ، وكاميرات المراقبة والأقمار الصناعية التي تراقب خط الحدود الوهمي بين الشمال والجنوب يدرك أن الدولة السودانية المنشطرة كما تنشطر النواة ربما لن تضاف إلى الخريطة العربية ، ولا حتى فقط ستكون الدولة رقم ٥٤ في القارة الأفريقية السمراء ، بل ستكون الولاية الحادية والخمسين من الولايات الأمريكية التي اتحدت ضد مصالحنا .

ولا يمكن الجزم أو النفي بأن الأحداث الساخنة التي تشهدها بعض البلدان العربية بالتزامن مع مشروع الانشطار السوداني من قبيل المصادفة ، فالمشهد العربي متأزم ، ويعيش حالة من حالات التخبط والانغماس في المشكلات الداخلية التي تقول السلطات الرسمية فيها أن (الأصابع الخفية) هي المحرك لها ، ففي مصر الجارة الكبرى للسودان تعيش فترة حاسمة من رأب الصدع الطائفي الذي أحدثه التفجير الإرهابي المدبر أمام كنيسة القديسين بمدينة الإسكندرية عشية رأس السنة الميلادية ، والذي لم يتم التوصل حتى الآن بصورة قاطعة إلى فاعله !!

ولا يمكن كذلك الجزم أو نفي تلك الصلة بين حادث كنيسة الإسكندرية وبين تصريحات القس التونسي العجيبة التي انتقد فيها أحوال المسيحيين في الجزائر ، وتصريح آخر للرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي بأن الدول الغربية لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي إزاء الاضطهاد الذي يتعرض له المسيحيون في الشرق الأوسط !!

ولعلي أقرأ الظرف الزمني الذي حدثت فيه الاضطرابات في تونس والاحتجاجات

الاجتماعية التي أسفرت عن مقتل أكثر من عشرين شخصا بعدما أقدم شاب على إشعال النار في نفسه إثر مصادرة السلطات التونسية لـ (عربة خضار) يسد رمقه بريعها ، والاحتجاجات الجزائرية التي أسفرت عن مقتل بضعة أفراد بسبب غلاء المعيشة ، وارتفاع أسعار المواد الغذائية ، وارتفاع معدلات البطالة في هذا السياق ، وثمة تساؤل مشروع يثار : هل توقيت هذا الأحداث مع عملية (استفتاء تقرير مصير) السودان له دلالة ما ؟؟

وفي ظل هذا المشهد العربي المتأزم كان لابد لإسرائيل أن تستثمر هذا الظرف لهدم إحدى فنادق القدس الشرقية الشهيرة (فندق شبرد) لتقيم مكانه حيا استيطانيا متكاملا لتغير ملامح المدينة العربية التي احتلتها منذ ١٩٧٦ م وتسقط مزيدا من القذائف على الفلسطينيين في غزة ، في ظل تصريح لوزير خارجيتها المتطرف ليبرمان الذي اقترح أن يتم تأجيل ((عملية السلام)) مع العرب لعشر سنوات !!، وعين إسرائيل على الدولة السمراء الوليدة في جنوب السودان ذات النفط والنيل والعداء للشمال .

إنني لا أريد أن أبث روح التشاؤم لدى قرائي الأعزاء ، ولا أقصد إثارة أوجاعهم العربية، لكنها الحقيقية العربية الموجعة التي لا يمكن إنكارها ، والمشهد العربي المأزوم .

إيطاليا تهزم فلسطين واحد صفر

كانت مباراة الافتتاح بين المنتخب الفلسطيني والمنتخب الإيطالي ، وانتهت النتيجة واحد صفر لصالح المنتخب الإيطالي ، وكانت مباراة قوية .. التف المئات والآلاف من الجماهير لمشاهدتها ، فالكرة الإيطالية لها عشاقها ، لكن العجيب في الأمر أن المنتخب الإيطالي ليس كله إيطاليون ! بل كان معظمهم من فلسطين ، لأن عدد الإيطاليين لم يكن كافيا لإكمال فريق مكون من أحد عشر لاعبا ، وكانت البطولة هي : (بطولة كأس العالم الرمزية) التي أقامها الفلسطينيون في قطاع غزة ، بتمويل من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الذي دفع ثلاثين ألف دولار لتمويل الحدث الرياضي ، والاتحاد الفلسطيني لكرة القدم ، وشاركت فيها ست عشرة دولة ، بالإضافة إلى فلسطين باعتبارها الدولة المنظمة، ومصر والأردن باعتبارهما من دول الجوار ، وتركيا باعتبارها دولة لها مواقفها الداعمة للقضية الفلسطينية .

و لم تشارك الولايات المتحدة الأمريكية بفريق يمثلها في كأس العالم بغزة ، ربما لأنها لا تحتاج هذا التمثيل الرمزي ، فهي اللاعب الرئيسي في أحداث فلسطين ، هي المدير الفني لعمليات (السلام) في الشرق الأوسط ، وهي التي تحدد طريقة اللعب المناسبة مع العرب ، ومع الفلسطينيين ، كما تقوم الولايات المتحدة بدور الحكم الذي يطلق صافرة بداية مباراة المفاوضات التي لا يدري أحد ما ومتى نهايتها ، وكم تريد لإسرائيل أن تحقق من أهداف !! وهي الحكم المنحاز دائما ضد العرب ، سواء في عهد أوباما ، أو بوش ، أو كلينتون ، فكل ما يفعله رؤساؤها سواءٌ ، وكل ما يقوله حكامها سواءٌ ، مع الاعتذار لأغنية أصالة الموجهة لكل عربي وكل مسلم (اغضب كما تشاءُ) .

وفي كأس العالم بغزة لم تشارك إسرائيل بفريق رياضي لكرة القدم ، لأنها لم تستطيع خرق قوانين المونديال الرمزي بأرض فلسطين ، ولعلها اكتفت بأنها قادرة على الوجود في المكان بطائراتها التي بدون طيار ، لتراقب المباراة والبطولة ، وقادرة على الوجود بقذائفها الذكية القادرة على قتل العشرات والمئات في برهة واحدة !! قادرة على رشوة الحكم ليغمض عينيه أثناء إلقائها مئات القنابل العنقودية والانشطارية ، وقادرة على التأثير في قرار الحكم ، ولجنة الحكام الكائنة في مبنى الأمم المتحدة بنيويورك ومجلس الأمن .. حيث الفيتو .. الذي هو بمثابة (الكارت الأحمر) الذي يُشهَر في وجه أي قرار يصف إسرائيل بأنها تخرق القانون الدولي ، أو ترتكب جرائم حرب ، ثم إن الجمهور الإسرائيلي أيضا

ممنوع من متعة مشاهدة مباريات كأس العالم بغزة ، ليس لأنه لا يحب الكرة واللعب ، ولكنه مشغول بلعبة أخرى ، يشجع الجمهور الإسرائيلي (اللوبي) فريقه عمليا من خلال التسويق الدعائي بأن فريقهم هو الفريق (المختار) وأن بلادهم هي واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط ، تاركا المجال واسعا لمليون ونصف المليون فلسطيني محاصر في غزة ليشاهد مباريات (كأس العالم بغزة) كبديل سحري عن الطعام والشراب والدواء ، علّه بها يسد رمق جوعه ، ليملأ رأسه بالكرة بدلا من أن يملأ بطنه بالطعام ، وليُشفى من حمى كرة القدم كبديل للشفاء من تشوهات العدوان الإسرائيلي المتكرر .

وكان الوجود العربي ضعيفا.. كما كانت نتائجهم ، لغياب الروح الجماعية ، وأنانية بعض اللاعبين ، ورغبة البعض أن تسلط الأضواء عليه وحده ، فلم يستحقوا كأسا ولا بطولة ، وقبعوا في ذيل التصنيف العالمي للاعبين الدوليين ، بل إن بعض الفرق العربية وهي فرقة الدولة صاحبة الأرض (فلسطين) عجزت عن أن تضم إلى صفوفها بعض العناصر الجيدة، التي لو ضمتها لربما حققت بعض التقدم ، والسبب أنهم يعيشون في الضفة الغربية ، وليس قطاع غزة !!

(الأشكناز) و (السفارديم)
والفتنة الطائفية

منتهى التطرف الطائفي ، وعدم قبول الآخر ، وكأنهم لا ينتسبون إلى دين واحد ، وإلى دولة واحدة ، كل طائفة تكره الأخرى كراهية شديدة ، وتتمنى أنها لو لم تشاركها العيش في تلك البلاد ، بل ووصل الأمر إلى قيام إحدى الطائفتين بمظاهرة غاضبة حاشدة ، تطالب الحكومة بأن يكون لكل طائفة مدارسها الخاصة بها ، وأن لا يكون هناك اختلاط بين أبناء الطائفتين في مدرسة واحدة !! إنها قمة العنصرية ، أن ترى طائفة أنها أعلى شأنا من الأخرى ، وأنها تستحق الاهتمام والتقدير من الحكومة عن الأخرى ، مهما كانت الدوافع والأسباب .

نعم ، هذا ما حدث في إسرائيل يوم الخميس الماضي ، حينما قام اليهود الأشكناز بمظاهرة غاضبة يطالبون حكومة الاحتلال الإسرائيلي بأن لا يختلط أبناؤهم مع أبناء اليهود السفارديم في مدرسة واحدة ، لأنهم يرون أنهم مميزون عنهم ، وملتزمون عنهم ، وأن اختلاط أبنائهم مع أبناء (السفارديم) يفسد تربيتهم .

واليهود الأشكناز هم اليهود الغربيون كما يسمون الآن ، و الذين ترجع أصولهم لأوربا الشرقية وأوربا الوسطى ، نزحوا منها إلى أرض فلسطين ، ويتحدثون اللغة العبرية والإنجليزية ويمثلون حوالي ٨٠٪ من اليهود المعاصرين ، وليس لهم أي صلة بالساميين ويهود الشرق الأوسط .

أما اليهود السفارديم فهم اليهود الشرقيون ، ومذهبهم مختلف عن اليهود الغربيين (الأشكناز) وهم القادمون من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، وكان موطنهم الأساسي في بلاد الأندلس حيث كانت الحضارة الإسلامية مزدهرة آنذاك ، وعاشوا فترة ذهبية في الأندلس (أسبانيا والبرتغال حاليا) وكان التسامح الديني عنوانا لتلك المرحلة الهامة من تاريخ المسلمين هناك ، وكثير من المؤرخين يصف العهد الذي عاشه اليهود في بلاد الأندلس بالعهد الذهبي بالنسبة لهم ، وهو العصر الذي لم يتحقق لليهود قديما ولا حديثا ، ويبدو أن اليهود بشكل عام يردون الجميل للمسلمين في فلسطين من خلال التسامح الذي يبدو من هدم المساكن فوق رؤوسهم ، ومن خلال التجويع الجماعي عبر الحصار ، ومن خلال الحياة (الرائعة) التي يحياها الفلسطينيون في أرضهم !!

ويوجد في إسرائيل لكل طائفة حاخاماتها ، ورموزها ، بل وأماكنهم التي يسكنونها،

وينظر الأشكناز إلى السفارديم نظرة دونية ، ربما لأنهم الأفقر الآن ، ولذلك قاموا بالاحتجاج عبر التظاهر على أن يكون أبناء الطائفتين في مدرسة واحدة ، وهناك يهود الفلاشا الذين يقبعون في ذيل قائمة طوائف اليهود.

إذن هذه حقيقة إسرائيل ، البغضاء بادية بين طوائفها ، والعنصرية البغيضة تملأ جنبات إسرائيل ، التشتت عنوان عريض لحياتهم ، يحقدون على بعضهم البعض ، ويحاولون الوقيعة وإشعال الحروب والفتن بين الآخرين ، ولا يكفون أبدا عن الفساد والإفساد في الأرض ، وهذا هو وصف الله لهم في القرآن الكريم في الآية رقم ٦٤ من سورة المائدة (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ، وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً ، وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)

ما سادت الطائفية والعنصرية في مجتمع إلا وأنذرت بفنائه ، وما ساد التسامح في مجتمع إلا كان دليلا على تحضر هذا المجتمع ورقيه ، وترفعه عن صغائر الأمور .

أثرياء العرب .. وكيف ينفقون أموالهم ؟

الوليد بن طلال لا يزال هو الشخصية العربية الأغنى وفقا لتصنيف مجلة أربيان بيزنيس لأثرياء العرب ، وذلك للعام السابع على التوالي ، بإجمالي ثروة تقدر بعشرين مليار وأربعمائة ألف دولار أمريكي ، بزيادة أكثر من مليارين من الدولارات عن العام الماضي ، بالرغم من الأزمة المالية العالمية التي أطاحت أو هزت عددا من المؤسسات الاقتصادية حول العالم .

كما جاء في المرتبة الثانية محمد عيسى الجابر الذي زادت ثروته ثلاثة مليارات من الدولارات ،لتصل إلى ١٢ مليار دولار ، وفي المرتبة الثالثة جاءت عائلة العليان السعودية بثروة قدرها ١١,٩ مليار دولار، ورابعا حل رجل الأعمال السعودي محمد العمودي بثروة قدرها ١٠ مليار دولار ، كما جاءت في المرتبة الخامسة عائلة بن لادن ، ضمن قائمة أثرياء العرب ، وضمت القائمة ٢٤ سعوديا من أصل ٥٠ ثريا عربيا ، كما شهدت القائمة رجال أعمال وعائلات كويتية وسعودية وإماراتية ومصرية ، لكن الهيمنة السعودية كانت واضحة على القائمة .

وتشير هذه الأرقام إلى أن خمسين مليارديرا عربيا يمتلكون حوالي ٢٥٠ مليار دولار أمريكي ، وبالطبع فإن هذه الإحصاءات لا تضم الشخصيات السياسية ، ولا الأسر المالكة أو الحاكمة في الدول العربية ، باستثناء الوليد بن طلال الذي أسس شركاته وكون ثروته بنفسه كما يشير التقرير .

والحقيقة أنه لا توجد لدى العرب الشفافية الكاملة لإعلان قائمة دقيقة بأثريائهم ، بالرغم من أهمية التصنيف السابق ، وقد كان هذا اعترافا من رئيس تحرير مجلة أربيان بيزنس التي نشرت التقرير ، كما أن هناك حسابات مصرفية سرية في بنوك سويسرا وأوربا لا تدخل ضمن حسابات المجلة .

قبل أيام نشرت وثائق ويكيلكس أن أحد قادة العرب لديه تسعة مليارات دولارات مهربة إلى بنوك أوربا ، وقد قامت قناة البي بي سي بعمل لقاء مع أحد مستشاريه ، فقال إن الرئيس يقوم بالإنفاق على بعض المراسم من ماله الخاص !! ، وبعد الكشف عن هذه الأرقام صرح في اليوم التالي بأنه سيطبق أحكام الشريعة الإسلامية على الناس ، بمعنى أن السارق لابد أن تقطع يده !!

الحقيقة أن هناك ثمة تساؤلات تطرح بعد قراءة الأرقام السابقة ، أين يذهب المال

العربي ؟؟ وفي خدمة من يكون ؟ وهل يعمل على تحقيق نهضة حقيقية بالبلاد العربية ؟ مع تقديرنا لأصحاب هذه الثروات ، وإعجابنا بنجاح البعض منهم في مجال المال والأعمال ، لكن هل توجه هذه الأموال لشراء الأندية الأوربية ؟ والمتاجر البريطانية ؟ وتترك فرص الاستمثارات العربية دون ممول ؟

قرأت مرة أن أحد مليارديرات العرب تبرع بمبلغ مليون جنيه استرليني لإحدى حدائق حيوانات بريطانيا ، وإلى الآن لم نقرأ خبرا عن مشروع ضخم يتبناه أحد هؤلاء المليارديرات لنهضة بلد كالسودان أو موريتانيا ، أو أي دولة عربية تعاني من كثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية ، إن إخراج زكاة مال ٢٥٠ مليار دولار سنويا كفيل بحل عشرات المشكلات التي تعاني منها بعض البلدان .

كان للمخرج اليهودي ستيفن سبيلبرج موقفا حينما وظف ماله لخدمة القضايا التي يؤمن بها ، فقد تبرع بمبلغ مليون دولار أمريكي من جيبه الخاص لصالح قوات الاحتلال الإسرائيلية أثناء عدوانها الأخير على لبنان ، ومؤخرا تبرع بمليون دولار أخرى لصالح المسيحيين في دارفور في جنوب السودان ، فماذا فعل العرب ؟؟

إسرائيل تتكلم العربية !!

ما يقرب من الستة والخمسين ألف شاب عربي يتابعون حسابا إسرائيليا على موقع الفيس بوك تشرف عليه وزارة الخارجية الإسرائيلية ، ويتعرضون لكل ما تحب إسرائيل أن تقوله لهم ، فهذا خبر عن اتفاقية مع اليونسكو لإنشاء مركز ضمن المنظمة العالمية يكرس لتطوير ودعم تدريس الهولوكوست ومحاربة إنكار وقوعه في العالم ، و آخر يتحدث عن الحق التاريخي لليهود في إسرائيل ، وموضوع آخر يمكنك أن تشاهد وتستمع إلى السلام الوطني الإسرائيلي ، وهذا موضوع عن اسم شركة لتشغيل الشباب العرب في مدينة الجليل مقرونا بالحديث عن امتيازات الرواتب وارتفاع مستوى المعيشة في دولة الاحتلال ، ناهيك عن كثير من المغالطات والبيانات التي لو اكتفيت بها لاستنتجت أن إسرائيل دولة ملائكية بريئة وديعة تقوم بتزويد الأشرار في غزة بشاحنات الطعام ..إنها صورة مثالية لدولة تقابل إساءة الإرهابيين في غزة بالإحسان العظيم !!

وقد صدَّرت وزارة الخارجية الإسرائيلية الصفحة بالقول بأن لإسرائيل وجوه كثيرة ، وصدقوا ..ربما أنهم اختاروا هذه الجملة جهلا بالعربية التي تجعل ممن له أكثر من وجه منافقا كذابا ، بل هو أشر الناس .. ذو الوجهين الذي يأتي العالم الغربي بوجه ، والسكان الأصليين لأرض فلسطين بوجه ، ويتعاملون مع كل دولة أو منظمة بوجه ، إنها جملة تختزل كثرا من المعاني ليس كما أرادت أن تسوق الخارجية الإسرائيلية التي يترأسها شخص بمواصفات ليبرمان ذي الآراء والأفكار المتطرفة ، ولم ينسوا أن يضعوا بعض صور لشباب وفتيات ، كأنما الحساب موجه لهم ، بعضهن ترتدي الحجاب ، وأخرى ترتدي ملابس العبادة وفقا للطقوس اليهودية .

والحقيقة أنه ليس كل الستة والخمسون ألف معجب بهذا الحساب هو معجب بما تحمله الكلمة من دلالات ، فتعليقات معظمهم تنبئ عن أنهم سجلوا إعجابهم ليتمكنوا من التعليق على المنشور في هذا الموقع ، خاصة وأن من عيوب الفيس بوك أنه ليس فيه خاصية التعبير عن عدم الإعجاب ، ومن تعليقات بعض الشباب العربي عن موضوع يتحدث عن الديمقراطية والتعددية في إسرائيل وحقوق النساء وحقوق المواطنين العرب وحقوق الأطفال وحرية الصحافة وحرية التعبير في إسرائيل !!يقول المعلق : (ديمقراطية ؟هههههه .. يا لها من نكتة أضحكتني) ، ويقول آخر : (عن أي ديمقراطية تتحدثون : عرب ٤٨ وما يحدث لهم من انتهاكات وفصل أعضائهم فى الكنيست بسبب رفضهم مذبحة غزة.. أم الأفارقة

اليهود الذين يعاملون كمواطنين من الدرجة الثالثة ممنوعون من أبسط حقوقهم، بل يقتلون على الحدود ، ونعم الديموقراطية !) وهذا ثالث يقول (فلتحيا إسرائيل بلد الغدر و الخيانة و السرقة تحياتي لكم يا بلدا لن تدوم طويلا) بالإضافة إلى كثير من التعليقات التي تسخر وتسب وتلعن دون أن يقوم الأدمن بحذفها ، بل يتحاورون مع كاتبيها ، حتى وإن لم يصل الحوار إلى نتيجة ، وقد ترى شبابا يحيي ديمقراطية إسرائيل ويكيل السباب للعرب مجتمعين .

لكن السؤال الذي يمكن أن نسخلصه من هذا المقال ..لماذا يتحاور الكيان الإسرائيلي مع شبابنا .ويمتد في فراغنا ، في حين أن كثيرا من أنظمتنا لا تفتح قنوات اتصال وحوار معهم ، لماذا تغفل حكوماتنا العربية وسائل التواصل الاجتماعي مع الشباب ؟ أو لسنا أحق بشبابنا منهم ؟ إن إدراك دور الإعلام الاجتماعي في استقطاب الشباب مسألة في غاية الأهمية ، ويجب أن تأخذ من ساستنا وقادتنا الوقت المناسب لخطورة الموضوع .. ويجب أن نقدم لهم النصائح والتوعية الكافية في ظل هذا المجتمع المعلوماتي المنفتح على العالم من أقصاه إلى أقصاه ، لأن شبابنا هم ثروة أوطاننا وصناع حاضرها ومستقبلها .

رمضان .. ومواجهة المجاعات والنزاعات

يأتي علينا رمضان وعالمنا الإسلامي يمر بمرحلة عصيبة من تاريخه ، فالمسلمون في الصومال يعانون من مجاعة هزت الضمير العالمي ، دون أن تلبي المساعدات الاحتياجات المتزايدة للطعام هناك ، وفي حين تزخر موائد كثير من المسلمين بأطايب الطعام و(الياميش) والمكسرات ، يمكن للفرد أن يحصي عدد أضلاع القفص الصدري لأطفال الصومال بعدما بلغ بهم الجوع مبلغا .

وإذا كان من بعض الحكم والمقاصد المتعددة للصوم أن يشعر الغني بمعاناة الفقير ، وأن يستشعر الناس مشاعر الفقراء الذين يمتنعون عن الطعام والشراب لكن بغير إرادتهم، فإن من لا يشعر بمعاناة المسلمين الجوعى لم تتحقق لديه إحدى فوائد الصوم ، فالصوم له فوائد فردية أي على مستوى الأفراد سواء كانت فوائد صحية أم فوائد روحية قيمية وأخلاقية ، وله فوائد جماعية على مستوى مجموع الأمة الإسلامية ، فهو شهر الصبر ، وهو شهر المواساة .

ويأتي رمضان هذا العام وعدد من الأقطار الإسلامية تشهد توترات ونزاعات مسلحة، ففي سوريا ارتكبت مجازر حقيقية بحق أهل حماة في مطلع الشهر الفضيل ، ويعاني أهل سوريا جميعهم من نظام تفنن في محاصرتهم بالدبابات والقاذفات ، وجعل من دمائهم المسفوكة قرابين مقدسة من أجل بقاء نظام يدعي زورا وبهتانا أنه نظام الممانعة في الوطن العربي ، وهو يمانع أن يتمتع أهل سوريا بأبسط حقوق الإنسان ، وهو مجرد الحق في الحياة.

وفي ليبيا التي كانت تسبق كل بلاد العالم الإسلامي في ابتداء الصوم كل عام نراها هذا العام وقد سبقت كل الدول في استباحة الحرمات ، ونكلت بمن بقي منهم على قيد الحياة حبسا وتعذيبا وهتكا لأعراضهم كما أشارت إلى ذلك تقارير المنظمات الدولية ، سواء من قبل القذافي وكتائبه وعصاباته المسلحة ، أو من خلال بعض ممارسات الثوار في ليبيا .

كما أن التوتر والترقب هو سيد الموقف في مصر ، بعد موجة من الانقسامات بين الفصائل والقوى السياسية ، وتباطؤ في التقدم بالأزمة نحو بصيص من الأمل ، وفي اليمن أناس أنهكهم الشد والجذب بين النظام والمعارضة ، وأنهكهم البحث عن اسطوانة للغاز يعدون بوقودها طعام رمضان ، أو بضعة لترات من البنزين تنقلهم إلى حيث يبحثون عن لقمة العيش !

أي رمضان هذا الذي أتي على عالمنا وقد مزقته الخطوب ، وأي عبادة تلك التي لا

يستطيع المسلمون من خلالها عبور تلك المرحلة التي تمثل عتق زجاجة ، ويخرجوا إلى حيث بصيص شعاع في نهاية نفق مظلم .

يستطيع العالم الإسلامي استثمار كل تلك الأحداث استثمارا مناسبا ، حيث يجعلها منصة الانطلاق نحو تصحيح المسار ، ليكون لخمس سكان الكرة الأرضية من المسلمين مكانتهم وقوتهم التي تليق بهم ، ليكون لهم إنتاجهم الذي يكفيهم ويغنيهم عن الحاجة الدائمة للآخرين ، والأهم من ذلك أن يتجاوزا الخلافات الضيقة التي تمزق هذا العالم الخصب بشبابه وبرجالاته ، وأن يسموا بأنفسهم فوق المصالح الذاتية المحدودة إلى مصالح مجموع الأمة الإسلامية التي أرادها الله أن تكون (خير أمة أخرجت للناس) .

لقد مثل دائما رمضان عبر التاريخ زمن تحقيق الانتصارات المتكررة منذ بدر ، وحتى أكتوبر ١٩٧٣ م ، فهل يتمكن مسلمو هذا الزمان من تحقيق انتصار تاريخي على أنفسهم ، وأن يكون رمضان ظرفا زمنيا لمرحلة نهضة جديدة ؟؟نتمنى ذلك .

جزيرة أبو موسى الإماراتية ..
الحق العربي، وأمارات الوهن الإيراني

بخلاف الكثيرين أعتقد أن زيارة الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد لجزيرة أبو موسى الإماراتية المحتلة دليل على الضعف الإيراني ، والتصريحات الإيرانية المتشنجة لعدد من المسئولين والمسئولين السابقين الإيرانيين أمارة على هذا الضعف ، ودليل على شعورالإيرانيين بمزيد من العزلة الإقليمية والعالمية ، وتآكل الشعور بالقوة والتميز أمام الإخفاق في عدد من الملفات .

حيث ليس من الضروري لأصحاب المواقف السياسية القوية أن يخرجوا عن التقاليد والأعراف الدبلوماسية، ويهجروا لغة المنطق والحكمة ، وليس من الذكاء أن تفتح أي دولة على نفسها جبهات جديدة ، في حين أن عددا من الجبهات تصل إلى حد الاشتعال .

فإيران أخفقت في التعامل مع الملف السوري في أن تصل به إلى النتيجة التي أرادت ، ولم تستطع صفقات الأسلحة التي تصل إلى سوريا عبر العراق ، ولا المساعدات الاقتصادية، ولا تطوع الوكلاء الإيرانيين في تثبيت أركان النظام السوري بالرغم من حمامات الدم التي تسيل هناك ، بل إن الملف السوري قام بإحراج إيران بشكل مباشر حيث كشف زيف ادعائها أنها حامية ثورات (الصحوات الإسلامية) كما أن إيران أخفقت في التعامل مع قضية ما يعرف بالربيع العربي ، حيث شهد التقارب المصري الإيراني فتورا إن لم يكن جمودا بعد كشف النخبة المصرية المخططات الإيرانية لإحياء مشروعها التوسعي في المنطقة العربية ، وبعد الكشف عن محاولة إيران استغلال الثورات العربية لتحقيق مآربها الخاصة .

كما أن إيران فيما يتعلق بملف المواجهة مع الغرب قد خسرت عدة نقاط بعد تطبيق القوى الغربية لعدد من العقوبات الاقتصادية التي خنقت الاقتصاد الإيراني ، وأدت إلى تراجع العملة الإيرانية بشكل كبير ، ومعروف أن الاقتصاد هو المحرك الرئيس للسياسات في الوقت الراهن ، حيث لا قيمة لتحقيق الإنجازات النووية أو حتى الوصول للفضاء ، وحالة المواطنين في الأرض تدعو للرثاء .

وقد خسرت إيران دبلوماسيا مع دول الخليج العربي بشكل خاص والدول العربية بشكل عام حين تحدت إرادتهم فيما يتعلق بالقرارات الأممية تجاه نظام الأسد في سوريا ، كما أن محاولات التدخل في شئون البحرين ألقت بظلالها في هذا السياق ، ناهيك عن تدهور علاقاتها الاستيراتيجية مع الجارة المهمة تركيا .

ولم يعد أمام إيران من أوراق سوى أن تقوم بالممارسات الاستفزازية التي تهرب بها إلى الداخل ، وتغطي على حالة الاختناق السياسي التي يمر بها النظام في طهران ، دون أن تكون هناك بادرة أمل في الأفق مع الاستمرار في التلويح بتوجيه ضربات استباقية للمنشآت الحيوية الإيرانية .

كانت زيارة نجاد ل(أبو موسى) تنفيسا عن حالة الحصار السياسي الذي يطوق إيران عالميا وإقليميا ، وبدلا من كسب ود جيرانها العرب تعمل على إذكاء القطيعة ، وتخريب شعرة معاوية التي يتعامل بها العرب مع الجار ذي الأطماع التي ليس لها حدود .

وإذا ما حكمنا على الأحداث بالنتائج فإن نتيجة زيارة نجاد لجزء من الأرض العربية الإماراتية التي احتلتها قبل عقود قد أعاد للأذهان قضية احتلال الجزر الثلاث ، وليتنا نستغل الحدث دبلوماسيا ، فتقوم المجموعة العربية في المحافل الدولية والإقليمية بتوجيه حملة دبلوماسية على إيران دفاعا عن الحق العربي ، وكشفا للزيف والادعاءات الإيرانية بحقها في ما تحتله من أراض عربية .

عندما يستيقظ العرب ترتجف الأرض

عنوان هذا المقال هو جزء من كلام السياسي الفرنسي شارل ديجول الذي عرف بمناوراته السياسية في القضية الجزائرية ، وقد قال هذه المقولة ليس مجاملة للعرب ، وليس بناء على أعراف بروتوكولية ، وإنما بناء عن دراية وخبرة في التعامل مع العرب، وديجول هو الرجل الذي قاد مقاومة بلاده في الحرب العالمية الثانية ، التي تم احتلال باريس فيها من قبل ألمانيا النازية ، ويُرجع الكثير من الفرنسيين الفضل إليه في استقلال فرنسا ، حين قال للشعب الفرنسي : (أيها الفرنسيون لقد خسرنا معركة لكننا لم نخسر الحرب وسوف نناضل حتى نحرر بلدنا الحبيب من نير الاحتلال الجاثم على صدره) .

حتى وإن شكك البعض في نسبة هذه المقولة لديجول إلا أن تركيبة الإنسان العربي تحتوي على تلك المعاني ، وتشهد على ذلك كل الأحداث التي مر بها الإنسان العربي والمسلم عبر التاريخ ، فلو كان سكان فلسطين على سبيل المثال من قوم آخرين ، وفُعل بهم كل ما فعلته القوى الإسرائيلية المحتلة ، بمساندة وتأييد ومحاباة الدول الكبرى لكانت الهوية قد ذابت ، ولتبدل شكل الأرض ولغتها وتراثها وحضارتها ، إلا أن الواقع يشير إلى عكس ذلك، ولم تزد محاولات القهر ، وطمس الهوية العربية والإسلامية لأبناء فلسطين إلا تمسكا بعروبتهم وعقيدتهم ، ولم تفعل بهم كل القرارات الأممية والحروب الطاحنة التي شنها الكيان الإسرائيلي عليهم على امتداد ما يقارب السبعة عقود أو يزيد إلا أن زادتهم إصرارا على البقاء ، وتمسكا بالهوية ، وتشبثا بأشجار الزيتون هناك .

وهذا ما قد لا يوجد في الأمم الأخرى ، وقد كان هذا الأمر مثال دهشة وتعجب من الصحفي الأمريكي توماس فريدمان ، وسجل هذه الدهشة في كتابه (السيارة ليجساس وشجرة الزيتون) حينما قارن فيه بخبث بين زيارته لمصنع إنتاج السيارات (تويوتا) في اليابان ، وإطلاعه على مراحل إنتاج السيارة ليجساس التي تتم كلها عبر الروبوتات ، وبين زيارته التالية لأرض فلسطين المحتلة ، ورأى فيها الإنسان العربي وهو يقاتل من أجل أشجار الزيتون ، وحبات الرمل المتراكمة في الأرض العربية الفلسطينية ، فكان سبب دهشته أنه لا يعرف طبائع العرب ، ولا تمسكهم الشديد بترابهم الذي ولدوا فيه ، وارتباطهم الشديد بأوطانهم ، واستعدادهم لدفع الغالي والنفيس من أجل رفعتها .

البعض منا يقوم بجلد الذات ، مبينا أن العرب لا يستطيعون فعل شيء ، تأثرا بالآلة الدعائية الصهيونية التي شوهت الصورة الذهنية للعربي والمسلم حول العالم ، وقدمتهم

على أنهم مجرد ظاهرة صوتية ، وأنهم لا يقرؤون ، وإن قرءوا لا يفهمون ، وإن فهموا لا يعملون ، إلى آخر العبارات التي صكها نفر من اليهود لتحطيم الصورة الذهنية العربية لدى أنفسهم ، وتدمير ذواتهم ، من أجل أن يفقد العربي الثقة في قدراته الجبارة التي لو وظفت بشكل جيد لكان لنا شأن آخر .

ومع ذلك فإن الكثيرن من العرب ممن تتوافر لهم بيئة النجاح ، ليس فقط ينجحون ، بل يبدعون ويبرعون في مجالات متعددة ، وحينما يوضعون في بيئة التحدي فإن إرادتهم الصلبة تفوق كل إرادة .

إن هذه الأفكار ليس من أهدافها بيان أن العرب أفضل الأمم أو أنهم شعب الله المختار، فلكل أمة احترامها وقدرها ، لكني أردت إبراز أن هذه الأمة التي قادت الدنيا لقرون خلت لا تعدم مقومات النهوض ، يرونه بعيدا ، ونراه قريبا .

الفصل التاسع

من الأسرار الإعلامية في سورة الحجرات



من الأسرار الإعلامية في سورة الحجرات

سورة الحجرات سورة مدنية ، أي نزلت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد الهجرة ، وهو في المدينة المنورة ، وتحتوى على ١٨ آية ، وبها من التعليمات والتشريعات ما يكفل بإيجاد حياة اجتماعية وسياسية راقية ، وبها من التوجيهات الإلهية ما يكفل بإقامة مجتمع مثالي ، يستطيع التغلب على كل العقبات التي تعترض مسيرة حياته ، ويستطيع المرور بسلام من الأزمات التي قد تواجهه ، فهذه السورة رغم قلة عدد آياتها ، إلا أنها ثرية في مضمونها ، عميقة في معانيها .

وسميت سورة الحجرات بهذا الاسم ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له عدد من الحجرات الملاصقة للمسجد النبوي بعدد نسائه ، وكان الأعراب يدخلون المسجد وينادون بأصواتهم العالية : يا محمد اخرج لنا ، فنزل قول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ) فسميت السورة بهذا الاسم .

وتحتوى السورة كذلك على عدد من المبادئ والأسس التي تقوم عليها علوم الإعلام ، والعجيب أن عددا من النظريات الإعلامية الحديثة التي تنسب لباحثين وعلماء أجانب تجد لها أصلا عاما في السورة الكريمة على النحو الذي نوضحه فيما بعد ، فالسورة تقدم إلى مجتمع المسلمين مجموعة من المواثيق والتشريعات التي تنظم الحياة لهم ، وتحدد العلاقة السوية بين المسلمين وبين بعضهم البعض ، وبين المسلمين وغير المسلمين .

وأول بند من بنود مواثيق السورة الكريمة يتعلق بما ينبغي أن يكون عليه المسلم حين يتعرض للإعلام المنتسب إلى الله تعالى ، والمعبر عن شريعته ، إذ يمثل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الرسالة الإعلامية الهامة الموجهة إلى عموم الناس ، وإلى المسلمين ، وتتحدد عظمة الرسالة بعظم المرسل ، وهو الله سبحانه وتعالى ، والرسول العظيم عليه أفضل الصلاة والتسليم .

تحدد الآية الأولى في سورة الحجرات الطريقة المثلى في التعاطي مع وسائل الإعلام الدينية ، مثل القنوات الدينية التي تقوم على بث القرآن الكريم ، أو السنة النبوية المطهرة، أو إذاعة القرآن الكريم ، يقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) فإجلال هذه الوسائل نابع من إجلالنا للقرآن

والسنة ، والناس في تعاملهم مع تلك الوسائل أنواع :

النوع الأول : يحرص على قضاء أكبر وقت ممكن في متابعة تلك الوسائل ، إذا استمع إلى القرآن الكريم أنصت ، وحاول أن يفهم المعاني التي تحتوى عليها الآيات الكريمات ، وربما خشع قلبه فذرف الدمع خشية لله عز وجل ، إذا سمع آية عذاب ووعيد استغفر الله تعالى ، وإذا سمع آية رحمة وبشرى استبشر وطمع في رحمة الله وعفوه وغفرانه .

والنوع الثاني : يدرك أن لتلك القنوات والوسائل الدينية شرفا خاصا ، وإجلالا مستمدا من شرف القرآن والسنة ، لكنه لا يقوى على قضاء وقت كبير في رحابها ، وسرعان ما يبدل هذه القنوات بقنوات أخرى ، أو يشغل القنوات الدينية لبعض الوقت في الصباح ، أو يتركها ليلا تبث التلاوات وهو نائم ، أو وهو خارج المنزل .

أما النوع الثالث : فلا يحب سماع القرآن ولا السنة ، ولا يمر على تلك القنوات إلا وهو يستعرض قنوات التلفاز بحثا عن شيء معين ، ومشاهدة مباراة أو فيلم أو أغنية محبب إلى قلوبهم ، وأفضل ألف مرة من أن يجلس للاستماع لدرس علمي أو لبعض آيات من القرآن الكريم ، يشعر بضيق لو استمع لتلك الوسائل الدينية ، وهي أولى مراحل الضلال التي حذر الله منها في سورة الأنعام : (فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلام ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) وللحديث بقية.

اختلاف بين أبي بكر وعمر .. و درس في أدب الحوار

يقول الله تعالى في الآية الأولى من سورة الحجرات : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) استهلال هذه الآية يعلمنا كيف ينادي بعضنا على بعض ، المسلم ينادي على أخيه بأحب الأسماء إليه ، ويكنيه بأبنائه ، كما كان أصحاب النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينادونه بأبي القاسم ، وكما نادي الله تعالى عباده بأحب الصفات إلى قلوبهم ، صفة الإيمان ، فقال (يا أيها الذين آمنوا) ، والله حينما أراد أن يشرف النبي محمدا وصفه بصفة العبودية له ، حيث قال في مطلع سورة الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

بعض الناس في زماننا هذا لا يروق لهم إلا أن تناديهم بالألقاب المفخمة ، أو تصدّر رسالتك لهم بأصحاب المعالي والفخامة والعظمة ، لكن الله تعالى حين يضع وسام الشرف على صدر نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : أسرى بعبده .

وقد حدث حوار لطيف بين صاحبي رسول الله : أبي بكر وعمر قبل نزول هذه الآية كما يذكر المفسرون في سبب نزولها ، حيث جاء وفد بني تميم في السنة التاسعة من الهجرة التي توافدت فيها الوفود على المدينة المنورة لبيعة الرسول الكريم على الإسلام ، وكان كلما وفد وفد يؤمر النبي عليهم واحدا ، ولإرساء أسس الديمقراطية والشورى كان النبي يشرك كبار الصحابة في اتخاذ القرار ، ويأخذ مشورتهم ، فقبل أن يخرج الرسول للوفد اختار أبو بكر الأقرع بن حابس ليكون أمير تميم ، ولم يكن الاختيار مرتكزا على أسس شخصية ، أو هدايا قدمت إليه ، بل اجتهد ونظر إلى المصلحة العامة ، وتحقيق مبادئ العدل والمساواة ، واختار عمر رضي الله عنه رجلا يدعى القعقاع بن معبد ، اختاره أيضا عن اجتهاد أساسه مراعاة المصلحة العامة ، فقال أبو بكر لعمر – رضي الله عنهما – ما أردتَ إلا خلافي ، فقال عمر : ما أردت خلافك ، فارتفعت أصواتهما ، فأراد الله أن يعلم المسلمين أن الشورى والديمقراطية ليس معناها الشقاق والنزاع ، وأن هناك إطارا عاما ودستورا ينبغي أن نعود إليه عند الخلاف ، ونزل قول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ) .

ولم يكن لأحد أن يتشبث برأيه ، ويعاند ويكابر ، ويفند مزاعم الآخر ، وتقام معارك كلامية بين الطرفين كما يحدث الآن في عالم السياسة بين الأحزاب أو الجمعيات السياسية، ونحدث البلبلة بين الجماهير ، لأن الدستور الذي نحتكم إليه واضح كالشمس في رابعة النهار ، لذلك ورد أن عمر رضي الله عنه بعد نزول هذه الآية لم يكن يتكلم حتى يستفهم، وقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لا أكلمك إلا كأخي السرار ، أي كالهمس .

إنه درس في السياسة ، ودرس في الحوار ، ودرس في الانصياع لأمر الله ورسوله .

إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا

خطورة نشر الأخبار الكاذبة أنها من الممكن أن تضر بمصلحة أمة بأكملها ، وتثير الضغائن والأحقاد بين طوائف الأمة الواحدة ، وربما تصل الخطورة لذروتها لتكون تلك الأخبار والشائعات المغرضة سببا في الإخلال بالأمن والاستقرار ، ومثل نشر وتناول الأخبار الكاذبة إطلاق التفسيرات المضللة ، والاستنتاجات الخاطئة ، والتشكيك ، ولي عنق الحقائق ، كلها تضر بأمن الوطن ، ولا تكون عواقبها الوخيمة على طائفة دون أخرى ، بل تصيب نارها الجميع ، ويزكم دخانها جميع الأنوف .

والله تعالى سمى الذين يقومون بنشر البيانات الكاذبة فُسَّاقا ، أي خارجون عن الطاعة، غير متحلين بالأمانة ، والأصل في الإعلام أن يتحلى بالصدق في نقل الوقائع ، وإعطاء التحليلات الإخبارية الصادقة ، حتى لا يترتب عليه تضليل الرأي العام ، فمن أهم وظائف الإعلام المنضبط الوظيفة الإخبارية ، وتعني النقل الأمين والصادق للأحداث دون تحريف أو تلوين ، ووظيفة التحليل والتفسير ، والأصل فيه أن يكون محكوما بقواعد المنطق ، وأسس الاستنتاجات الصحيحة كبناء النتائج على المقدمات ، أما أن تقوم الصحيفة بفتح موقعها الإلكتروني لعينة من التعليقات المحرضة ، غير المسئولة فإنه يبعد الوسيلة الإعلامية عن وظيفتها ، ويجعلها أداة من أدوات التسويق والدعاية السياسية لأجندات خاصة .

وعلى الرأي العام أن يتثبت من هذه الأخبار ، وأن يتبين صدقها من كذبها ، على الجماهير أن تُعمل عقلها في فهم رموز الرسالة الإعلامية ، وأن تغلب مصلحة المجموع على المصالح الفردية للأشخاص أو للجمعيات السياسية ، فالوطن مظلة أمن لكل المواطنين، كما أن هناك دور للقائد ينبغي أن يفعله ، التثبت ، ووأد الشائعات في مهدها ، وبيان الحقائق للناس ، ومواجهة الباطل بالحجة والمنطق ، وإعلاء قوة القانون بردع المفسدين دون أن يكون هناك مغالاة في ردة الفعل ، أو إطلاق اتهام طائفة بأكملها بسبب حالات فردية يقوم بها بعض الأشخاص .

والله تعالى يقول في سورة الحجرات (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) وسبب نزول الآية الكريمة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط رسولا له إلى بني المصطلق بعد إسلامهم ليعلمهم أمر الدين ، فلما علموا بأمر مقدمه خرجوا ليستقبلوه، فظن أنهم

خرجوا جميعا لقتله ، فعاد إلى المدينة ، وأخبر النبي أن بني المصطلق قد ارتدوا عن الإسلام وهموا بقتله ، ومنعوا صدقاتهم ، وهنا يأتي التنبيه على عدم التأكد من الخبر ، واختلاق الزيادة في تفاصيله ، وهو ما تقع فيه –بالعمد أو بالخطأ – بعض وسائل الإعلام، وجاء دور القائد حيث لم يجهز جيشا لغزوهم إلا بعد أن يتثبت ، فأرسل النبي – صلى الله عليه وسلم – خالد بن الوليد ليأتيه بخبرهم ، فدخل عليهم خالد ليلا ، فسمع صوت المؤذن ينادي للصلاة ، فلما أصبح أتاهم خالد فأكرموه ، وأخبروه أنهم كانوا قد خرجوا لاستقبال الوليد استقبالا حافلا يليق بأنه رسول رسول الله ، لكنهم لم يجدوه ، فرجع خالد إلى الرسول الكريم وأخبره بالأمر فنزلت الآية الكريمة .

إن الذين يصدقون كل ما يقال دون تثبت وتأكد من صدقه وصفتهم الآية الكريمة بأنهم على جهالة ، وحذرتهم من بعض التصرفات التي ربما يندمون عليها لاحقا ، فليس كل ما يسمع أو يقرأ يُصدّق ، وليس كل ما يسمع يقال .

الإصلاح بين الطائفتين

ينظر الإسلام إلى المجتمع على أنه جسد واحد ، وكيان واحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، ومن الطبيعي أن يكون كل عضو مختلفا عن الآخر ، لكن كل الأعضاء في النهاية تنتمي إلى جسد واحد ، وتجمعها روح واحدة بها تعيش، وكذلك المجتمع ؛ كل فرد له اهتماماته وتوجهاته ومعتقداته السياسية والدينية ، لكنه لا ينسى أنه عضو في هذا المجتمع ، عليه أن يحرص على استقراره ، وأمنه ، ويتشارك مع الآخرين في إنمائه وتطويره .

ومن الوارد أن تتصارع طوائف المجتمع نتيجة لاختلاف المصالح ، واختلاف الرؤى ، لكن هذا الاختلاف لابد أن يكون في إطار التنوع الذي يؤدي إلى إكمال المشهد الحضاري العام للوطن ، وأن يكون هذا الاختلاف محكوما بالقواعد والقوانين العامة التي ارتضاها الجميع .

ومن الصعب أن نرد الخلاف بين السنة والشيعة في بلد كالعراق مثلا ، أو الخلاف بين النفوذ الإيراني والنفوذ السعودي لأسباب دينية ، بل هي السياسة وألاعيبها ، هي الأطماع المستترة بعباءة الدين ، لأن الأصل أن الدين يجمع ولا يفرق ، كما قال الله تعالى في سورة الحجرات : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

ويضع القرآن الكريم خطة عملية لإدارة الأزمات التي يمكن أن تنشأ بين طوائف الأمة، تهدف لترميم الصدع الناجم عن الخلاف ، إطاره العام الحفاظ على وحدة الأمة ، والوصول بها إلى بر الأمان ، وتتكون هذه الخطة من عدة نقاط رئيسة :

١- أن يقوم عقلاء الأمة وحكماؤها ممن يحظون بقدر معقول من الثقة بإصلاح ذات البين ، من خلال التقريب بين وجهات النظر ، وتذكير الفرقاء بالمصالح العليا للأمة ، وللوطن ، وقد يكون هؤلاء الحكماء من القادة السياسيين أو من النخبة المثقفة ، القادرة على التأثير في الرأي العام ، وإقناع كافة الأطراف للاحتكام لصوت العقل .

٢- رد البغي الذي حدث من إحدى طوائف المجتمع من خلال الآليات المشروعة للتعامل مع تلك الحالات ، حيث السكوت عن أشكال البغي والإفساد ينال من جسد الأمة بأكمله ، والتراخي عن المفسدين يعطي رسائل خاطئة عن الاستقرار والعدل في أي مجتمع ، أما معاقبة المفسدين بالعدل ، وإخضاعهم لسلطة القانون فإنه يدعم هيبة الدولة .

٣- المعالجة الفكرية للأزمة ، حيث إن الفكر لا يواجه إلا بالفكر ، وحيث إن المكاشفة وإظهار الحقائق هي السبيل الوحيد لتجاوز الأزمة ، ولا ينبغي أن تترك عقول الشباب والجماهير نهبا لبعض الأفكار والآراء غير السليمة ، ليس من خلال إقصاء الآخر ، وإنما بالحوار المرتكز على أسس موضوعية ، وتلعب وسائل الإعلام باختلاف أنواعها دورا هاما في ذلك .

٤- ضرورة أن يكون (العدل) هو المظلة الكبرى التي ترفرف على جميع خطوات إدارة الأزمة ، إذ به تطمئن كافة الأطراف ، ويتحقق السلم الاجتماعي ، فلا مبالغة في ردة الفعل ، ولا تهاون في تطبيق القوانين .

كل هذه البنود وردت في الآية الكريمة من سورة الحجرات أيضا : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)

و لا يقتصر مفهوم الاقتتال على الأعمال المسلحة ، بل يشمل كافة أوجه الشقاق الذي يحدث أزمة في المجتمع ، ونتمنى لبلادنا السلامة من كل سوء .

خطورة النفاق الإعلامي

المنافقون هم أكثر فئات المجتمع خطرا عليه ، وإلحاقا للضرر به ، لأنهم يعيشون في المجتمع بحقيقة غير الحقيقة الظاهرة ، يدسون السم في العسل ، ويفتون في عضد الأمة، والمنافق إنسان ضعيف عاجز ، لأنه لو كان قويا قادرا لجهر بما يعتقد دونما خوف من أحد ، والنفاق نوعان : نفاق العقيدة ، وهو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر ، وهؤلاء أخس من الكفار ، وعذابهم أشد ، يقول تعالى في سورة النساء (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً) ، والنوع الثاني هو نفاق العمل ، وله علامات يعرف بها ، منها (إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر).

وقد ظهر النفاق الإعلامي في العصر الحديث مع انتشار وسائل الإعلام وزيادة نفوذها، وقوة تأثيرها على الجماهير ، ومنه ما هو موجه إلى القادة السياسيين ، أو غيرهم ، بهدف تحقيق المصالح الشخصية من جراء هذا النفاق .

وخطورة النفاق الإعلامي أنه يضلل الناس ويخدعهم ، ويقف حائلا بينهم وبين الحقائق المجردة ، التي من حق الناس أن يعرفوها ، إذ الحق في المعرفة من أهم حقوق الإنسان التي نصت عليها المواثيق الدولية ، كما يضر بالوسيلة الإعلامية ذاتها ، خاصة بعدما ينكشف النفاق ، وتفقد الجماهير الثقة في الوسيلة ، أو تهتز ثقتهم بها ، فمن الصعب أن تخدع كل الجماهير بعض الوقت ، ومن الصعب أن تخدع بعض الجماهير كل الوقت ، فسرعان ما يسقط ورق التوت ، وتظهر عورات المنافقين .

ومن النفاق ما هو مستتر لا يتوصل إلى حقيقته العوام ، ومنه ما هو مكشوف ممجوج مقيت ، وكلاهما ضار بالمجتمع بشكل عام ، وكما يحدث النفاق في وسائل الإعلام الرسمية أو التي تدعمها الحكومات ، يكون في الوسائل التي ترفع شعار المعارضة ، أو التي تدافع عن أيديولوجيات خاصة ، فالذين يدقون الطبول كثيرون ، وتجدهم في كل وسيلة ، يكتبون المقالات ، ويؤلفون المسلسلات ، ويقفون وراء الحملات الدعائية .

ولنزار قباني قصيدة في هذا السياق ، يقول مطلعها (الحاكم يضرب بالطبلة ...وجميع وزارات الإعلام تدق على ذات الطبلة ..وجميع وكالات الأنباء تضخم إيقاع الطبلة ...) إلا أن الواقع الإعلامي يشير إلى أن النفاق ليس رسميا فقط ، وأن هناك وسائل إعلام تعمل

لحساب جهات معينة ، وتمارس الكذب والخداع والتضليل أحيانا ، وكل من النفاق الرسمي وغير الرسمي مرفوض ، لأن المنافقين يأتونك بوجه ، ويذهبون بوجه آخر ، يأكلون على كل الموائد ، وقد قال نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (إن من شر الناس ذا الوجهين ، قالوا : ومن ذو الوجهين يا رسول الله ، قال : الذي يأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه) فعلى الإعلامي أن يكون ثابتا في مواقفه وآرائه ، متحليا بالأمانة في نقل الخبر وفي عرض الأفكار والآراء على الجماهير .

ومن السياسيين من يوظف وسائل الإعلام لخدمة مداهنته للجماهير ، فالمرشح الذي يكثر الوعود دون أن ينفذ منها شيئا منافق ، والنفاق السياسي يكون متوفرا بكثافة في الأوقات التي تسبق الانتخابات ، وكلما كان الرأي العام مستنيرا مثقفا واعيا كلما كان قادرا على كشف النفاق وأساليبه وحيله وزيفه ، ولهذا السبب يمكننا القول أن النفاق موجود بشكل أكبر في منطقتنا العربية ، لأنه وجد بيئة صالحة له ، فمواجهة النفاق الإعلامي تبدأ من توعية الجماهير ، ودعوتها لتحكيم العقل والمنطق في تفسير الرسائل الإعلامية .

الفصل العاشر

قلب العروبة



مصر ..قلب العروبة

تربط مملكة البحرين بمصر علاقات قوية ، تترجمها الزيارات المتكررة والمتتالية لكل من جلالة الملك حمد بن عيسى ملك البحرين لمصر ، والرئيس المصري محمد حسني مبارك لمملكة البحرين ، والتي كان آخرها يوم الخميس الماضي الخامس والعشرين من نوفمبر ٢٠١٠ ، والتي أكد فيها الرئيس المصري أن أمن الخليج واستقراره بشكل عام ، ومملكة البحرين بشكل خاص امتداد لأمن مصر ، وهي تصريحات قوية تترجم المصالح السياسية والاقتصادية المشتركة بين البلدين ، بل وتتجاوز ذلك إلى الإشارة إلى البعد الأمني الهام ، الذي يعد مظلة للتنمية والتطوير ، وضمانة لتحقيق خطط الإصلاح .

ولم يذهب قائدا البلدين بعيدا حينما أعلنا أن أمن الخليج ومصر مترابطان ، فمصر هي قلب العروبة النابض ، والدولة المحورية في المنطقة التي تحمل على عاتقها قضايا الأمة العربية ، مثل قضية العروبة الأولى (فلسطين) ، وقضايا الوحدة العربية ، وقضايا التنمية والتعليم ، وما يحدث فيها يؤثر بشكل مباشر على دول المنطقة ، كما أن منطقة الخليج العربي تمثل جسر العروبة إلى بلاد الشرق ، كما أن لها وضعية اقتصادية خاصة ، تجعل ما يحدث فيها لا يؤثر فقط على مصر والدول العربية ، بل يكون له تداعياته العالمية ، فما يحدث في دبي مثلا تتفاعل معه بورصات أوربا وأمريكا كما حدث في الأزمة المالية الأخيرة .

من مصلحة مصر إذن أن تتمتع منطقة الخليج العربي بالأمن ، وتنعم بالاستقرار ، وأن تبقى بعيدا عن التوترات ، وهي تدرك أن قوى إقليمية ودولية تراقب الأوضاع السياسية والاقتصادية في المنطقة ، وتتفاعل مع بعض القوى السياسية بها ، ولدول كثيرة مصالح في المنطقة ، فهناك المصالح الأمريكية التي تحدث بوجودها في المنطقة ما قد تراه توازنا للنفوذ الإيراني المتنامي بعد الاحتلال الأمريكي للعراق ، كما أن هناك المصالح الإيرانية التي لا يمكن إغفال الحديث عنها .

الزيارة الرسمية الأخيرة من رئيس مصر لمملكة البحرين تثير النقاش حول ما يمكن أن تلعبه مصر ـ الدولة العربية الكبرى ـ من أدوار بقنواتها الدبلوماسية ، وقوتها الناعمة في منطقة الخليج العربي ، من خلال التعاون الكامل والتنسيق المشترك مع دول المنطقة في تحقيق التوازن الإقليمي ، والحفاظ على مكتسبات التنمية البشرية والاقتصادية ، كما تعبر عن عمق العلاقة بين البلدين انطلاقا من تحقيق مصالحهما المشتركة .

أما على المستوى الشعبي ، فهناك علاقة مميزة بين الشعب البحريني والشعب المصري،

لا تقل قوة عن المسار الرسمي ، تجمعهما وشائج المحبة ، انطلاقا من انتمائهما لدوائر الانتماء العربية والإسلامية ، وإذا كانت العلاقات الرسمية بين الدول مهمة ، فإن العلاقات بين الشعوب لا تقل أهمية عنها ، فبالإضافة إلى أن الشعوب هي التي تنفذ وتفعل الاتفاقيات الرسمية للتعاون الثقافي والاقتصادي والإعلامي ، فإن لمصر مكانة خاصة في قلوب الشعب البحريني ، وكثير منهم يتعلق بنيلها الخالد ، وأهراماتها العتيقة ، ومدنها المكتظة بالمعالم، وشوارعها ذات الطابع المميز .

إن أي تقارب عربي عربي يصب في صالح مجموع الأمة العربية ، وفي صالح قضاياها، ويدعم أماني الملايين من العرب بتحقيق وحدة حقيقية كتلك التي حققتها أوربا بالرغم من اختلاف المكون اللغوي والثقافي والديني والإنثربيولوجي هناك ، ولابد أن تدرك الدول العربية مجتمعة أن مصالحها في التكتل والاتحاد ، لا في الفرقة والشقاق .

مصر والبحرين : شعبان ، وأمة واحدة

قام صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل مملكة البحرين بزيارة إلى جمهورية مصر العربية الأسبوع الماضي ، التقى خلالها بالمشير محمد حسين طنطاوي رئيس المجلس العسكري المصري الذي يقوم بإدارة شئون مصر خلال الفترة الانتقالية الحالية ، وقد حظيت الزيارة بترحيب رسمي وشعبي ، لأن المصريين يدركون أن البحرين ، هذه البلد العربية التي تقبع في شرق العروبة ، وتتجاذبها الأطماع من هنا وهناك ، تحتاج إلى الوقوف معها في وجه هذه الأطماع ، باعتبارها جزءا من النسيج العربي الواحد .

وبغض النظر عن الحملة التي شنتها المعارضة وتشنها على كل تحرك سياسي ودبلوماسي رسمي ، حيث روج البعض لشائعة أطلقتها جريدة (روزاليوسف) المصرية أن زيارة تمت بين عاهل المملكة ، والرئيس المصري السابق حسني مبارك ، وقد قام السفير البحريني في القاهرة بنفي هذه الزيارة ، فإن الاستقبال والحفاوة التي قوبل بها الوفد البحريني في القاهرة من أرفع المسئولين يشير بشكل واضح إلى إدراك المصريين بشكل دقيق لما يجري في أرض البحرين ، وإلى الدور المصري الحيوي والهام الذي تلعبه مصر عربيا ، حتى وهي في ظل هذه الفترة الحرجة التي تنشغل فيها بترتيب الأوراق من الداخل .

والسياسة المصرية ثابتة تجاه الخليج وأمنه القومي ، وهي ضد أي تدخلات أو تهديدات تصدر من أي طرف ، ولها مواقف قوية في هذا السياق ، حيث عبرت مصر أكثر من مرة على لسان رئيس المجلس العسكري ورئيس وزرائها ووزير خارجيتها أن أمن الخليج خط أحمر بالنسبة لمصر ، حيث أكد على هذا المعنى عصام شرف رئيس الوزراء المصري في أكثر من مناسبة ليعلن أنه لم يحدث أي تغيير في السياسة المصرية تجاه تلك القضية، والأكثر أهمية ودلالة أن الموقف الشعبي ينسجم تماما مع الموقف الرسمي في رفض كل محاولات التدخل الإيراني في الأجواء العربية ، وفي محاولات تصدير الثورة الإيرانية إلى المنطقة العربية .

وقد شهدت الزيارة مناقشة وإعادة طرح عدد من الأفكار التي تصب في إطار الوحدة العربية ، مثل انضمام مصر إلى دول مجلس التعاون الخليجي ، وترحيب وزير الخارجية البحريني بهذه الخطوة ، وهي الخطوة التي تعبر عن رغبة عربية في توحيد الجهود وتنسيقها لمواجهة الأطماع المختلفة ، وليس بالضرورة أن تصبح مصر أو الأردن أو المغرب ، أو غيرها من الدول (دولة خليجية) بالمفهوم الجغرافي ، وربما تأتي هذه الدعوات تطلعا إلى وجود

كيان سياسي عربي قوي قادر على اتخاذ المواقف والسياسات المدافعة عن مصالح العرب وهويتهم ، بعد الأداء الضعيف لجامعة الدول العربية في السنوات الماضية. حين تتعرض الشعوب لبعض التحديات تهرع إلى أمتها ، لتجد فيها ما يساند قضيتها ، ويشد أزرها ، وهذا ما ينطبق على الحالة البحرينية ، وعلى الحالة المصرية أيضا ، فمصر والبحرين والمملكة العربية السعودية والأردن ، وتونس ، وغيرها من الأقطار العربية ، شعوب متعددة، وأمة عربية واحدة لها ثوابتها التى لا يمكن التفريط فيها ، ولها مصالحها المشتركة التي تدافع عنها ، وبالطبع هناك الأمة الإسلامية الكبيرة التي تجمع علاقات التعاون وحسن الجوار والاحترام المتبادل بين دولها .

إن أهمية زيارة جلالة الملك لمصر تنبع من كونها تمثل قلب العروبة النابض ، ومركز ثقل إقليمي مؤثر ، وعضوا هاما في الأسرة العربية .

مصر.. ونزيف الدماء!

الأحداث المؤسفة التي شهدتها مصر مؤخرا تدعو للقلق على مستقبل دولة بحجم وثقل جمهورية مصر العربية ، وتشير إلى حالة من الانفلات الأمني ، وتخبط في الإدارة السياسية للفترة الانتقالية التي تسبق انتخابات رئاسة الجمهورية التي أُعلن أنها ستكون في أبريل القادم ، فما تكاد مصر تعبر من أزمة سياسية أو أمنية إلا وتدخل في أخرى ، لعل آخرها هذه الكارثة الإنسانية التي شهدتها ملاعب كرة القدم ، التي راح ضحيتها ٧٤ مصريا من شباب (الألتراس) الذين يشجعون فريق النادي الأهلي ، والذين كان لهم دور بارز في أحداث الثورة المصرية ، بعد مباراة بين فريقي الأهلي والمصري في مدينة بور سعيد .

وبعيدا عن تفاصيل الواقعة التي لا تعرف جميعها حتى الآن ، فإن الأداء السياسي تجاه هذه الأزمة لم يحالفه النجاح ، ففي حين أعلن جوزيف بلاتر رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا) أن هذا اليوم الذي حدثت فيه الكارثة هو يوم أسود في تاريخ كرة القدم ، وقال في بيان نشره على موقع الفيفا على شبكة الإنترنت : «لا يمكن تخيل مثل هذا الموقف الكارثي ولا يجب أن يحدث مرة أخرى »، قال المشير محمد حسين طنطاوي رئيس المجلس العسكري الحاكم في مصر وهو يستقبل فريق النادي الأهلي العائد بطائرة خاصة من بور سعيد إلى القاهرة : « إن هذا الحادث حادث عادي يمكن أن يحدث في أي مكان في العالم» ، ووعد بصرف تعويضات لأسر الضحايا !، وهو ما انتقده الرأي العام المصري الذي رأى في تعامل المجلس العسكري مع الأزمة اتباعا لنفس الأسلوب الذي كان النظام السابق يتعامل به ، حيث رد الفعل المتأخر ، ودون مستوى الحدث .

وفي حين رفض المجلس العسكري إقالة الحكومة التي يرأسها الدكتور كمال الجنزوري، والذي كان رئيس حكومة أثناء النظام السابق ، ويعترض عليه هيئات وأحزاب سياسية ، لأنه فُرض من المجلس العسكري دون تنسيق مع القوى المتعددة التي ترغب أن يكون لها دور في عهد ما بعد مبارك ، فإنه رفض أيضا إقالة وزير الداخلية ، والذي تقع المسئولية على وزارته بالأساس ، حيث أخفقت في توفير الأمن لمباراة كرة قدم ، بالرغم من تقارير أشارت إلى احتقان وتوتر قبل المباراة ، واكتفى المجلس بإقالة سمير زاهر رئيس الاتحاد المصري لكرة القدم ، وإقالة محافظ بور سعيد ومدير الأمن بالمحافظة ، في حين نشرت الصحف ووكالات الأنباء في نفس اليوم نبأ استقالة وزير البيئة البريطاني كريس هيون بتهمة التهرب

من مسئولية ارتكاب مخالفة مرورية ، ووُجّهت له تهمة التأثير في سير العدالة ، وهو ما كان محل سخرية لدى الشباب المصري في مواقع التواصل الاجتماعي حين يقارن بين الموقفين .

ويرى كثير من المراقبين والنشطاء أن الحل الأمثل للخروج بمصر من حالة الأزمات المتلاحقة ونزيف الدماء المؤلم ، أن يتم التسريع بالجدول الزمني المنظم لانتخابات رئاسة الجمهورية ، وانتقال السلطة من العسكريين إلى سلطة مدنية منتخبة ، والإسراع في تحقيق العدالة الناجزة بتطبيق القانون في القضايا المرفوعة أمام القضاء ضد رموز النظام السابق ، حتى تسترد مصر عافيتها اقتصاديا وسياسيا ، وتقوم بممارسة دورها الهام والمؤثر على الساحة العربية بعد أن تقوم بترتيب أوراقها من الداخل ، حيث أن خسارة الموقف المصري عربيا يعني خسارة الكثير .

إيران تعبث في مصر!

ماذا تفعل إيران في مصر ؟ سؤال يطل برأسه في الفترة الراهنة ، وسأشير إلى مشهدين :

الأول : الكل يعلم أن العلاقة بين المصريين والشعب السعودي علاقة يملؤها الود والاحترام المتبادل ، فكم من أزمة مرت على البلدين من الأزمات التي تحدث بين الأشقاء، والخلافات التي تحدث بين الإخوة ، ولم يخرج الشعب المصري في أي واقعة سببت خلافا بين البلدين ليتظاهروا أمام السفارة السعودية ويقوم بعضهم بتصرفات لا نقبلها على أي مسلم ، فضلا عن قادة المملكة العربية السعودية ، فلماذا حدث هذا الآن ؟ ، إن موقف الشعب المصري الحقيقي ظهر في مناقشات شبابها وتدويناتهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي رافضين هذه الممارسات الفردية ، بنفس الوقت الذي رفضوا فيه مظاهرات حدثت بالقطيف بشرق المملكة العربية السعودية دفاعا عن الشاب المصري أحمد الجيزاوي .

الثاني : كانت مصر ولا زالت رمزا للفهم الوسطي للإسلام ، الكل ينتمي لهذا الدين العظيم تحت مظلة واحدة ، وراية واحدة ، دون تقسيم بين أبنائه ، ودون معرفة لمعنى المذاهب العقائدية التي تفرق الصف ، يتعاملون مع كافة المذاهب الفقهية باحترام وتقدير، تنوع في المدارس الفقهية لا يدعو إلى الفرقة ، ولكن حين يؤذن المؤذن للصلاة ، يهرع كل الناس إلى مسجد واحد ، ليقفوا في صف واحد ، ليعبدوا الإله الواحد ، هكذا دون انقسام وفرقة ، بل حتى لا يعرف كثير من المصريين ما معنى سني وشيعي ، فإذا بالأخبار تطير لنا خبر افتتاح الشيخ علي الكوراني القادم من قم لإحدى الحسينيات في مصر بشكل سري ، وهو ما أثار حفيظة المصريين ، ودفع بالأزهر الشريف ومجمع البحوث الإسلامية ووزارة الأوقاف ونقابة الأشراف لإصدار بيانات إداة لهذه الزيارة السرية .

ذكر علماء الأزهر الرشيف أن هذا السلوك وهذا التدخل مرفوض ، وصدر عن مكتب فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر بيانا ذكر فيه أنه قد سبق لمجمع البحوث الإسلامية أن أصدر بيانا أكد فيه أنه لا يجوز لأهل السنة أن ينشروا مذهبهم بين أهل الشيعة ، ولا يجوز لأهل الشيعة أن ينشروا مذهبهم بين أهل السنة تجنبا للفتنة والتناحر، مصداقا لقول الله تعالى :(ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم) وقوله (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ، فلا يجوز أن يكون نشر المذاهب مدعاة

للاختلاف ونشر العصبية بين أبناء الأمة الواحدة ، وقال البيان ، إنه لا يليق بمصر الأزهر أن يحدث في رحابها مثل هذا السلوك ، مناشدا أولي الأمر أن يأخذوا على أيدي من تسول له نفسه العبث بالأمور الدينية ، والسؤال : لماذا يحدث هذا في مصر الآن ، ولماذا تترك إيران أربعة أخماس العالم من غير المسلمين الذين ينبغي أن توجه إليهم الجهود لدعوتهم إلى الإسلام وتحاول تغيير مذاهب المصريين ؟

إننا نحترم كل إخواننا الشيعة ، لا شك في ذلك ، ولكننا ننظر بريبة إلى استغلال الدين للترويج لمشاريع سياسية ، المصريون ليسوا بحاجة إلى حسينيات ليحبوا سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسين والحسن ، كما يحبون كل أصحاب رسول الله الأخيار وزوجاته الأطهار ، فلماذا ينشغل البعض منا بالعمل على تفتيت هذه الأمة وإضعافها من الداخل ؟ إنها تساؤلات للأسف ليس لها أية إجابات مقنعة .

الفصل الحادي عشر

من أصداء الحياة



من أصداء الحياة

- أدعو كل من يثير النزعات الطائفية في سلوكياته .. أو في مقالاته ..أو حتى في التعليقات على الموضوعات المنشورة في بعض الصحف .. من الذين يقتاتون على إثارة الخلافات .. للتمعن في مثل صيني جميل : :» شمس واحدة تجفف كل ملابسنا .. فلماذا نتخاصم؟!» .
- نشرت الصحف البحرينية أن مستشارا في إحدى الوزارات الهامة كان يعمل حلاقا !!! واعتبر هذا الخبر بشارة سارة لكل من يعملون في مهنة الحلاقة الرجالية والنسائية على حد سواء (مع احترامنا الكامل لكل المهن) .
- في وقت وجيز توقفت ثلاث صحف خليجية ورقية ، وهي صحيفة (الوقت) البحرينية ، وصحيفة (أوان) وصحيفة (الصوت) الكويتيتين ، وهي أخبار سيئة للصحافة الورقية ، وتثير تساؤلات عديدة حول قدرة الصحافة الورقية على الصمود أمام الصحافة الإلكترونية ومواقع الإعلام الجديد في الإنترنت .
- تركت هيئة الإذاعة البريطانية كل معاناة الفلسطينيين ، ومشاكلهم المستعصية مع الاستيطان والحصار وكافة أشكال الإذلال الصهيوني للشعب الفلسطيني بأكمله ، وبثت تقريرا مطولا عن شاب فلسطيني يذهب إلى إسرائيل ليمارس الشذوذ الجنسي ، تذكرت وقتها أول درس في صحافة الإثارة .. مقولة نورثكليف البريطاني (إذا عض الكلب رجلا ليس بخبر ، أما إذا عض الرجل كلبا فهو الخبر) .
- سألني أحد الأساتذة الجزائريين- الذين أعتز بهم كثيرا - في مؤتمر علمي بالإمارات العربية المتحدة مؤخرا : هل ستشجع الجزائر في كأس العالم ؟ قلت له بالطبع نعم ، ولكني أتمنى أن أشجع العرب قبل ذلك وهم يتبارون مع العالم للحصول على كأس إثبات الذات وتقرير المصير .
- لا يعكر صفو النجاح إلا من يتربصون لك بالفشل .
- أول ما يفسد بهجة النجاح والتميز .. الغرور ، والاعتقاد بأنك أفضل من كل الآخرين .
- أن تكون ناجحا يحسدك الآخرون خير لك من أن تكون في مواقعهم تحسد الناجحين .
- التقيت به بعد فترة من الغياب .. سألته عن أخباره .. سُررتُ لمعرفتي أنه حصد كثيرا من مظاهر النجاح في حياته الوظيفية ، وأنه جلس على كرسي له بريقه ومكانته .. أطرق رأسه بعد لحظات من الصمت قائلا : لكنني بالرغم من كلٍ ذلك غير راض عن نفسي ... دون أن أسأله قرأت ما بعينيه ، وكتبت في ورقة صغيرة أمامي مقولة لنبي الله عيسى

– عليه السلام – (ماذا لو كسب الإنسان العالم ...وخسر نفسه !)

● للذين لا يقدرون نعمة الجسد : كان على الحسن البصري وهو في الستين من عمره أن يعبر ممرا مائيا بقفزة من قدميه ، وكان معه مجموعة من الشباب ، تردد كل منهم خشية أن يسقط في المياه ، وإذا بالشيخ الكبير يقفز قفزة تنقله للشاطئ الآخر ، فتعجب الشباب كثيرا ، فأجابهم : تلك جوارحُ حفظناها في شبابنا ، فحفظها الله لنا في كِبَرنا .

بعضهم يصيبونك بالإحباط ..
وآخرون يمدونك بالأمل

يحتار المرء في تفسير بعض السلوكيات الإنسانية ، وتعجب أشد العجب إذا تصرف معك البعض تصرفات قد تبدو أنها نقيض ما تتوقع ، ما معنى أن تحسن إلى إنسان ، وتقدم له كل سبل التيسير ، وكل ما تستطيع من عون ومساعدة ، ثم بعد ذلك بدلا من أن يقدر صنيعك الجميل ، تجده جاحدا منكرا ، وللجميل متنكرا ، ولكلمة ثناء متباعدا ، قد لا تنتظر منه عبارة شكر أو ثناء ، لكنه إحساس قاس أن ترى هؤلاء ، وأن ترى أعدادهم في تنام مطرد .

وقد ترى آخرين لا يريدونك أن تنجح ، ولا تستهويهم فكرة أنك تتقدم إلى الأمام ، لا على حساب أحد ، وإنما باجتهادك ومثابرتك ..وتحتار في أمرهم : أأعدائي هم أم فقط أعداء نجاحي ، ونتيجة الحيرة كارثية في الحالتين ، هؤلاء تمتلء بهم الحياة ، وتمتلء الحياة أيضا بالأخيار المخلصين ، لكن وجود الصنف الأول من الناس قد يعكر صفو الحياة حينا ، لكنه أبدا لا يحدث تشاؤما يدعو للتخاذل ، أو ضيقا يحدث الإحباط .

نوعية أخرى من الناس قد تلتقيهم في الحياة يريدون أن يسطوا على أعمال الآخرين، ويقومون بنسبتها لأنفسهم ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، ومشكلتهم إن كانوا في مواقع القيادة ، فإنهم يقومون بنسبة كل ما يفعله مرؤوسوهم لأنفسهم دون أدنى مواربة ، وهؤلاء نماذج سيئة للقيادة ، ولا ينبغي أن يسكت المرؤسون عن أفعالهم ، وأن يواجهوهم بأخطائهم ، فإنه من الشجاعة النادرة مواجهة المدير بأخطائه لصالح العمل ولصالح المؤسسة بشكل عام .

ومن عجائب صنائع الإنسان أنه إن كانت له حاجة لديك تزلف منك ، وألقى عليك الورود والتحايا ، وقام بإيهامك أنه على مصلحتك حريص ، وأنه طوع أمرك ، بل إنه أحد جنودك المخلصين ، فإذا انقضت حاجته ، كفر بمشاعره تجاهك ، وارتد عن إيمانه بمواهبك ، ورأيت مساء وجها غير الذي صبحك به ، وبعضهم يفعل ذلك مع الله ذاته سبحانه وتعالى ، على حد وصف الشاعر :

صلى وصام لأمر كان يطلبه ...لما انقضى الأمر لا صلى ولا صاما !!

ومن الأمور القاسية أن تتوافر هذه المشاعر الجاحدة مع من يشاطرونا حياتهم ، ونشاطرهم حياتنا من الأصدقاء الحميمين ، والأهل والمقربين ، إذ نضعهم في زاوية عزيزة

في قلوبنا ، ونرسخ أقدامهم في بيوت أحلامنا .

بينما يعطي الحياة مذاقها من يبادولننا المشاعر الإنسانية الدافئة ، يحنون علينا ، يربتون على أكتافنا بقلوبهم التي تمدنا بطاقة الأمل ، وبعيونهم التي توصلنا بأنهار الحياة العذبة ، إنك لن تحرم أبدا من وجودهم طالما أنك تبذل الحب لهم ، وطالما أنك تقايضهم بالحنو حنوا ، وبسخاء المشاعر سخاء مماثلا أو يزيد .

بهم تتبدد الضبابات التي ربما تلوح في أفق الحياة ، وبهم يسري شريان الأمل في عروقنا المتصلة بقلب الحياة .

فلا يثنينك وجود أنماط البشر الأولى عن الإيمان بتأثير الفئة المحبة ، ولا يغضبنك أن أولئك الأوائل يتوالدون أكثر مما يتوالد ذوو الفطرة الإنسانية السوية ، فربما تجد لإبليس أعوانا وجنودا أكثر من جنود خصومه ، فلا تغرنك كثرتهم ، ولا يدفعنك ذلك لذرات الإحباط التي قد تتسلل في نواة عزيمتك ..بل واصل طريقك بإقدام وثبات .. حتى تصل بسفينة آمالك إلى مرفأ الإنجاز والتميز

مسئولية الشباب .. وبناء الأوطان

أكتب هذا المقال من جاكرتا ، حيث أشارك في المؤتمر الدولي الحادي عشرللندوة العالمية للشباب الإسلامي الذي عقد تحت رعاية الرئيس الأندونيسي في الفترة من ٢-٤ أكتوبر للعام ٢٠١٠ م تحت عنوان (الشباب .. والمسئولية الاجتماعية) وشارك فيه أكثر من ٧٠٠ أستاذ وعالم من ثمانين دولة ، على رأسهم وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ، ووزير أوقاف وإعلام أندونسيا وعدد من السفراء والمهتمين بالمنظمات الشبابية حول العالم ، وقد اختارت الندوة أن تقيم هذا المؤتمر في أندونسيا لأنها أكبر دولة إسلامية في العالم من حيث عدد السكان ، حيث يبلغ تعداد سكانها مائتين وأربعين مليون نسمة ، أكثر من تسعون بالمائة منهم مسلمون .

والحقيقة أن موضوع الشباب والمسئولية موضوع في غاية الأهمية ، إذ المسئولية هي الدافع والمحرك لهؤلاء الشباب أن يقوموا بواجبهم نحو مجتمعاتهم ، واجب الشباب أن يرتقي بوطنه ، وعليهم مسئوليات كبيرة ، فهم السواعد الفتية التي تبني للحاضر والمستقبل ، وهم الأقدر على التغيير نحو الأفضل ، وكل الذين حققوا في مجتمعاتهم طفرات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية ، وسجل التاريخ مواقفهم كانوا شبابا ، إما شباب الجسد والعضلات والقوة وإما شباب العقل الراجح والرأي المستنير ، ابتداء بأهل الكهف الذين رفضوا عبادة الأوثان لأنها تغيب العقل ، وتربط مصير الإنسان بحجر لا يضر ولا ينفع ، حيث قال الله عنهم (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) وانتهاء بكل من قدم لوطنه الأعمال الجليلة ، وخلد التاريخ أسماءهم في صفحات من نور .

ويحتاج عالمنا الإسلامي الآن إلى جهد الشباب وعزيمتهم في تفعيل برامج المسئولية الاجتماعية التي تتجاوز العمل التطوعي إلى المشاركة في برامج ذات تأثير اجتماعي وتنموي مستدام وتحقق الربح في نفس الوقت ،ويغذي هذا الاحتياج عاملان :

أولها : أن للمسئولية الاجتماعية – بالرغم من حداثة المصطلح - جذور وإشارات قوية في الدين الإسلامي من خلال عدد من التعاليم التي نادت بها الشريعة الغراء ، فضلا عن أن هذا العمل جزء من مسئولية الإنسان المسلم من خلافة الله في الأرض وعمارة الكون .

وثانيها : أن كثيرا من بلدان العالم الإسلامي ـ إن لم تكن كلها ـ تنقصها مثل هذه الأنشطة التي تحقق الحياة الأفضل للإنسان ، إن المجتمعات الإسلامية أحوج إلى تلك البرامج من المجتمعات الغربية ، التي نستورد منها ـ للأسف ـ الكثير من الأفكار التي تجد

لها أصلا قويا في ثقافتنا الإسلامية ، وفقط تحتاج إلى من يميط عنها اللثام ، وينفض عنها الغبار .

وبوسع وسائل الإعلام أن تؤدي دورا بارزا في هذا السياق ، فيمكنها أن تشكل رأيا عاما مهتما بقضية المسئولية ، وضرورة انتشارها كثقافة عامة بين المجتمعات ، وإبراز التأصيل الإسلامي لها ، وإجراء مزيد من النقاشات والحوارات حول قضاياها، ويكون هدف هذه المرحلة هو إثارة الاهتمام والتعريف بالمسئولية الاجتماعية بين القاعدة العريضة من الجماهير .

كما يمكنها أن تقدم النماذج الناجحة ممن يقومون على برامج المسئولية الاجتماعية في وسائل الإعلام المختلفة ، ليمثلوا قدوة لدى الآخرين ، سواء كانوا أفرادا ، أم مؤسسات تنتمي إلى قطاع الأعمال ، أو مؤسسات وهيئات تخصصت في تقديم برامج المسئولية الاجتماعية في المجتمع ، وتقدم كذلك النماذج الناجحة من أقطار أخرى برزت في تفعيل المسئولية الاجتماعية وبرامجها ، لتستفيد الدول من بعض التجارب الناجحة في هذا المجال ، كما أنه ليس من المانع أن تسلط وسائل الإعلام أضواءها على بعض النماذج الناجحة من المجتمعات غير الإسلامية ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها ، وتلك كانت بعض الأفكار التي احتوت عليها ورقتي التي قدمتها في المؤتمر وكانت عن دور الإعلام في التوعية بمشاركة الشباب في المسئولية الاجتماعية في العالم الإسلامي .

إنهم يصومون عن الطعام والشراب ويفطرون على السب والشتم

لا يتورع البعض عن انتهاك حرمة الشهر الكريم الذي تغمرنا أجواؤه الروحانية ، حين نتابع في وسائل التواصل الاجتماعي حملات منظمة من السب والقذف تطال بعض الشخصيات الهامة في المجتمع ، أو تطال رمزا من رموز العمل السياسي داخليا أو إقليميا ، أو حتى تطال شخصيات مغمورة ، المهم أنك في عالم البلاكبيري والفيسبوك وتويتر وغيرها تجد كل شيء ، ولا اعتبار لشهر رمضان الذي يعلم المسلمين الابتعاد عن اللغو في القول ، وتجنب الخبيث من الكلام .

وليس معنى هذا الحديث أن نتعامل مع شخوص المجتمع بشيء من القداسة ، ولكن معناه أن نحقق بعض أثر الصوم في حياتنا ، فنبينا الكريم صلى الله عليه وسلم يرشدنا إلى أن لا نتمادى في وصلات سباب ، حتى لا يتحول صومنا إلى عبادة شكلية ليس لها أدنى أثر ، فالمسلم حتى لو تعرض للسب أو الشتم لا يزيد على القول (إني صائم ، إني صائم) كما جاء في الحديث الشريف .

وإنك لتعجب أشد العجب من أناس يتذرعون بالتدين ، ويقفون خلف حملات منظمة للتشهير ببعض الشخصيات ، وذلك بغرض التأثير على الرأي العام ، وإشاعة بعض الطروحات التي تروج لوجهة نظر ما ، وذلك لتحقيق بعض المكاسب الفئوية الضيقة ، إن أولئك الذين يحرمون أنفسهم من الطعام والشراب ، و يحرمون أنفسهم في الوقت ذاته من الحصول على ثمرة الصوم ، وإحدى أهم غاياته وفوائده .

ونحن هنا لا نتحدث عن آثار قانونية لحملات السب والشتم في تطبيقات التواصل الاجتماعي ، حيث أن هذا المجال يحتاج لمزيد من الجهود التشريعية والقانونية ، وحيث نحتاج في عالمنا العربي إلى وضع إطار قانونبي وتشريعي ملزم لكل من يستخدم هذه الوسائل ، فذلك موضوع آخر ، أما ما نود التركيز عليه هو أنه بوسعنا أن نتجه صوب المجتمع المثالي خطوة على الأقل حينما نحفظ لهذا الشهر الكريم حرمته .

في التويتر على سبيل المثال وجدت تعريضا بسيرة إحدى الشخصيات العامة الذاتية ، وتشكيكا في أمانته ومصداقيته دون أدنى دليل ، وفي القوائم البريدية لم تتوقف الرسائل الجماعية التي ترسل إلى مئات بل آلاف الأشخاص وتنال من الأسرة السعودية والخليفية، وغيرها من الأشكال التي لا تعبر إلا عن شخصيات مأزومة لا تستطيع التعبير عن وجهة

نظرها إلا بهذه الطريقة من السباب الذي يأنفه كل شخص متزن .

وطالعت ما كتبته إحدى الصديقات على الفيس بوك وهي تكيل الاتهام لإحدى شخصيات المعارضة التي اعتادت على الانتقاد البذيء ، لأنه أضر ليس فقط بنفسه ، وبأسلوب عرضه لآرائه ، بل امتد ضرره لكل المعارضة التي يزعم أنه يمثلها ، وصدقت ..لأنه إذا كان مجرد رفع الصوت في حوار يعبر عن ضعف في الموقع ، فما بالك بمن يرفع صوته بالسباب ، وما بالك بمن يفعل ذلك وهو صائم عن الطعام والشراب .

تكلم ، وانتقد ، وأبد رأيك ، ولكن بلغة يقبلها المجتمع وفق آلياته المشروعة ، ووفق ما تسمح به تقاليده وأعرافه وقيمه ، ووفق ما يتناسب مع شهر جعله الله شهر تزكية للنفس ورقي للروح .

عيد .. بأية حال عدت يا عيد

أبو الطيب المتنبي بدأ قصيدة له بهذا البيت « عيد بأية حال عدت يا عيد ، بما مضى أم بأمر فيه تجديد » نظر لحاله في العيد فوجد من يهواها بعيدة عنه ، ووصف الزمن الذي يعيش فيه معددا بعض مثالبه التي قد تنغص عليه الإحساس بفرحة العيد وبهجته ، في رؤية شعرية متألقة لشاعر العربية الأول في العصر العباسي ، والمتمكن من مفردات العربية ، والقادر على نسج المعاني البديعة من المفردات التي يستخدمها كافة الناس .

وحين هممت في كتابة هذا المقال في أجواء عيد الفطر المبارك نظرت في واقع دولنا العربية والإسلامية ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فوجدت على لساني مقولة المتنبي « بأية حال عدت يا عيد » على المسلمين هذا العام ؟ لأنني تذكرت أن هناك من لا يستطيع أن يسكن قلبه فرحة العيد ، حيث لم تترك له الأحداث مجالا للاحتفال ، ولم يترك له الواقع فرصة التأهب للعيد كما الآخرون .

إذا كان العيد مرتبطا بالتسامح والصفح وتصفية القلوب ، فإن نظاما كنظام الأسد لن يكون بمقدوره تلبية هذه الأجواء للشعب السوري الشقيق ، وكيف يحتفل من يحيط به الشبيحة من كل جانب ، كيف يمكن لمشاعر الاحتفال أن ترى واللون الأحمر يكسو طرقات وميادين المدن والقرى السورية ؟ أم كيف يكون العيد حاضرا في نفس الوقت الذي تحرص فيه بعض الدول والكيانات للحفاظ على دولة الممانعة الغراء ؟

كيف للشعب الصومالي الذي هو جزء من الأمة العربية أن يلهو بأجواء العيد وقد عصفت المجاعة بكامل القطر ، حولت الكثير من الأطفال إلى جثث هامدة ، وآخرون إلى كائنات هلامية هزيلة ،بحيث يمكنك أن تحصي عدد أضلاع القفص الصدري بمنتهى السهولة واليسر ؟

كيف لليبيين أن ينسوا ما يزيد على عشرين ألف قتيل في ستة شهور هي مدة مطاردة ملك ملوك أفريقيا الذي هزم لشعبه بعدما نعتهم بالجرذان ، وتوعدهم بتعقبهم في كل بيت وحارة و(زنجة) في خطابه الذي أضحى أحدث مسرحية هزلية لا تمت للسياسة بصلة ، كيف لليبيين أن يحتفلوا بأجواء العيد وبلادهم مدمرة ، تحتاج إلى من يعيد بناءها من جديد ، بل ،إحياءها بعدما أماتتها ستة شهور من القصف والقمع ، أم كيف لها أن تحتفي وهي تبحث عن آلاف السجناء الذين لم يعثر لهم على أثر ؟

كيف للمصريين أن يحتفوا بأجواء العيد وطبول الحرب تدق على الناحية الشرقية،

حيث يقبع المحتل الإسرائيلي متربصا ومكشرا عن أنيابه لالتهام ما يمكن قضمه من الأراضي العربية ، ومن الجسد العربي ، أم كيف يهنأ لهم بال وحالة من الضبابية الشديدة تكتنف الموقف السياسي بعد أن خفت بريق الثورة ، وساءت الأحوال الأمنية والاقتصادية دون أن يكون هناك خريطة واضحة المعالم لمستقبل زاهر مشرق يحلمون به .

لكنني توقفت سريعا عن قراءة قصيدة المتنبي ، وتوقفت عن استقبال الأفكار التي تواترت إلى من جراء تلك القصيدة حتى لا أفرط في التشاؤم في يوم للفرح فيه عنوان ، وقرأت حواسي من قلب كل أزمة أشرت إليها أم لم أشر بوادر أمل وتفاؤل ، حيث المنح تنبت من المحن ، ثم برأت المتنبي من نبرة التشاؤم كونه فقط يتساءل عن أية حال أتى بها العيد هذا العام ؟!

ظاهرة التكفير : الأسباب ، الآثار ، العلاج

برعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية ، وتنظيم جائزة الأمير نايف العالمية للدراسات الإسلامية المعاصرة بالتعاون مع جامعة الإمام محمد بن سعود ، أقيم المؤتمر العالمي عن التكفير الأسباب ، الآثار ، العلاج في المدينة المنورة في الفترة من ٢٠-٢٢ سبتمبر ، وذلك لمناقشة ظاهرة التكفير في المجتمعات الإسلامية ، والتعرف على أسبابها ، وآثارها على المجتمع ، والبحث عن حلول علمية لمعالجتها .

وقد وجه خادم الحرمين الشريفين كلمة إلى المؤتمر في حفل الافتتاح ألقاها نيابة عن جلالته الأمير نايف بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية السعودي، وذلك في قصره الخاص بالمدينة المنورة ، أكد فيها على أن نهج المملكة العربية السعودية هو نهج الدين الإسلامي الحنيف الذي يقوم على الوسطية والاعتدال ، كما أشار إلى عدة نقاط مهمة منها أن المملكة لن تصادر أي فكر وتكفل لكل فرد حرية التعبير طالما أن فكره فكر معتدل ، وأن جميع القضايا مطروحة للنقاش بين أبناء المجتمع في إطار وحدة وطنية تؤمن بالثوابت وقيم الاعتدال .

وقد شارك في المؤتمر مائة وواحد وعشرون باحثا من أكثر من عشرين دولة على مستوى العالم ، من بينهم الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس إمام الحرم المكي والدكتور وهبة الزحيلي من سوريا والدكتور سامي الشريف رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون المصري، وثلة من الباحثين من قارات العالم الخمس .

وقد شاركت في أعمال هذا المؤتمر بدراسة علمية محكمة عن (دور وسائل الإعلام في الترويج للأفكار التكفيرية) تناولت فيها أولا مفهوم التكفير ، وكيف أنه أمر خطير ليس من حق أي أحد فعله ، فليس من حق الأفراد أن يقوموا بتكفير الآخرين ، وإنما السلطة القضائية ، وأن الأصل في المسلمين الإسلام مالم تقم بينة أوضح من شمس النهار على كفرهم ، وهنا يأتي التحذير النبوي من هذا الأمر حين يقول النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - (إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما) .

وأما عن الإعلام ودوره في هذه الظاهرة ، فإن الإعلام سلاح ذو حدين ، حيث يستخدم الإعلام من قبل المغالين والمتشددين في الترويج عن أفكارهم التكفيرية الإقصائية ، فما أسهل الحصول الآن على تردد فضائي لإنشاء قناة فضائية ، وكم من القنوات تحمل رسالة

هدامة من خلال نشر الفكر المتشدد ، والتعبير عن جماعات لا تعترف بالتنوع الإنساني وترى أنها وحدها التي تعتنق الآراء الصائبة دون سواها ، وما أسهل الحصول على (دومين) لإنشاء موقع إلكتروني على شبكة الإنترنت لكتابة ونشر ما يشاء هؤلاء التكفيريون من أفكار سلبية تكرس للتشدد والغلو في الدين بالرغم من أن ديننا الحنيف يتسم بالسماحة واليسر، ورسولنا – صلى الله عليه وسلم – يقول (إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيئ من الدلجة) ، هكذا ديننا: السداد ، من غير إفراط ولا تفريط .

كما ينتشر الإقصائيون في المنتديات والمدونات ومواقع التواصل الاجتماعي التي تخلو تقريبا من الرقابة لنشر أفكارهم الهدامة في المجتمع ، وتلك خطورة الإعلام الإلكتروني الذي لم يعد ممكنا التحكم في محتواه .

ولماذا لا نتواصل .. ونختلف ؟؟

لي صديق أحرص على متابعة آرائه وأفكاره ، يحترف مهنة الكتابة المقالية ، بالإضافة إلى كتابة القصص القصيرة ، لكنني أختلف معه في طريقة تفكيره ، فله مثلبة خطيرة أن رأيه مقدس لديه ، وهذا حقه ، أما أن يزعم أن آراء مخالفيه ليس لها قيمة ولا وزن ، فهذا ما أختلف معه فيه ، لأن رشاقة الكلمات ليس بوسعها فقط أن تلغي الآراء المخالفة ، ولأن القدرة على صياغة المعاني الجميلة ، وربما توليدها ، لا ينفي أن لدى الآخر فكرا أيضا، وربما تكون لديه نفس البراعة في الاستدلال على صحة المنطق وسوق الحجة التي تؤيد وجهة نظره .

رأيته مؤخرا يقسم الناس التقسيم الذي سئمه العالم ، منذ صكه الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش (من ليس معنا فهو ضدنا) ، بل وهاجم مخالفيه في الرأي — دون أن يسميهم ، وهو من دلائل نبله — بدلا من مناقشة الأفكار والرؤى ، ويتهكم عليهم ، ظنا منه أن شاعرية اللغة يمكنها أن تزين الباطل فتجعله حقا ، أو تقبح الحق ، وتقلبه باطلا ، وهي آفة آمل أن تكون أبعد ما تكون عن أصحاب الرأي وكتاب المقالات ، لأنها تسيء من حيث لا يدري الكاتب إلى صاحب المقال نفسه ، وتظهره بصورة المستبد فكريا ، الرافض لكل ما لدى مخالفيه من طرح للأمور .

وأحسب أن هذا الأمر قد حدث للكثيرين ، وربما بصورة أخرى ، حينما ضاقت بهم مساحات المختلفين معهم في الرأي والرؤى ، فقاموا بحذف حساباتهم التي يشتركون معهم فيها عبر مواقع ومجموعات التواصل الاجتماعي ، حينها صارت تلك المواقع أدوات للتنافر الاجتماعي ، وشكلا من أشكال العزلة التي يفرضها الإنسان على نفسه ، وتخيلت - وأنا أتابع بعض هذه العمليات من الإقصاء والحذف — أن : ماذا لو أغلق كل واحد فينا على نفسه أبواب التواصل ، ولم يسمع إلا ذاته ، ساعتها ستكون الأرض عبارة عن ملايين البشر يتكلمون ، ولا يسمع أحد ، حتى يصل الحال بنا إلى أن يحدث الإنسان ذاته لا غير ، وتلك مرحلة متقدمة من مراحل الجنون البشري .

أما صديقي الكاتب — الذي أعتز به وبكتاباته — قررت أن ألفت انتباهه إلى أن جمال اللغة التي يسطر بها كلماته ، لابد أن يوازيها جمال الفكرة ، وجمال المعنى ، وقبل ذلك وبعده ، لابد أن يؤمن بقدر مقبول من (الديمقراطية الفكرية) إن صح التعبير ، فلم يفز كبار شعرائنا بحب الجماهير سوى بعذوبة معانيهم التي تناولوها في قصائدهم، بالرغم

من أن الجميع يستخدم مادة خام واحدة ، هي الثمانية وعشرون حرفا تمثل أبجدية العربية ، ولأني أؤمن بأن لكل فينا هفواته وسقطاته كما له نجاحاته ، وجدت استجابة صفقت لها كثيرا ، وأثنيت عليها ، ووجدت اقتناعا أكبر بمثالية المنطق في أن نتفق ونختلف، ونتواصل ونتلاقى رغم الاختلاف ، وقرأت اعتذارا غير مكتوب على اللغة التي سطر بها بعض مقالاته الأخيرة ، والتي فهمت منها أن بعضها قد جنح عن طريق المفكر ، الذي لا تقوده العواطف السياسية ، ولا يستثيره الحماس المدروس والمخطط ولو استخدم عاطفة الدين الذي له مكانة خاصة في إيماننا .

لكن فرحتى بالتحول لم تدم طويلا ، فسرعان ما انجرف مجددا نحو التقوقع الفكري بفعل تأثيرات السياسة ، وتجاذباتها الآسرة .

أيها العام الغريب وداعا !

ساعات تفصلنا عن الدخول في عام ميلادي جديد ، بعد عام أقل ما يوصف بأنه عام (غريب) على الأمة العربية تحديدا ، فقد شهدت المنطقة العربية مجموعة من الأحداث السياسية المتعاقبة التي غيرت خارطتها ووجهتها ، فيما عرف ب(الربيع العربي) الذي لم يكد العرب يستفيقون من تداعياته حتى أطل عليهم الصيف بقيظه ووهجه ، ثم تساقطت أوراق خريفه ، ليدخل العالم العربي موسم شتاء جديد ينهون به عامهم ، ويستقبلون عاما جديدا لا يمكن التنبؤ بأحداثه ، ولا يُدرى لأي فصل ينحاز .

إن عام ٢٠١١ م هو عام عصيب بكل المقاييس ، حيث شهد أحداث الاحتجاجات الاجتماعية التي تحولت إلى ثورة في تونس ، وشهد الثورة المصرية التي يبدو أنها فقدت بوصلتها بنهاية العام ، بعد إراقة مزيد من الدماء في أحداث مجلس الوزراء والقصر العيني الأخيرة ، كما شهد العام المنصرم ثورة ليبية يقدر ضحياها بآلاف الشهداء ، ومقتل القذافي الذي توعد الثائرين بملاحقتهم (زنجة زنجة) وفق الخطاب الإيقاعي الشهير ، الذي أرشحه ليكون أشهر خطاب سياسي في ٢٠١١ م ، كما أن ثورة نشبت أيضا في اليمن ، أثمرت عن اتفاق الرياض ، وتخلى الرئيس اليمني عن السلطة بمبادرة خليجية استطاعت أن تحرك المياه الراكدة في الأجواء اليمنية بعد شهور من مراوحة المكان .

ولا تزال نهاية العام الماضي شاهدة على أسوأ مجزرة لشعب عربي في سوريا الشقيقة، دون أفق تسوية ، أو شعاع ضوء في نهاية النفق المظلم الذي أدخل بشار الأسد ونظامه الشعب السوري فيه ، برعاية إيرانية روسية صينية ، دون اعتبار لإنجاح المبادرة العربية التي أطلقها العرب وهم يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى ، استجابة للضغوط الإقليمية على ما يبدو ، وسط إصرار النظام على أن يقيم أركان ودعائم حكمه على المزيد من جماجم الشعب ، ولا يزال الأمل معقودا على بدايات العام القادم لينال الشعب السوري ما يستحقه من كرامة وحرية .

ولن ينسى أحد بطبيعة الحال ما جره العام الماضي على مملكة البحرين من أحداث بدأت في فبراير ، وتداعت في الشهور التالية ، وشهدت شدا وجذبا بين العناصر الفاعلة ، وبعض القوى الإقليمية التي كان لها دور لا ينكر في مسار الأحداث ، وإذا كان ثمة انفراجة في المسار السياسي شهدته الأيام الأخيرة من هذا العام فإن الأمل معقود على العام القادم أن يحمل الخير ، ومزيدا من التوافق الذي يؤدي إلى لم الشمل ورأب الصدع الذي أصاب

جناحي هذا الوطن .

ووسط زحمة ما عرف بالربيع العربي ، وتحت وطأة زحمة الأحداث السياسية المتسارعة عربيا حدث أمر مأساوي شُغل الجميع عن خطورته ، وهو انضمام عضو جديد لجامعة الدول العربية ، عضو يرتمي في أحضان الغرب وإسرائيل ، وهو المولود غير المرغوب في ولادته (عربيا) جنوب السودان ، لا بمعنى رفض وجوده وعدم التعامل معه ، بل رفض انقسامه عن دولة السودان التي كانت موحدة ، وقسمتها الأطماع الغربية في ذهبها ونفطها ، كما قسمتها الإخفاقات السياسية السودانية المتعاقبة .

أيها العام : ٢٠١١ : ارحل بكل متاعبك ومآسيك ، ولتأت لنا بعام يخلفك منقطع الصلة بك وبكوارثك ، كي نصلح ما أفسدناه فيك !!

اليابان .. شعب يتحدى المستحيل

كل الشعوب في العالم تتظاهر وتطالب بزيادة الرواتب ، ونقصان ساعات العمل ، إلا الشعب الياباني ، ذلكم الشعب الغريب ، الذي يتظاهر من أجل أن تقوم إدارات الشركات والمصانع بزيادة ساعات العمل !! لأنه بزيادة ساعات العمل يتقاضون رواتب أعلى ، هذه هي المعادلة لدى الشعب الياباني ، زيادة الرواتب المرتبطة بزيادة ساعات العمل ، ومن ثم زيادة الإنتاج .

والواقع أن قصة الشعب الياباني قصة عجيبة ، هي قصة الإنسان الذي لا ييأس مهما كانت العوائق ، وهي قصة الإنسان الذي يتعلم من الانتكاسات التي يمر بها ، فبدلا من أن ترجعه للخلف ، تدفعه دفعا للأمام ، فاليابان بعد الحرب العالمية الثانية كانت مدمرة بالكامل من جراء الأمر الذي أصدره الرئيس الأمريكي الأسبق(هاري ترومان) بإطلاق قنبلة نووية على هيروشيما في ٦ أغسطس ١٩٤٥م ، بعد رفض اليابان الامتثال لإرادة الدول المنتصرة بإعلان استسلام اليابان ، وبعد ثلاثة أيام أطلقت الولايات المتحدة القنبلة الثانية على ناجازاكي ، فأودت بحياة ما يقارب من ربع مليون شخص خلال أيام معدودة ، وهي القنبلة النووية الوحيدة التي استخدمت في الحروب على مستوى العالم ، والتي أطلقتها هي داعية حقوق الإنسان على المستوى الأممي ؛ الولايات المتحدة الأمريكية !

وبالرغم من أن اليابان وقعت وثيقة الاستسلام للقوى المنتصرة ، بعد القنبلتين النوويتين في ١٥ أغسطس ١٩٤٥ م إلاّ أن الشعب الياباني قرر أن لا يستسلم لليأس ، وفي إرادة وتحدٍ غريبين قرر اليابانيون أن يحققوا مفهوما آخر للانتصار ، فأبدا لم تكن المدافع والقنابل والقذائف أدوات انتصار ، بل هي الإرادة التي تصنع الانتصارات ، وهكذا استطاع اليابانيون خلال نصف قرن أن يبنوا قوة اقتصادية تحتل المركز الثاني على مستوى العالم، وكثير من شركاتها العملاقة تتمتع بسمعة عالمية ، مثل تويوتا ، وباناسونيك ، وسوني ، وغيرها من الشركات التي استطاعت أن تصل إلى كل بقعة في العالم .

وبمناسبة زيارة جلالة الملك لليابان في الحادي عشر من الشهر الجاري فإننا نؤكد على أهمية التعرف على هذا الشعب العظيم ، والتعرف على طريقة تفكيره ، التي ربما تتناقض تماما مع نمط تفكيرنا ، فنحن قوم نهوى الاستهلاك ، وليست بيننا وبين الإنتاج الكبير مودة ، بالقطع لدينا عقيدتنا التي نعتز بها ، وعروبتنا التي نفخر بها ، لكن نريد أن تكون لدينا تلكم الهمة العالية في التقدم الاقتصادي والعلمي والحياتي .

أدعو أن تكثف البعثات العلمية إلى هذا البلد ، والقيام بزيارات تعريفية إليها ، لننظر إلام وصلوا .. وكيف أصبحوا ، وأن نستغل التقارب السياسي في تحقيق شيئ من التقارب في مجالات النهضة والتنمية ، لا نريد طبعا أن يتظاهر الناس من أجل أن تزيد عدد ساعات عملهم ، فتحقيق ذلك أمر صعب ، فقط نريد أن نتعلم من غيرنا كيف في فترات وجيزة ، حققوا الحلم ، وصار إنجازهم مضرب المثل في الشرق والغرب .

وإذا كان اليابانيون يعتزون بلغتهم ، فليس أمامنا سوى أن يجيد بعضنا لغتهم ، لينقل لنا بعضا من أنماط تفكيرهم ، وأسلوب معيشتهم ، ونأخذ منها ما ينسجم مع هويتنا ، وقد أُمرنا أن نتعلم العلم من حائزه ، ولو كان في الصين أو اليابان ، ولا غرو ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

نحن الذين نسيء للإسلام

أتصور لو أن الذي شبه صوت المطرب بصوت الله كان من الدول الغربية ، أو أن الذي تحدث عن نبي الإسلام العظيم محمد صلى الله عليه وسلم باستهزاء كان ممن ينتسب إلى دين آخر غير دين الإسلام ، لكانت المظاهرات العارمة ملأت شوارع العواصم الإسلامية ، مطالبة بإدانة الإساءات للدين الإسلامي ورموزه ، ومطالبة حكومات الدول التي ينتمي إليها المسيئون بتقديم اعتذار ، وقد يتطور الأمر إلى مقاطعة للبضائع كما حدث في حالات سابقة مع إساءات غير مقبولة لرموز الدين الإسلامي الحنيف .

لكن المشكلة الكبرى أن الإساءات لديننا العظيم تأتي من من بين أظهرنا ، وتعددت حالاتها حتى صارت ما يشبه الظاهرة ، وذلك يستوجب أن نقف أمامها بشيء من التأمل لنتساءل : ما الذي يدفع بعض شبابنا للإساءة لرموز ديننا ؟ وأين تكمن المشكلة ؟ وبالتالي كيف يكون الحل ؟

فيما أعتقد أن جزءا من المشكلة هي الحالة الإعلامية التي نعيش فيها ، وتغمرنا بتفاصيلها ، حيث بإمكان أي فرد أن ينشيء حسابا له في مواقع التواصل الاجتماعي ليحصل على مساحة افتراضية يكتب فيها ما يشاء ، وقد يكون هذا الحساب باسم وهمي أو افتراضي ، ما يصعب عملية التتبع أو المحاسبة ، وهناك كثيرون ممن يعملون في هذا المجال ، وينتشرون في غرف البالتوك وغيرها من آليات النقاش الذين يقومون بحملات منظمة للتشكيك في ثوابت الإسلام ، والنيل من قداسته .

أما الحالات التي ثارت بسببها ضجة إعلامية فلم تكن من النوع السابق ، بل كانت لشباب يدونون في حسابات بأسمائهم ، وبما أن هذه الحسابات كما هو معلوم خالية من الرقابة ، فما يخطر على بالك تقوم بتدوينه دون مرور بأي مرحلة من مراحل الفلترة ، وتلك لا شك من حسنات مرحلتنا الراهنة، إلا أن من سلبيات هذه المرحلة أن الأخطاء البشرية واردة ، وأن لحظاتٍ يتمكن الشيطان من المدون قد يسول له أن يكتب ما يعد إساءة للإسلام أو للنبي الكريم ، أو للقرآن الكريم ، فما حدث مع حمزة كاشغري المدون السعودي الذي كان يخاطب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم في يوم مولده ، ولسوء فهم وتقدير، ظن أن بوسعه أن يتناول شخصية النبي كما يتناول حياة واحد من أصدقائه، كما أن الحساب الذي نسب لحصة آل الشيخ المدونة السعودية والتي في لحظة انتشاء لسماع المطرب السعودي محمد عبده ، خلطت الأوراق ، وتجاوزت تجاوزا أبكى أحد شيوخ

الإسلام الكرام في إحدى البرامج على قناة المجد ، لأنها تحدثت عن الذات الإلهية بما لا يليق ، وزعمت أنها من حسن صوت المطرب كأنها تسمع الله تعالى ذاته – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا – وقد سارعت المدونة لإنكار نسبة الحساب إليها ، وتم حذف الحساب بعد حملة على تويتر وفي كل وسائل الإعلام تلفظ وتستهجن هذه الإساءات .

في عصر الفضاءات المفتوحة يحتاج شبابنا إلى زيادة جرعة الوعي والثقافة ، وإلى حملات توعية تتناسب مع الفئة العمرية التي ينتسبون لها ، حتى لا يقع مزيد من الشباب في براثن الإساءة لأعز ما نحرص على الانتساب إليه وهو الدين الإسلامي الحنيف ، وهو واجب الدعاة والمستنيرين الذين يجب أن يكونوا مع الشباب في تلك المواقع يحاورونهم ويرشدونهم إلى جادة الصواب .

برامج المسئولية الاجتماعية في مؤسساتنا

الملياردير الأمريكي بيل جيتس صاحب شركة مايكروسوفت الشهيرة تبرع بمبلغ ثلاثةونصف مليون دولار لعمليات الإنقاذ بعد كارثة تسونامي التي ضربت عددا من الدول الآسيوية ، ووجه هذا المبلغ لعمليات الإنقاذ في أندونسيا وسيريلانكا والهند وتايلاند ، وذهبت مجموعة من موظفي الشركة لإقامة مواقع إلكترونية للبحث عن المفقودين ، كما أن الشركة تخصص نسبة من أرباحها لتمويل المنح الدراسية والبعثات الجامعية ، كما أنها تخصص جزءا من أرباحها أيضا لدعم عدد من الجامعات مثل جامعة هارفارد التي خصصت لها مبالغ سخية ، بالإضافة إلى عدد من المؤسسات البحثية ، وهذا الذي تقوم به شركة مايكروسوفت هو ما يسمى : (برامج المسئولية الاجتماعية)

وقد شاركت مؤخرا في مؤتمر تحديات المسئولية الاجتماعية للقطاع الخاص وتفاعلاتها مع التنمية ومتطلباتها الذي أقامته جمعية رعاية الطفل والأمومة بمملكة البحرين برئاسة الشيخة هند بنت سلمان آل خليفة ، وشارك فيه عدد من الباحثين بورقات بحثية وعلمية بالإضافة إلى عرض بعض الشركات والمؤسسات تجاربها في تطبيق برامج المسئولية الاجتماعية إلا أنه يمكن رصد ما يلي :

أولا: غياب مفهوم المسئولية الاجتماعية عند كثير من أصحاب ومديري المؤسسات الكبرى والمتوسطة ، والقطاع الخاص منها بشكل أكبر ، حيث يوجد عدد قليل من المؤسسات العربية الخاصة التي تتبنى هذا الأسلوب في الشراكة مع المجتمع والالتزام بخطط تطويره ونمائه ووضع حل لبعض مشكلاته.

ثانيا : أن هناك بعض المحاولات الرائعة عربيا ، حيث أن مؤسسة رفيق الحريري الخيرية اللبنانية على سبيل المثال قدمت في الفترة من ١٩٧٩ أي منذ إنشائها إلى عام ٢٠٠٥ مليار و٢٠٠ ألف مليون دولار ، تخصص لكفالة الطلاب الراغبين في إكمال التعليم الجامعي ولا يستطيعون تحمل كلفته ، بالإضافة إلى سائر الأنشطة الاجتماعية الأخرى .

وهناك كثير من النماذج العربية في الواقع تخصص جزءا من أرباحها لأنشطة وبرامج المسئولية الاجتماعية ، لكنها تبقى دون المستوى المأمول ، وكثير منها يقتصر على دفع مبالغ سنوية أو دورية للفقراء أو غير القادرين دون أن يكون هناك هيكل مؤسسي لهذه الأنشطة يضمن استدامتها ، بما يحقق الأثر المنشود في المجتمع .

فهل نرى في المجتمعات العربية مؤسسات كبرى تعمل على تقديم المنح التعليمية للطلاب

غير القادرين ، وهل من الممكن أن تكون برامج المسئولية الاجتماعية في هذه المؤسسات لها خطة واضحة وبرامج لها مدى زمني يمكن أن يعطي رسالة واضحة للمجتمع أن هناك مسئولية اجتماعية لرأس المال ، وأن لهذا المجتمع حق على المؤسسات والشركات التي تجني أرباحها من هذا المجتمع .

نريد من كل مؤسسة وشركة أن تحدد لها برامج واضحة للمسئولية الاجتماعية ، ومن الممكن أن تنشئ لها قسما خاصا بها كما تفعل بعض المؤسسات العالمية الكبرى ، وليس فقط أن تستغل هذه البرامج لغايات دعائية ، أو لغايات تخفبف الأعباء الضريبية رغم مشروعية ذلك في الدول التي تنتهج سياسات ضريبية محددة ، إن برامج المسئولية الاجتماعية يضمن إلى حد ما دعم جميع أفراد المجتمع لأهداف المؤسسة ورسالتها التنموية والاعتراف بوجودها، والمساهمة في إنجاح أهدافها وفق ما خطط له مسبقاً، علاوة على المساهمة في سدّ احتياجات المجتمع ومتطلباته الحياتية والمعيشية الضرورية، إضافةً إلى خلق فرص عمل جديدة من خلال إقامة مشاريع خيرية واجتماعية ذات طابع تنموي.

المؤلف

دكتور/ رضا أمين

عميد كلية الآداب بجامعة المملكة، مملكة البحرين

وأستاذ الإعلام بكلية الإعلام بجامعة الأزهر بمصر وكلية الآداب بجامعة المملكة مملكة البحرين ، وعضو الهيئة التنفيذية لجمعية عمداء كليات الآداب باتحاد الجامعات العربية:

- أبحاث علمية منشورة في وقائع المؤتمرات :
- الجودة في كليات الآداب ، المؤتمر العاشر للجمعية العلمية لكليات الآداب باتحاد الجامعات العربية ، جامعة القديس يوسف ،(لبنان : بيروت : ١٩-٢٠ أبريل ٢٠١٢م) .
- دور وسائل الإعلام في الحد من الإعاقة ، دراسة مقدمة إلى مؤتمر (دور هيئات ومنظمات المجتمع المدني في الوقاية من الإعاقة بدول مجلس التعاون الخليجي) الذي أقامته الجمعية البحرينية لتنمية الطفولة (المنامة ، مملكة البحرين : ٣٠ نوفمبر -١ ديسمبر ٢٠١١م) .
- دور وسائل الإعلام في الترويج للأفكار التكفيرية ، دراسة مقدمة إلى المؤتمر العالمي عن ظاهرة التكفير الأسباب ، الآثار ، العلاج ، جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز العالمية للدراسات الإسلامية المعاصرة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (المدينة المنورة : ٢٠-٢٢ سبتمبر٢٠١١م) .
- صحافة المصدر المفتوح وتأثيراتها في الصحافة الورقية ، دراسة مقدمة إلى ندوة المصدر المفتوح في عالم الإنترنت والأوراق الدبلوماسية الأمريكية المسربة كمعطى ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، (بيروت ٤-٦ مارس ٢٠١١م)
- دور الإعلام في توعية الشباب ببرامج المسئولية الاجتماعية وسبل التغلب على معوقاتها ،(بحث منشور ومحكم) المؤتمر الحادي عشر للندوة العالمية للشباب الإسلامي (الشباب والمسئولية الاجتماعية) ، جاكرتا ، أندونسيا (٢-٤ أكتوبر ٢٠١٠م) .
- الأدوار الاجتماعية التي تؤديها وسائل الإعلام الجديدة ، الملتقى الخليجي الرابع للعلاقات العامة ،جمعية العلاقات العامة البحرينية (مملكة البحرين : ٨-١٠ يونيو ٢٠١٠ م) .

- موقف الحضارة الإسلامية من عولمة الإعلام والثقافة ..قراءة نقدية ، ورقة مقدمة إلى مؤتمر الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية ، جامعة الشارقة ، الإمارات العر بية المتحدة (٢٨-٢٩ أبريل ٢٠١٠م) .
- استخدام الشبكات في التعليم الجامعي ودوره في تحقيق مجتمع المعرفة ، دراسة مقدمة إلى مؤتمر دور التعليم الأكتروني في تعزيز مجتمع المعرفة ، جامعة البحرين ، مركز زين للتعليم الإلكتروني (٦-٨ ابريل ٢٠١٠م).
- الجمهور ينتج الرسالة الإعلامية ، (يوتيوب وإعلام المجتمع) دراسة مقدمة إلى ندوة الإعلام الإلكتروني وقضايا الجيل التي نظمها قسم الإعلام بكلية الآداب ، جامعة الملك سعود بالرياض ضمن فعاليات مهرجان الجنادرية الخامس والعشرون (٢٢ مارس ٢٠١٠م) .
- قنوات الأطفال وعلاقتها بتدعيم القيم الاجتماعية في الوطن العربي ، مؤتمر السياسات الاجتماعية للطفولة الواقع والتحديات ، جامعة الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة (١٧-١٨ مارس ٢٠١٠ م) .
- حاجة المؤسسات العربية إلى الدبلوماسية العامة ، الملتقى الخليجي الثالث للعلاقات العامة (الدبلوماسية العامة) ، جمعية العلاقات العامة البحرينية (مملكة البحرين ، ٩-١١يونيو ٢٠٠٩).
- استخدامات الشباب الجامعي في البحرين لموقع يوتيوب على شبكة الويب، (بحث منشور ومحكم علميا) المؤتمر الدولي الأول لقسم الإعلام بجامعة البحرين (الإعلام الجديد ، تكنولوجيا جديدة لعالم جديد) مملكة البحرين في الفترة من (٧-٩أبريل ٢٠٠٩) .
- حدود التفاعل الاجتماعي في المجتمعات الافتراضية على شبكة الإنترنت ، المؤتمر الدولي عن تقنيات الاتصال والتغير الاجتماعي (جامعة الملك سعود بالرياض ، قسم الإعلام ، في الفترة من ١٥-١٧ مارس ٢٠٠٩م).
- دور وسائل الإعلام في تحقيق التنمية المستدامة في العالم الإسلامي ، المؤتمر الدولي عن التنمية المستدامة في العالم الإسلامي في ظل العولمة ، رابطة الجامعات الإسلامية و البنك الإسلامي للتنمية (القاهرة : ١٧-١٩ مايو ٢٠٠٨).
- اتجاهات النخبة الدينية نحو واقع ومستقبل الفضائيات الإسلامية ، دراسة ميدانية، المؤتمر العلمي لكلية الاتصال بجامعة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة (١١-١٣

ديسمبر ٢٠٠٧م).

- اتجاهات الصحفيين نحو علاقة الإنترنت بممارسة حرية الرأي والتعبير في الصحافة العربية ،(بحث منشور ومحكم علميا) المؤتمر العلمي الرابع لأكاديمية أخبار اليوم، الصحافة العربية في ظل التحولات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية (القاهرة ٢٣- ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٧م) .
- الخطاب الإسلامي في المدونات على شبكة الإنترنت ، (بحث منشور ومحكم علميا) المؤتمر العلمي الأول لقسم الصحافة والإعلام بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، الخطاب الإسلامي بين الثوابت والمتغيرات الدولية (القاهرة : ١٣-١٥ نوفمبر ٢٠٠٦م)
- الإمكانيات التقنية في مواقع الصحف الإلكترونية العربية ،(بحث منشور ومحكم علميا) مؤتمر الإعلام العربي والإنترنت ، المنظمة العربية للتنمية الإدارية التابعة لجامعة الدول العربية (شرم الشيخ ، مصر : ٦-١٠ أغسطس ٢٠٠٦م).
- صورة المرأة في الصحافة الدينية ، (بحث منشور ومحكم علميا) مؤتمر المرأة المسلمة بين الثوابت الدينية وبريق الثقافات الوافدة ، الذي أقامته جامعة الأزهر ورابطة الجامعات الإسلامية (القاهرة : ١٤-١٦ مارس ٢٠٠٦م).

المحاضرات العامة وورش العمل :

- يونيو ٢٠١٢م ، محاضرة عامة عن (استخدامات الشباب لمواقع التواصل الاجتماعي) مركز كانو الثقافي ، مملكة البحرين .
- (مارس ٢٠١١م) قدم ورشة عمل عن (الصحافة الاقتصادية) لصالح غرفة تجارة وصناعة البحرين لمدة ثلاثة أيام .
- ٤ نوفمبر ٢٠١٠ م ، مدير ومنظم دورة (منهجية الرسائل العلمية) بالتعاون مع مركز الدراسات والبحوث بجامعة المملكة .
- ٤ نوفمبر ٢٠١٠ م ، شارك بمحاضرة عامة عن (جمع وتوثيق البيانات العلمية في دراسات الماجستير والدكتوراة) في دورة منهجية الرسائل العلمية بجامعة المملكة ، مملكة البحرين.



الإنتاج الفكري (المؤلفات)

م	عنوان الكتاب	مكان وتاريخ النشر	دار النشر
1	الصحافة الإلكترونية	القاهرة 2006	دار الفجر للنشر والتوزيع
2	الإعلام والعولمة	القاهرة 2006	دار الفجر للنشر والتوزيع
3	فن الخبر الصحفي	القاهرة 2006	المؤلف
4	تخطيط الحملات الإعلانية	القاهرة 2007	المؤلف
5	إنتاج المواد الإعلامية	القاهرة 2007	المؤلف
6	النظريات العلمية في مجال الإعلام الإلكتروني	القاهرة 2007	المؤلف
7	التوثيق الإعلامي من البيبلوجرافيا الورقية إلى نظم المعلومات الشبكية	القاهرة 2008	المؤلف
8	فن الدعاية ووسائل الإقناع	القاهرة ٢٠٠٨	المؤلف
9	تغريدات للوطن	المنامة ٢٠١٣	هيئة شئون الإعلام

يرحب المؤلف بإبداء أي ملاحظات على البريد الإلكتروني التالي :

redaamin2003@yahoo.com



الفهرس